على هامش الكتاب
-١٥-

الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها

الخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابيّة



على هامش الكتاب

-١٥-

الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها



على هامش الكتاب
-١٥-

الحركة الغنوصيّة في أفكارها ووثائقها

الخوري بولس الفغالي
دكتور في الفلسفة واللاهوت
دبلوم في الكتاب المقدّس واللغات الشرقيّة

الرابطة الكتابيّة

طبعة أولى – ٢٠٠٩

الطباعة: دكّاش برينتنغ هاوس
عمشيت – لبنان – تلفون: ٠٩/٦٢٢٢٨٠

التوزيع: • المكتبة البولسية
شارع القديس بولس – ص.ب: ١٢٥
٥٠١٠ جونيه، لبنان

• جمعيات الكتاب المقدس
ص. ب. ١١٧٤٧ بيروت، لبنان

تقديم

العالم الغنوصي. منذ زمان لفت انتباهي وأنا أدرس تيارات الفكر الشرقيّة. ولكن دوّنت أول مقالة سنة ٢٠٠٠ وتواصلت المقالات إلى اليوم، وهي لن تتوقّف بإذن الله.

الأساس هو لفظ La gnose «غنوصة» وفي اليونانية γνωσις العرفة، العرفان. بل هي المعرفة الباطنيّة التي تنطلق من عمق الانسان ولا تطلب شيئاً خارجاً عنه. والغنوصية موضوعُها الأسرار الالهية التي لا يقدر الجميع أن يعرفوها، بل فئة مميّزة تتنشّأ شيئًا فشيئًا بحيث تصل إلى الكمال تجاه البسطاء الذين لا يرتفعون فوق القشور.

مثلُ هذا التيار أو بالأحرى هذه التيارات الدينية نجدها منتشرة في الزمان والمكان. كانت بذورها قبل المسيح. وتوزّعت في سورية كما في مصر وربّما في أفريقيا الشمالية. فاستقت منها اليهودية. والمسيحية أيضًا أرادت أن تمسحنها ولا سيّما مع كليمان الاسكندراني في القرن الثالث المسيحي.

هذا العالم الغنوصيّ نعرفه في وثائق عديدة، جاءتنا مباشرة من خلال نصوص نجع حمّادي، تلك القرية المصريّة الواقعة على النيل، شمالي الأقصر. أول اكتشافات هذه النصوص الغنوصيّة كانت سنة ١٩٤٥، وبعد ثلاثين سنة كانت نُشرت كلها وتُرجمَت إلى أكثر من لغة. ونحن ترجمنا نصّين اثنين.

وجاءت النصوص الغنوصيّة في وثائق غير مباشرة ولاسيّما عند آباء الكنيسة، الذين اعتبروا هذه الحركة هرطقة يجب محاربتها: من ترتليان الافريقي إلى ايرينه أسقف ليون في فرنسا، إلى أوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي، إلى أبيفان، أسقف سلامينة في قبرص.

أما الغنوصة أو العرفان فهي شكل من المعرفة الدينية موضوعها واقع الانسان في حقيقته وروحانيّته. نقلها «مخلّص» فكشفها في تقليد ايزوتيري، باطني خاص. فاستطاعت هي بدورها أن تخلّص الذين يتقبّلونها في شكل عام، إن «الدسقلية» διδασκαλια didascalie أو التقليد الغنوصي الذي به يتدرّج الانسان، تتأسّس على نقل خبر ميثي mythique يجعل أمامنا أشخاصًا فوطبيعيين Surnaturels أو أعمالاً خارقة. والهدف: تقديم جواب على أسئلة وجودية يحسّ بها الانسان: من نحن؟ ما نحن؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ ما الذي ينقّينا ويطهّرنا؟ ما هي الولادة والولادة الثانية؟

أما الجذور السيكولوجيّة والمعلّلات الدينيّة فنجدها في قلق يصيب الانسان في الصميم، سواء كان مسيحيًا أو وثنيًا، فيتولّد شعور بالغربة والانعزال بالنسبة إلى الكون. لهذا يحكم الغنوصي حكمًا قاطعاً على العالم مع قوّاته التي تحتفظ به سجينًا، وهو المالك العنصر الروحي والبنفماتي (الروحي πνευμα)

أجل، الغنوصي غريب عن هذا العالم، وموطنه البليروما πληρωμα أو عالم الملء. من هنا تنطلق المناهج الغنوصيّة، لأنه لا منهج واحدًا فقط، فتستعمل مواد آتية من مختلف التيارات الفكرية: في الفكر المسيحي. وهكذا نكون أمام «ديانة» تلفيقيّة، تختلف نظراتها باختلاف المناهج لتقدّم تعليمًا وحضارة. في العمق، العالم الغنوصي هو عالم القسمة، عالم التعارض والهوّة الكيانيّة الذي يفصل النور عن الظلمة في الكون، والبنفماتي عن الهيولي (المادي) υλη لدى الانسان...

في هذا العالم الغنوصي ندخل مع هذا الكتاب الذي جاء في ثلاث محطات: الغنوصية بشكل عام والغنوصيّة المسيحية بشكل خاص. في محطة ثانية نجول في الوثائق غير المباشرة التي تركها الآباء. وفي القسم الثالث نمضي إلى نجع حمادي وندرس وثيقتين من وثائقه، على أن نعود إلى سائر الوثائق فيما بعد، إن شاء الله.

لائحة أبجديّة بالمختصرات

١ و٢أخ	= سفرا الأخبار الأول والثاني
إر	= إرميا (نبوءة)
أس	= أستير
أش	= أشعيا
أع	= أعمال الرسل
أف	= رسالة القديس بولس إلى الأفسسيّين
أم	= سفر الأمثال
أي	= سفر أيوب
با	= سفر باروك
١ و٢ بط	= رسالتا القديس بطرس الأولى والثانية
تث	= سفر التثنية
١ و٢ تس	= رسالتا القديس بولس الأولة والثانية إلى التسالونيكيّين
تك	= سفر التكوين
١ و٢ تم	= رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى تيموتاوس
تي	= رسالة القديس بولس إلى تيطس
جا	= سفر الجامعة
حب	= نبوءة حبقوق
حج	= نبوءة حجاب
حز	= نبوءة حزقيال
حك	= سفر الحكمة
خر	= سفر الخروج
دا	= سفر دانيال
را	= سفر راعوت
روم	= رسالة القديس بولس إلى الرومانيّين
رؤ	= سفر الرؤيا
زك	= نبوءة زكريا
سي	= يشوع بن سيراخ
صف	= نبوءة صفنيا
١ و٢ صم	= سفرا صموئيل الأول والثاني
طو	= طوبيا
عا	= نبوءة عاموس
عب	= الرسالة إلى العبرانيّين
عد	= سفر العدد
عز	= سفر عزرا
عو	= عوبديا

أما الغنوصة أو العرفان فهي شكل من المعرفة الدينية موضوعها واقع الانسان في حقيقته وروحانيّته. نقلها «مخلّص» فكشفها في تقليد ايزوتيري، باطني خاص. فاستطاعت هي بدورها أن تخلّص الذين يتقبّلونها في شكل عام، إن «الدسقلية» didascalie διδασκαλια أو التقليد الغنوصي الذي به يتدرّج الانسان، تتأسّس على نقل خبر ميثي mythique يجعل أمامنا أشخاصًا فوطبيعيين Surnaturels أو أعمالاً خارقة. والهدف: تقديم جواب على أسئلة وجودية يحسّ بها الانسان: من نحن؟ ما نحن؟ إلى أين نحن ذاهبون؟ ما الذي ينقّينا ويطهّرنا؟ ما هي الولادة والولادة الثانية؟

أما الجذور السيكولوجيّة والمعلّلات الدينيّة فنجدها في قلق يصيب الانسان في الصميم، سواء كان مسيحيًا أو وثنيًا، فيتولّد شعور بالغربة والانعزال بالنسبة إلى الكون. لهذا يحكم الغنوصي حكمًا قاطعاً على العالم مع قوّاته التي تحتفظ به سجينًا، وهو المالك العنصر الروحي والبنفماتي (الروحي πνευμα)

أجل، الغنوصي غريب عن هذا العالم، وموطنه البليروما πληρωμα أو عالم الملء. من هنا تنطلق المناهج الغنوصيّة، لأنه لا منهج واحدًا فقط، فتستعمل مواد آتية من مختلف التيارات الفكرية: في الفكر المسيحي. وهكذا نكون أمام «ديانة» تلفيقيّة، تختلف نظراتها باختلاف المناهج لتقدّم تعليمًا وحضارة. في العمق، العالم الغنوصي هو عالم القسمة، عالم التعارض والهوّة الكيانيّة الذي يفصل النور عن الظلمة في الكون، والبنفماتي عن الهيولي (المادي) υλη لدى الانسان...

في هذا العالم الغنوصي ندخل مع هذا الكتاب الذي جاء في ثلاث محطات: الغنوصية بشكل عام والغنوصيّة المسيحية بشكل خاص. في محطة ثانية نجول في الوثائق غير المباشرة التي تركها الآباء. وفي القسم الثالث نمضي إلى نجع حمادي وندرس وثيقتين من وثائقه، على أن نعود إلى سائر الوثائق فيما بعد، إن شاء الله.

لائحة أبجديّة بالمختصرات

١ و٢أخ	= سفرا الأخبار الأول والثاني
إر	= إرميا (نبوءة)
أس	= أستير
أش	= أشعيا
أع	= أعمال الرسل
أف	= رسالة القديس بولس إلى الأفسسيّين
أم	= سفر الأمثال
أي	= سفر أيوب
با	= سفر باروك
١ و٢ بط	= رسالتا القديس بطرس الأولى والثانية
تث	= سفر التثنية
١ و٢ تس	= رسالتا القديس بولس الأولة والثانية إلى التسالونيكيّين
تك	= سفر التكوين
١ و٢ تم	= رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى تيموتاوس
تي	= رسالة القديس بولس إلى تيطس
جا	= سفر الجامعة
حب	= نبوءة حبقوق
حج	= نبوءة حجاب
حز	= نبوءة حزقيال
حك	= سفر الحكمة
خر	= سفر الخروج
دا	= سفر دانيال
را	= سفر راعوت
روم	= رسالة القديس بولس إلى الرومانيّين
رؤ	= سفر الرؤيا
زك	= نبوءة زكريا
سي	= يشوع بن سيراخ
صف	= نبوءة صفنيا
١ و٢ صم	= سفرا صموئيل الأول والثاني
طو	= طوبيا
عا	= نبوءة عاموس
عب	= الرسالة إلى العبرانيّين
عد	= سفر العدد
عز	= سفر عزرا
عو	= عوبديا

غل	= رسالة القديس بولس إلى الغلاطيّين
فل	= رسالة القديس بولس إلى الفيليبيّين
فلم	= رسالة القديس بولس إلى فيلمون
قض	= سفر القضاة
كو	= رسالة القديس بولس إلى الكولسيّين
١ و٢ كور	= رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى الكورنثيّين
لا	= سفر اللاويّين أو الأحبار
لو	= إنجيل لوقا
مت	= إنجيل متى
مر	= إنجيل مرقس
مرا	= مراثي إرميا
مز	= مزامير
١ و٢ مك	= سفر المكابيّين الأول والثاني
١ و٢ مل	= سفرا الملوك الأول والثاني
ملا	= نبوءة ملاخي
مي	= نبوءة ميخا
نا	= نبوءة ناحوم
نح	= سفر نحميا
نش	= نشيد الأناشيد
هو	= نبوءة هوشع
يش	= سفر يشوع بن نون
يع	= رسالة القديس يعقوب
يه	= سفر يهوديت
يو	= إنجيل يوحنا
١ و٢ و٣ يو	= رسائل القديس يوحنا الأولى والثانية والثالثة
يؤ	= نبوءة يوئيل
يون	= نبوءة يونان

مختصرات أخرى

آ	= آية أو فقرة
رج	= راجع
ف	= فصل
ق	= قابل
وز	= نصوص موازية
ي	= ما يلي من الآيات

القسم الأول

الغنوصية والغنوصية المسيحية

جاء هذا القسم في فصلين

١- الغنوصيّة أو مذهب العرفان

٢- الغنوصيّة المسيحيّة.

الفصل الأول

الغنوصيَّة أو مذهب العرفان(*)

خلال شهر كانون الثاني ١٩٤٨، تحدَّثت الصحف المصريَّة عن اكتشاف تمَّ في نجع حمّادي، قرب موقع قديم اسمه قينوبوسكيون، وعند منحدر جبل الطريق الذي يبعد قرابة مئة كيلومتر عن الأقصر. ماذا تضمَّن هذا الاكتشاف؟ نصوص غنوصيَّة بدأت تظهر منذ السنة ١٩٤٥، فاشتراها مدير المتحف القبطيّ في القاهرة، توجومينا، في بداية شهر تشرين الأوَّل ١٩٤٦. بعد هذا الكودكس (أو المجموعة) الأوَّل، وصل كودكس آخر إلى المتحف نفسه، العام ١٩٤٧. وفي ٨ من شباط ١٩٤٨، قدَّم عالمان هما بواش ودوريسي تقريرهما في هذا المجال أمام أكاديميَّة المدوَّنات والنصوص في باريس.

كانت تلك الاكتشافات، التي ستتوالى في ما بعد، مناسبةً للتعرُّف على الغنوصيَّة التي هي معرفة باطنيَّة تتيح لنا أن ندرك الأسرار والخفايا من أجل البلوغ إلى الخلاص. فما هو هذا التيّار الفكريّ الذي بدأ قبل المسيحيَّة، وتدوَّنت أولى آثاره في القرن الثاني ب.م.، وظلَّ حيًّا حتّى القرن العاشر فأثَّر في التعابير الدينيَّة الشرقيَّة، وما زال حتّى اليوم حاضرًا في ما يُسمّى «الجيل الجديد» (New Age)؟

١. الغنوصيَّة وأصولها

أ- معنى الكلمة

تعود الغنوصيَّة إلى لفظة يونانيَّة «غنوصيص»[١] التي تعني المعرفة. بل تدلُّ

(*) ظهر هذا المقال في المسرّة ٨٦(٢٠٠٠) ص ٦٦٥-٦٩١.

(١) γνωσις والفعل: γιγνωσκειν

بشكل خاصّ على معرفة الله وعلم الإلهيّات. هي لا تبدو علمًا نقتنيه ونحصل عليه، بل وحي باطنيّ يتيح لنا أن ندرك الأسرار والخفايا، فيقودنا إلى الخلاص.

ظلَّ العلماء زمنًا طويلاً يرون في الغنوصيَّة (أو العرفان) هرطقة (أو بدعة) مسيحيَّة امتدَّت في القرون الأولى للكنيسة، فضمَّت عناصر مسيحيَّة إلى عناصر يهوديَّة وبابليَّة وفارسيَّة. نشير هنا إلى أنَّه يجب ألاَّ نتكلَّم عن تيّار غنوصيّ واحد، أخذ به المؤسِّس وتبعه التلاميذ. فهناك أكثر من تيّار غنوصيّ. والظاهرة الغنوصيَّة حاضرة في الديانات الكبرى كاليهوديَّة والمسيحيَّة. والغنوصيَّة حاضرة أيضًا، وإن بشكل سطحيّ ومنحدر، في الأسترولوجيا أو علم التنجيم، في السحر والعرافة، في الإخفائيَّة[٢] - أو الإيمان بالقوى الخفيَّة وإمكان إخضاعها للسيطرة البشريَّة، في الإشراقيَّة[٣] التي تقول بظهور الأنوار العقليَّة وفيضانها بالإشراقات على النفوس عند تجدُّدها. والغنوصيَّة في واقعها العميق تصل إلى الحكمة وإلى الحالة الصوفيَّة و«المستيكيَّة».

إنَّ الغنوصيَّة التي ترافق بشكل طبيعيّ نمطًا من أنماط الفكر يمكن أن تُزامن وتُطابق حركة باطنيَّة، فتكون لها حياة خفيَّة تتجلّى في إطار اجتماعيّ. ففي كلِّ أشكال الخبرات الدينيَّة، هناك أشخاص مغرمون بالروح[٤]، يرفضون ديانة تجعل من الله صنمًا ومن المؤمن عابد أصنام.

هذا على المستوى النظريّ. أمّا على المستوى الوجوديّ، فالغنوصيَّة معرفة تبدِّل قلبَ الإنسان وبالتالي تحوِّل عقيدته وارتباطه وتصرُّفه. وبما أنَّها علم ومعرفة وحكمة، فهي تحوِّل الإنسان كلَّه. فيتوجَّه قارئ الكتب المقدَّسة حسب رغبته في المعرفة والاتِّحاد، فيقرأ النصوص قراءة حرفيَّة، أو يقرأها قراءة روحيَّة، محاولاً كشف معناها الخفيّ. إذن، جذور الغنوصيَّة هي في الإنسان وفي ثنائيَّته. لهذا،

---

(٢) Occultisme
(٣) Illuminisme
(٤) πνευματικοι

نحن نجدها في كلِّ العصوِر، منذ ولنطين وباسيليد في القرن الثاني المسيحيّ حتّى القرنين السادس عشر والثامن عشر، بل حتّى القرن العشرين حيث تأخذ العلاقة بين الإلهيّ والإنسانيّ بُعدًا جديدًا تتجسَّد فيه الغنوصيَّة الحقيقيَّة والمعرفة الحقَّة.(٥)

ب- أصل الغنوصيَّة

الغنوصيَّة طريقة خاصَّة بها نعالج الواقع الدينيّ. ظهورها وأصولها هي موضوع جدال، وهي ترتبط بالعالم الهلّنستيّ كما ترتبط بترجمة الكتاب المقدَّس إلى اليونانيَّة في النسخة المسمّاة السبعينيَّة(٦).

اعتبر ترتليان (١٥٥-٢٢٠)، الكاتب الإفريقيّ، أنَّ الغنوصيَّة هرطقة. أمّا البرهان فبسيط: الهرطقة تأتي دومًا بعد الأرثوذكسيَّة، والضلال بعد الإيمان المستقيم، وما هو انتقائيّ بعد ما هو إجماليّ(٧). قال:

«مهما كانت الطريقة التي بها حصل الضلال، فالضلال ساد وما غابت الهرطقة. وإذ أرادت الحقيقة أن تتحرَّر انتظرت جماعة مرقيون(٨) وجماعة ولنطين. وبانتظار ذلك، أخطأوا حين بشَّروا، أخطأوا حين آمنوا، أخطأوا حين عمَّدوا آلاف الآلاف... أو إن لم يكن هناك خطأ ولا باطل، فكيف نفهم أن تكون أمور الله سارت مسيرتها قبل أن نعرف الإله الذي إليه ننتمي، وأن يكون

---

(٥) P. HABOT, "Gnose", in *Enc. Universalis,* vol VII (Paris, 1568), p. 782 B.C.

(٦) La Septante. سمِّيت كذلك لأنَّها ارتبطت بخبر يقول إنَّها نتاج سبعين عالمًا قاموا بترجمة الكتاب المقدَّس من العبريَّة إلى اليونانيَّة، في مصر، في أيّام بطليموس الثاني فيلدلفوس (٢٨٥-٢٤٦)، أي في منتصف القرن الثالث ق.م.

G. DORIVAL & J. MARGAIN, "Versions anciennes de la Bible", in *Dict. Enc de la Bible* (Brepols, 1987), pp. 1304-1305.

(٧) (Hérésie: voir hairesis qui veut dire choix) في الهرطقة نختار عنصرًا واحدًا ونلغي جانبًا عناصر أخرى فيختلُّ التوازن αιρεσις في فكرنا.

(٨) رج بولس الفغالي، «مرقيون والتعامل مع الكتاب المقدَّس»، **المسرَّة** ٨٦ (٢٠٠٠)، العدد ٨٤٥ (أيّار - حزيران)، ص ٣٨٥-٤٠٨.

مسيحيّون قبل أن يوجد المسيح، وأن توجد الهرطقة قبل التعليم الصحيح»[٩]؟

غير أنَّ هذا الكلام يصحُّ بقدر ما نتطلّع إلى الغنوصيَّة بالنظر إلى المسيحيَّة، لا في حدِّ ذاتها. ولكنَّ الغنوصيَّة ظهرت قبل المسيحيَّة.وكانت مثار شبهات، أقلّه في جذورها.

نشير هنا إلى أنَّ دراسة الغنوصيَّة كانت صعبة بسبب ندرة الوثائق التي تعنيها. فإذا وضعنا جانبًا وثائق نجع حمّادي، فنحن لا نعرف الغنوصيَّة إلاَّ من خلال شهادات غير مباشرة ونصوص تعادي الغنوصيَّة وتحتقرها. مثلاً لا يسمّيهم ترتليان سوى هراطقة، ويربطهم بالسحرة والمشعوذين وبالذين يتيهون وراء البحث الباطل[١٠].

تستند الغنوصيَّة إلى ثنائيَّة واضحة: المعرفة والجهل، الخير والشرّ، الحياة والموت، الروح والجسد، النور والظلمة، إله الخير وإله الشرّ. هناك مقاومة جذريَّة بين عنصرٍ وآخر داخل كلِّ زوج. نذكر أنَّ هذه الثنائيَّة نجدها في إنجيل يوحنّا، بين النور والظلمة، بين الحقّ والكذب، بل في رسائل بولس، ولاسيَّما رسالته إلى الرومانيّين. وفي سفر الرؤيا نجد المسيح والمناوئ للمسيح[١١]، المرأة الملتحفة بالشمس وبابل الزانية الكبرى، ميخائيل والتنّين.

كلُّ شيء يبدأ بمعرفة الذات، فيتيح للغنوصيّ أن يُدرك نفسه في إطار ثنائيّ. يكتشف في داخله النورَ والظلمة، الخيرَ والشرّ، نتائج حضور الإله الصالح والإله الشرّير. إنَّه ممزَّق بين مملكتين، فينتمي إلى الوحدة وإلى الانقسام، ووضعُه هذا يعكس التعارض بين مبدإ الخير ومبدإ الشرّ.

---

(٩) TERTULLIEN, *Traité de la prescription contre les hérétiques* (SC 46), Paris, 1957, pp. 125-126.

(١٠) **المرجع السابق**، ص ١٤٩، رج **ضدّ مرقيون**، ١: ١٨ (٣/٣١٣: ١-٨)؛ كليمان الإسكندرانيّ، **مختارات من تيودوتس** (الينابيع المسيحيَّة ٢٣) المقاطع ٦٩-٧١.

(١١) Antichrist.

جذور هذه الثنائيَّة عميقة الغور، وقد تعود إلى الديانة الفارسيَّة. أمّا نقطة الانطلاق فحضور إبليس الذي يفرِّق ولا يجمع، إبليس الذي يسيطر على العالم. فلا بابَ خلاصٍ للإنسان سوى الغنوصيّة والعرفان. وحدها المعرفة تفتح ثقبًا في سور يحيط بالعالم. الإنسان لحمٌ ودمٌ، هو بشر. وهذه البشريَّة هي بالنسبة إليه سجنٌ يجب أن يُفلت منه. إذن، بما أنَّ الجسد هو سجنٌ وقبر، فكلٌّ ما يرتبط بالبدن[١٢] ورغباته هو فساد. من أجل هذا تحرِّم الحياةُ الجنسيَّة والولادة. والخليقة نفسها هي شرّ. ومع ذلك، فالإنسان لا ينحصر في ضلالاته. فهذه الضلالات ميولٌ تشبه عناصر مضافة. هي ملحقاتٌ وزوائدُ تلتصق بالنفس لتُضعفها وتدمِّرها، وفي النهاية تبعدها عن هدفها.

الإنسان سجينُ جسد. وهو أيضًا سجين العالم الذي هو وحولٌ وأسمالٌ وظلمات. إنَّه يتحرَّر بالمعرفة من هذا الليل الذي يحيط به. وهكذا ينقسم العالم إلى مجمل عوالم تشكِّل للإنسان سجونًا تحبسه بلا رحمة. يحرس هذه السجون تنانينُ يجب التغلُّب عليها لعبور أبوابها. تُسمّى هذه التنانين أسياد العالم وأراكنته. هي تشبه آلهة الكون لدى الكلدائيّين.

وفي النهاية، تعلن الغنوصيَّة أنَّ الكون شرٌّ كلُّه. وهو لا يمتلك ذرَّةً من نور. لهذا يشبَّه بجهنَّم. وحدها النفس في قسمها الأعلى تشكِّل قبسًا من نور لا يشتعل إلاَّ بقدر ما يتعلَّق بعالم آخر. تلك هي النظرة المتطرِّفة. وهناك نظرة مخفَّفة لا ترى في العالم جهنَّم النار، بل ذاك الذي ابتعد عن ينبوع النور بحيث لا يستطيع أن يشارك فيه. مع المانويَّة[١٣]، تخفُّ قوَّة الثنائيَّة وحدَّتها: لم يعد العالم كلُّه شرّيرًا، بل يمتلك كلُّ جوهر فيه وجهةُ خير ووجهة شرّ.

---

(١٢) La chair (σαρξ): نجد فيها الضعف والميل إلى الشرّ. وهي غير الجسد (σωμα) المعدّ للقيامة. هي «ب ث ر» في العبريَّة (بسرا في السريانيَّة) التي تقابل لفظة «بشر» في العربيَّة.

(١٣) بولس الفغالي، «ماني والمانويَّة»، **المسرَّة** ٨٣ (١٩٩٧)، ص ٩٠-١٠٨.

تجاه المعرفة، هناك الجهل ورفض المعرفة. والجهل، بحسب الغنوصيَّة، هو من الكثافة بحيث يشكِّل للإنسان قبرًا حقيقيًّا يسجنه فلا يخرج منه. فإن أقام الإنسان (أو جُعل غصبًا عنه) في نفسه السفلى، يصبح أسيرِ الجهل والنجاسة والشرّ. في هذا المجال، يقول ولنطين:

«يحصل للقلب ما يحصل لفندق يقيم فيها أناس غلاظ. لا يهتمُّون بالمكان الذي ليس لهم. وهكذا نقول عن القلب حين يُهمَل. فهو يبقى نجسًا ويصبح مسكن عدد من الشياطين[١٤]. ولكن حين ينظر إليه الآب الذي هو وحده صالح، يتقدَّس ويشعُّ نورًا»[١٥].

ج- مصادر الغنوصيّين

نميِّز هنا مؤلَّفات غنوصيَّة نعرف كاتبها وعنوانها، وأجزاء غنوصيَّة وُجدت هنا وهناك قبل اكتشافات نجع حمّادي؛ وأخيرًا ما نقرأه لدى الكتّاب الكنسيّين الذين هاجموا هذا التيّار الفلسفيّ الذي أراد أن يكون، بشكل خاصّ، قاعدةَ حياة.

أوَّلاً- مؤلَّفات غنوصيَّة

نورد هنا لائحة بهذه المؤلَّفات التي ذكرها الآباء.

تحدَّث ديونيسيوس المزعوم عن سمعان الجينوتيّ في كتابه ضدّ الهراطقة[١٦] وموضوعه: الأسماء الإلهيَّة[١٧]. وأشار كتاب الردِّ على الفلاسفة[١٨] إلى الرفض الكبير[١٩]. ووصل إلينا من باسيليدي إنجيل، هو الإنجيل حسب باسيليدي[٢٠]،

(١٤) في الخطِّ عينه نقرأ كلام يسوع في لو ١١: ٢٤-٢٦: الروح النجس يأتي ومعه «سبعة أرواح آخرين شرّ منه».

(١٥) راجع حاشية ٥، ص ٧٨٣ج.

(١٦) Αντιρητικα.

(١٧) De div. nom. VI, 2, PG III, 587.

(١٨) Philosophoumena VI, 1, edit. Cruice (Paris)1860, p. 249. نشير إلى أنَّ هذا المؤلَّف يتضمَّن عشرة كتب، ويردّ على الهراطقة، ومنهم الغنوصيُّون. P. BATTIFOL, *Anciennes literatures chrétiennes*, Paris, 1898, pp. 155-157

(١٩) Αποφασις μεγαλη

(٢٠) Το κατα βασιλειδιν εαγγελιον

وقد ذكره أوريجان في العظة الأولى في لوقا(٢١). كما ذكره أمبروسيوس في عظاته عن لوقا(٢٢)، وجيروم في مقدِّمته لإنجيل متّى(٢٣). ووصل إلينا تفاسيرُ الإنجيل(٢٤) في أربعة وعشرين كتابًا، كما قال أغريبا كستور وأوسابيوس في **التاريخ الكنسيّ**(٢٥). أورد كتابُ جدال أرخيلاوس ضدّ ماني(٢٦) مقطعين من الكتاب الثالث عشر(٢٧). وأورد كليمان الإسكندرانيّ في **موشّياته**(٢٨) مقطعًا مأخوذًا من الكتاب الثالث والعشرين. وأخيرًا تحدَّث أوريجان عن مدائح ألَّفها باسيليد(٢٩).

وهناك مؤلَّف لإيسيدور عنوانه **خصائص النفس**(٣٠)، ذكره كليمان الإسكندرانيّ في **موشّياته**(٣١)؛ ومؤلَّف آخر عنوانه تفاسير النبيّ برخور(٣٢)، أورد منه كليمان الإسكندرانيّ في **موشّياته أيضًا**(٣٣) مقطعًا من الكتاب الأوّل؛ ومؤلَّف

---

(٢١) In *Luc* hom. 1, *PG* XIII, 1083, SC 87 (Paris, 1962), p. 101
«تجرّأ باسيليد فكتب إنجيلاً وعنونه باسمه».

(٢٢) In *Luc,* 1, 2 *PL* XV, 1533, SC 87 (Paris, 1956), p. 46.
«وباسيليدي أيضًا ما خاف من أن يكتب إنجيلاً حسب باسيليد».

(٢٣) In *Matth,* Préface, *PL* XXVI, 17, SC 242 (Paris, 1977), p. 61.
«أناجيل حسب المصريّين... وباسيليد...».

(٢٤) Εξεγετικα εις το ευαγγελιον

(٢٥) EUSÈBE, *H. E.* IV, 7, *PG* XX, 317, SC 262 (Paris, 1979), pp. 121-123.

(٢٦) Disputatio Archelaï cum Manete.. كان أرخيلاوس أسقفًا في الكنيسة فقام بجدال ضدّ «ثوربو» تلميذ ماني، أو بالأحرى ضدّ ماني نفسه، حوالى السنة ٣٥٠.
B. ALTANER, *Précis de Patrologie*, Salvator, 1941, p. 264.

(٢٧) *Disput.* 55, PG VIII, 1289.

(٢٨) *Stromates* IV, 12, PG VIII, 1289.

(٢٩) C. BAREILLE, "Gnosticisme", *DTC,* t. VI (Paris, 1947), col. 1434.

(٣٠) Περι προσπηυουσ ψυχης

(٣١) *Strom.* II, 20, PG VIII, 1057.

(٣٢) Εξηγητικα τον προφηητον παρχορ

(٣٣) *Strom.* VI, 6, PG IX, 276.

ثالث يتضمّن ارشادات خلقيّة(٣٤)، ذكره كليمان أيضًا في **موشّياته**(٣٥).

وذكر كليمان(٣٦) أيضًا مؤلّفًا حول البرّ(٣٧) لإبيفان. أمّا ترتليان فتكلّم عن مدائح أو مزامير ولنطين في جسد المسيح(٣٨)، وكليمان الإسكندرانيّ عن رسائله(٣٩) ولاسيَّما رسالة إلى أغاثونيوس، وعن عظاته(٤٠)، ومنها عن الأصدقاء(٤١). وأخيرًا، هناك مؤلّف لولنطين حول أصل الشرّ نجد منه جزءًا في الحوارات ضدّ المرقيونيّين(٤٢).

واحتفظ لنا إبيفان في علبة الأدوية(٤٣) المعروف بالهرطقات(٤٤) برسالة إلى فلورا، دوَّنها بطليموس. وتحدَّث إيرينه(٤٥) عن شرح بطليموس لإنجيل يوحنّا. أمّا هرقليون فترك تفسيرًا لإنجيل لوقا(٤٦)، وآخر لإنجيل يوحنّا سوف ينطلق منه

---

(٣٤) Ετικα ου Παραινετικα

(٣٥) *Strom.* III, 1, PG VIII, 1101.

(٣٦) *Strom.* III, 2, PG VIII, 1105.

(٣٧) Περι δικαιοσυνης

(٣٨) *De Carne Christi* 17, *PL* II, 781, SC 216 (Paris, 1975), p. 279.
«لنترك الإسكندر يلفّ قياسات براهينه، فيُدخل فيها بجرأة كبيرة مزامير ولنطين وكأنّها من كاتب قانونيّ (أي بين الأسفار القانونيَّة)».

(٣٩) *Strom.* III, 7, PG VIII, 1161.

(٤٠) *Strom.* VI, 7, PG IX, 276.

(٤١) Περι φιλον

(٤٢) "De maliorigine" dans *Dialogues contre les marcionites, PG* VII, 1273.

(٤٣) Panarion

(٤٤) *Haereses* 33, 3-7; PG VII, 1281-1282

(٤٥) *Contra Haereses* I, 8, 5, *PG* VII, 532, SC 264 (Paris, 1979), PP. 129-137.
يشرح بطليموس يو ١، فيكتشف في كلام الرسول العنصر الأوَّل بين ثمانية عناصر (Ogdoade). وإذ يورد إيرينه الشرح كاملاً يُنهي بهذه العبارة: «هذا ما يقوله بطليموس». ويتابع في ١: ٩، ١: «إذن، ترى يا صديقي العزيز، الشعوذات التي يلجأون إليها ليخدعوا أنفسهم فيُسيئوا استعمال الكتب المقدَّسة ويحاولوا بها أن يجعلوا لخدعتهم متانة».

(٤٦) Clément d'Alexandrie, *Strom.* IV, 9, PG VIII, 1281.

أوريجان فيردُّ عليه في ٤٢ مقطعًا[٤٧]. وذكر ترتليان القياسات للإسكندر في كتاب جسد المسيح[٤٨]. وتحدَّث عن مقالٍ لتيموتيمُس، لم يعطِ عنوانه، فأشار إلى طابع الاستعارة فيه والتشديد على ما في الشريعة من صوَر[٤٩]. وهناك تفسير لأباليسيانس[٥٠] مع قياسات ذُكرت في ترتليان المزعوم[٥١].

وذكر ترتليان لمرقيون رسائل[٥٢]، وقانون موراتوري[٥٣]، وكتاب مزامير، ومقدِّمة القوانين العربيَّة في مجمع نيقية كتاب هدف الحدود[٥٤]. وردَّ ترتليان في كتابه ضدَّ مرقيون[٥٥] على النقائض[٥٦]. وأخيرًا، أورد كليمان الإسكندرانيّ في الموشَّيات تفاسير[٥٧] كاسيان[٥٨]، وأورد مقالاً حول التعفُّف[٥٩] أو حالة الخصيان[٦٠] في الكتاب عينه[٦١].

(٤٧) *PG* VII, 1293-1322; voir E. BROOKE, *The Fragments of Heracleon,* dans Texts and Studies, Cambridge, 1891, t. 1.

(٤٨) *Syllogismi*, PL II, 781.

(٤٩) *Adv. Valent.* 4, PL II, 546, SC 280 (Paris, 1980)

(٥٠) أباليسيانُس (Apelles) هو تلميذ مرقيون، وقد انفصل عنه ليؤسِّس شيعة خاصَّة به. ترك الإيحاءات (Révélations) التي هي روى فيلومين التي تأثَّر بها، وترك القياسات (Syllogismi) التي فيها قدَّم ردّ مرقيون عن العهد الجديد. ترتليان، **تعليمات ضدَّ الهراطقة**، ص ٩٥–٩٦، حاشية ٤.

(٥١) *De Praesciptione* 51, PL II, 71.

(٥٢) *Contra Marcionem* I, 1; IV, 4, *PL* II, 248, 366, SC 365 (Paris, 1990), p. 99.

(٥٣) PL III, 193.

(٥٤) عنوان الكتاب: Ô Liber propositi finis MANSI, Concil., t. II, col. 1057.

(٥٥) *Contra Marcionem* I, 19; IV, 1, PL II, 267, 363-366.

(٥٦) Antithesis

(٥٧) Εξηγητικα

(٥٨) *Strom.* I, 21, PG VIII, 820

(٥٩) Περι Εγκρατειας

(٦٠) Περι ευνουχηιας

(٦١) *Strom.* III, 13, PG VIII, 1192.

ثانيًا– أجزاء غنوصيَّة ومقاطع باقية

لم يبقَ من كلِّ هذا النتاج الغنوصيّ سوى أجزاء مبعثرة في مؤلّفات آباء الكنيسة. فكليمان الإسكندرانيّ جمع ٨٦ مقطعًا ولنطينيًا نُسبت إلى تيودوت، وهو شخصٌ لا نعرف عنه شيئًا. أمّا الكتاب فعنوانه مقتطفات من أعمال تيودوت ومن المدرسة المسمّاة شرقيَّة، في زمن ولنطين(٦٢)، وقد جعله كليمان بين الموشَّيات ومختارات من الأنبياء.

نورد في هذا الكتاب المقطع الأوَّل الذي يتحدَّث عن الزرع البنفماتيكيّ في يسوع، زرع البنفما أي الروح:

١– «قال يسوع: أيُّها الآب، أضع روحي (بنفما) بين يديك. وقال تيودوت: أصدرت الحكمةُ(٦٣) من أجل «لوغوس» (الكلمة) عنصرًا بشريًا (لحميًا، πνευματικη σαρκιον)، الزرع البنفماتيكيّ. ونزل المخلِّص وهو يلتحف هذا الزرع(٦٤). ٢– وحصل أنَّه في آلامه، سلَّم(٦٥) الحكمةَ إلى أبيه ليردَّها إليه أبوه فلا يحفظه على الأرض أولئك الذين يقدرون أن ينتزعوها منه(٦٦). وهكذا بالكلمة التي وردت أعلاه، سلَّم إلى أبيه كلَّ الزرع البنفماتيكيّ(٦٧)، كلّ المختارين. ٣– نسمّي نحن(٦٨) هذا "الزرع المختار" "شرارة يشعلها لوغوس"، "حدقة العين"، "حبَّة الخردل"، "الخمير"

---

(٦٢) CL. D'ALEXANDRIE, *Extraits de Théodote,* SC 23 (Paris, 1948) : *Εκ τον θεοδοτον*

(٦٣) الحكمة التي هي بنفما πνευμα (روح) سقط من عالم القوى الإلهيَّة (ملء الدهور)، هي في الوقت عينه وسيط المختارين البنفماتيّين ونموذجهم الأوَّل.

(٦٤) يُشار هنا إلى ناموس الالتحاف. ونلاحظ في هذه العبارة فعل «نزل» (كاتيلتن κατηλθον) الذي هو خاصّ بالعالم الغنوصيّ.

(٦٥) Παρατιθεται. رج ١: ١ (أسلم روحي، بنفما). هناك علاقة مباشرة بين البنفما والزرع البنفماتيكيّ: نحن أمام طبيعة واحدة هي جوهر اللاهوت. وهنا، نفهم أنَّ الحكمة (صوفيا σωφια) = الروح (بنفما πνευμα).

(٦٦) هم الأراكين السبعة الذين يُشرفون على السماوات السبع التي تقوم الواحدة فوق الأخرى. تلك صورة معروفة جدًّا في القرن الثاني المسيحيّ.

(٦٧) هذا يعني أنَّ الحكمة، تتضمَّن كلَّ الزرع البنفماتيكيّ، الولنطينيّ. هي ينبوع هذا الزرع، ومصيره فيها.

(٦٨) يدلُّ ضمير المتكلِّم الجمع على كليمان الذي يُعطي رأيه في هذا المقال.

الذي "يوحِّد في الإيمان الأعراف التي بدت منقسمة"(٦٩).

ونورد المقطع الثاني:

«لكنَّ الولنطينيّين يقولون: حين جُبل «الجسد النفسيّ»(٧٠)، وضع اللوغوس زرعَ ذكر في النفس "المختارة" التي كانت راقدة. ٢- وهذا الزرع هو فيض(٧١) العنصر الملائكيّ(٧٢) لئلاّ يكون نقص. وقد عمل هذا الزرع مثل خمير، فوحَّد ما بدا منقسمًا أي النفس والبشر (أو البدن، اللحم) اللذين أفضتهما الحكمة كجزئين مميَّزَين(٧٣). والرقاد(٧٤)، بالنسبة إلى آدم، كان نسيان النفس التي حافظ عليها الزرع البنفماتيّ لئلاّ تنحلّ، وهو زرع وضعه المخلِّص في النفس. هذا الزرع كان فيض العنصر الذكريّ والملائكيّ. لهذا، قال المخلِّص: "أنجُ أنتَ ونفسك"»(٧٥).

ماذا نستخلص من هذا المقطع الثاني؟ أوّلاً: هناك تمييز بين ثلاثة عناصر: الروحيّ (بنفماتيكيّ، بنفما)، النفسيّ (بسيخيكيّ، بسيخي)، واللحم (ساركس، بدن، بشر). والحكمة (التي هي بنفماتيكيَّة) تقف على رأس النفسيّ واللحميّ اللذين خرجا منها. ثانيًا: على مستوى تكوين آدم اللامنظور، وُضعت «البنفما» في النفسيّ خلال رقاده. وهنا، اللوغوس (٢: ١) أو المخلِّص (٢: ٢) يضع هذه الوديعة. أمّا في ٥٣: ٢ فالحكمة تقوم بهذا العمل. وهكذا نفهم أنَّ دور المخلِّص

---

(٦٩) ١ بط ٢: ٩؛ إش ٤٣: ٢٠؛ تث ٣٢: ١٠؛ مت ١٣: ٣١؛ أف ٤: ١٣.

(٧٠) ما معنى الجسد النفسيّ (بسيخي ψυχη)؟ رج المقطع ٥٠ و٥١: ١-٢ (مقتطفات، ص ١٦٢-١٦٧). «أخذ الخالق (ديميورغوس δημιουργος) الطين (لبخوس λεπχος) وفبرك «نفسًا من الأرض، هيوليَّة» هي «مثل لحم» النفس النفسيَّة.

(٧١) απαρροια

(٧٢) الذكر يتماهى مع الملائكيّ. هذا ما نقرأ أدناه، كما نقرأه في ٢١: ١.

(٧٣) تبدو الحكمة شخصًا جامعًا: هي تحتلّ الزرع البنفماتيكيّ. كما أنَّها على رأس العنصرين الآخرين (النفسيّ والهيوليّ) اللذين يصدران منها.

(٧٤) رج تك ٢: ٢١. نلاحظ استعمال النصّ البيبليّ في الأقوال الغنوصيَّة.

(٧٥) أنت أي الزرع البنفماتيكيّ الذي هو الأنا الحقيقيّ عند ولنطين. هذا الآن يلتحف (تحيط به) بالنفس (بسيخي). رج لو ١٢: ٢٠ حيث يقال للغنيّ الجاهل: «اليوم تؤخذ منك نفسك». هذا يعني، بحسب الغنوصيّين، أنّا أمام عنصرين: أنا ونفسي.

يلتقي مع دور الحكمة. ثالثًا: الزرع الذي يُوضع هو فيضٌ من عنصر «الذكر» أو «الملائكيّ». هذا لا يعني أنّه ذكر، بل يرتبط بالذكر (٢١؛ ٢٢؛ ٣٥؛ ٣٦).

ثالثًا– نصوص نجع حمّادي

بدأت اكتشافات[٧٦] نصوص نجع حمّادي في نهاية ١٩٤٥. لكنّ النصوص وصلت إلى أيدي العلماء، السنة ١٩٤٧. نُشرت هذه النصوص صورًا، ونُقلت إلى الإنكليزيّة، وهي تُنقل الآن إلى الفرنسيّة. تضمّنت ١٣ مجموعة (أو كودكس)، جُمعت في ١١٥٣ صفحة. من صلاة الرسول بولس، إلى رسالة منحولة ليعقوب، إلى إنجيل الحقّ، إلى مقال في القيامة، إلى مقال مثلّث الأجزاء يتحدّث عن الله وعمله في الزمن، وما قبل الزمن.

في الكودكس الثاني نجد منحول يوحنّا. نحن أمام فكرة أدبيّة تجعل المسيح القائم من الموت يحمل وحيًا إلى يوحنّا بن زبدى. وفي الواقع، نجد وصفًا عن أصل العالم وسقطة الإنسان وخلاصه. وهكذا نجد الجواب عن سؤالين طرحهما العالم الغنوصيّ: ما هو أصل الشرّ في الكون؟ كيف يستطيع الإنسان أن يُفلت من هذا الشرّ وينضمّ إلى الموطن السماويّ؟

أمّا إنجيل توما الذي عُرف في اليونانيّة قبل أن يُكشَف في القبطيّة، في الكودكس الثاني، فهو وحيُ كلماتٍ سرّيّة ليودا (توما) الذي لُقّب بالتوأم، أي توأم المخلِّص. نقرأ في هذا الإنجيل ١١٤ قولاً. نورد بعضًا منها:

١– «وقال: من وجد تفسيرَ هذه الأقوال لن يذوق الموت؛ ٢– قال يسوع: من يطلب لا يكلّ عن الطلب إلى أن يجد. وحين يجد سيقلق. وحين يقلق سيندهش ويملك على كلِّ شيء؛ ٥– قال يسوع: إعرفْ ما (أو: من) هو أمامك، فيُكشفَ لك ما خفيَ عنك، لأنّه لا خفيٌّ إلاّ سيظهر (مر ٤: ٢٢؛ مت ١٠:

(٧٦) M. de MERODE, "Nag Hammadi" in *Dict. Enc. de la Bible (*Brepols, 1987), pp. 885-888; R. KUNTZMANN et J.-D. DUBOIS, *Nag Hammadi, Evangile selon Thomas. Textes gnostiques aux origines du christianisme,* CE 58, supplément, Paris, 1987.

٢٦)؛ ٦– وسأله تلاميذه وقالوا له: أتريد أن نصوم؟ كيف نصلّي ونعطي صدقة؟ وأيّة ممارسات طعاميَّة نحافظ عليها؟ فقال يسوع: لا تكذبوا، ولا مغطّى إلاّ ويكشف؛ ٢٠– وقال التلاميذ ليسوع: قل لنا ماذا يشبه ملكوتُ السماوات. قال لهم: يشبه حبَّة خردل، وهي أصغر جميع المزروعات. ولكن حين تسقط في الأرض المزروعة، تعطي غصنًا كبيرًا يُصبح ملجأ لعصافير السماء».

نستطيع أن نعطي الكثير من هذه الأقوال التي تشبه ما تقوله الأناجيل الأربعة أو تبتعد عنه. إنَّها تشدِّد على معرفة الذات، على دور المخلِّص، على شخص آدم... هنا نشير إلى أنَّ «إنجيل الحقّ» الذي ذكرناه، ليس بإنجيل في شكله ولا في مضمونه. بل هو تأمُّل يتركَّز على الإنسان. أمّا «إنجيل فيلبُّس»، فيبدو بشكل فقاهة وتعليم من أجل الموعوظين مع تركيز على المسيح وعلى الأسرار. و«إنجيل المصريّين» هو مقال يتحدَّث عن الآب، والروح العظيم واللامنظور، عن أصل العالم السماويّ ونسل شيت.

نكتفي بهذا القدر من أدب نجع حمّادي، كما اكتفينا بمقطعين من مقتطفات من أعمال تيودوت. فالأدب الغنوصيّ واسع جدًّا ومتشعِّب. وهذا ما نعود إليه بعد أن نذكر الكتّاب الكنسيّين الذين تحدَّثوا عن الغنوصيَّة.

رابعًا – الآباء والردّ على الغنوصيّين

– نظرة شاملة: لولا نصوص نجع حمّادي، لما كان لنا من نصوص الغنوصيّين سوى النزر القليل. لهذا، وجب علينا أن نكتشف آثارهم في مؤلَّفات الكتّاب الكنسيّين الذين ردُّوا عليهم وأوردوا بعض نصوصهم. فنحن لا نجد منذ القرن الثاني أو بداية القرن الثالث كاتبًا كنسيًّا لم يكتب ضدّ الهرطقات، أو ضدّ هرطقة من الهرطقات، أو ضدّ أحد رؤساء الغنوصيَّة، أو ضدّ موضوع خاصّ تعرَّض له الغنوصيّون. فنحن نعرف مثلاً أن يوستين (ابن نابلس في فلسطين) ألَّف كتابًا **ضدّ الهراطقة** يذكره في **دفاعه**(٧٧)، وآخر ضدّ مرقيون أشار إليه

(٧٧) *Apologie* 1, 26. Le Titre: συνταγμα κατα πασων των γεγενημενον αιρε-σιων. *La philosophie passe au Christ* (Paris, 1958), pp. 53-54.

إيرينه(٧٨). وحارب أغريبّا كستورُ باسيليد وردَّ عليه في مؤلَّف يشير إليه أوسابيوس في **التاريخ الكنسيّ**(٧٩) ولا يذكر عنوانه. ويشير أوسابيوس(٨٠) أيضًا إلى مؤلَّف آخر لرودون ردَّ فيه على هرطقة مرقيون. كما يشير إلى كتاب فيلبُّس الغورتيني ومودستس(٨١). وكتب هيبوليت عن مرقيون(٨٢) وعن الهراطقة(٨٣). ومثله فعل تيوفيل الأنطاكيّ(٨٤). وأخيرًا تحدَّث أوسابيوس عن كتاب لبرديصان عنوانه: **حوار مع مرقيون**(٨٥).

وهناك مؤلَّفات عديدة عارضت الغنوصيَّة، ولم تصل إلينا. نذكر حوارًا مع كنديد الولنطينيّ لأوريجان ذكره جيروم. ونسب أوسابيوس إلى إيرينه كتابًا أوَّلَ يقول فيه إنَّ الله ليس خالقَ الموت، وكتابًا ثانيًا يردُّ فيه على الغنوصيَّة الولنطينيَّة. ويعلِّمنا ترتليان نفسه «**في النفس**» أنَّه كتب ضدّ هرموجينيس وأباليسيانس(٨٦).

نودُّ أن نتوقَّف هنا عند كاتبين اثنين ردًّا على «الهرطقة» الغنوصيَّة، هما إيرينه وترتليان.

* * *

(٧٨) *Contre Haer.* IV, 6, 2, *PG* VII, 987, SC (100 (Paris, 1965), p. 441.
«وقال يوستين بحقٍّ ضدَّ مرقيون: ما كنتُ آمنت بالربِّ نفسه لو أعلن إلهًا آخر سوى خالقنا وصانعنا ومعيلنا...».

(٧٩) .*H.E.* IV, 7, *PG* XX, 460

(٨٠) .*H.E.* IV, 13, *PG* XX, 460

(٨١) *H.E.* IV, 25; *PG* XX, 389. Le titre: κατα μαρκιονος

(٨٢) Κατα μαρκιονος

(٨٣) *H.E.* VI, 22; *PG* XX, 576. Προς απασας τας αιρεσεις

(٨٤) Κατα μαρκιονος; Προς την αιρεσιν ερμογενους, *H.E.* IV, 24; PG XX, 389.

(٨٥) نلاحظ الردود العديدة على مرقيون: .H.E. IV, 30; PG XX, 401

(٨٦) *DTC* VI (Paris, 1947), col. 1436; J. QUASTEN, *Initiation aux Pères de l'Église,* I (Paris, 1955), p. 319-328.

*** إيرينه:**

هو أسقف ليون (فرنسا) وأهمُّ لاهوتيّ في القرن الثاني. وُلد بين عامي ١٤٠ و١٦٠. دوَّن كتابًا يُسمّى **ضدّ الهراطقة**. أمّا عنوانه الأساسيّ فهو: **بحثٌ في الغنوصيَّة (أو: المعرفة) المزعومة والكاذبة، وردٌّ عليها**(٨٧). في القسم الأوَّل، بحثٌ عن الهرطقة الغنوصيَّة. وفي القسم الثاني، ردٌّ عليها. في الكتاب الأوَّل، عالج بدايات الغنوصيَّة، فتكلَّم عن سمعان الساحر وميناندري، وأورد أسماء المدارس (الشيَع) الغنوصيَّة، وهم: ساتورنيل، باسيليد، كاربوكرات، فيرنتيس، الأبيونيّون، النيقولاويّون، قردون، مرقيون، تاتيان، المتعفِّفون. أمّا القسم الثاني فيتضمَّن أربعة كتب: في الكتاب الثاني ردَّ إيريناوس على الغنوصيَّة الولنطينيَّة والمرقيونيَّة مستندًا إلى العقل؛ في الكتاب الثالث، استند إلى تعليم الكنيسة حول الله والمسيح؛ وفي الرابع استند إلى أقوال الربّ؛ وفي الخامس، توقَّف أسقف ليون، بشكل شبه حصريّ، عند قيامة الجسد التي ينكرها جميع الهراطقة(٨٨).

حين يصوّر إيرينه المعتقد الغنوصيّ، استند إلى قراءة للمقالات الغنوصيَّة. كما استند إلى كتّاب حاربوا هذه الهرطقة. إلاَّ أنَّه يصعب علينا تحديدُ هذه المصادر، لأنَّها ضاعت كلُّها تقريبًا، منها مثلاً: أقوال بابياس، أسقف هيرابوليس (منبج). أقوال شيوخ آسية الصغرى، مقال ضدّ مرقيون (يوستين). واستعمل إيرينه كتابَي تيوفيل، ضدَّ الغنوصيّين، ضدَّ هرموجين وضدّ مرقيون.

وها نحن نقدِّم من إيريناوس مقطعًا أوَّلَ من مقدِّمة كتابه عن **الهرطقات:**

«رفض بعضهم الحقيقة، فأدخلوا أقوالاً كاذبة "وأنسابًا لا نهاية لها تتوخّى تحريك الأسئلة، وكما يقول الرسول، لا تخدم بناء الله المؤسَّس على الإيمان" (١ تم ١: ٤). فبمعقوليَّة مبنيَّة بناء كاذبًا، يضلُّون عقل الجهّال، ويخضعونهم لهم، ويشوِّهون أقوال الله، ويجعلون من نفوسهم مفسِّرين أردياء لِما عُبِّر عنه تعبيرًا

(٨٧) Ελεγχος και ανατροπη της φευδοηυμους γνωσηος

(٨٨) QUASTEN, I, p. 331.

حسنًا. وهكذا يتسبَّبون في دمار الكثيرين، فيحيدون بهم، متذرِّعين بالغنوصيَّة أو العرفان، عن ذاك الذي كوَّن العالم ورتَّبه: فيظنُّون أنَّهم يستطيعون أن يُظهروا شيئًا أرفع وأعظم من الإله الذي صنع السماوات والأرض وكلَّ ما فيها (خر ٢٠: ١١؛ مز ١٤٦: ٦). يبتدئون فيجتذبون البسطاء إلى الاهتمام بالبحث، بشكل مموَّه وبخطاب "ماهر". بعد ذلك، لا يعودون يهتمُّون بالمعقوليَّة، فيضلُّون هؤلاء التعساء، ويُدخلون أفكار تجديف وكفر على الخالق، لدى أناس لا يقدرون أن يميِّزوا الكذبَ من الحقّ»[٨٩].

بعد هذه المقدِّمة التي يتحدَّث فيها إيريناوس عن الإيّونات[٩٠] الأولى، يورد تعليم بطليموس، أحد رؤساء مدرسة ولنطين، فيذكر النهج الذي يتحدَّث عن ولادة إيّونات في العوالم السماويَّة. إنَّ سلسلة هذه العناصر تشكِّل الملء[٩١]، وذلك قبل مرحلة خلق الكون والعالم المصنوع. وسوف نلاحظ الولادات المتعاقبة مع الذكَر والمرأة ومجموعة القرناء[٩٢] التي تملأ المناطق السماويَّة، فوق الفلك (١/١: ١-٣، ص ٢٩-٣٣).

«يقولون: هناك في الأعالي اللامنظورة (اللامسمّاة) إيّونٌ كامل وسابق لكلِّ شيء. هذا الإيّون، الذي يُدعى مبدأ سابقًا وأبًا سابقًا وغورًا، هو لا يُفهم ولا يُرى، أزليٌّ وغير مولود. كان في راحة تامَّة وهدوء خلال اللامحدود من الدهور، معه وُجد الفكر[٩٣] الذي يسمُّونه أيضًا النعمة والسكينة. في يوم من الأيّام، فكَّر هذا الغور بأن يُصدر من ذاته العقل. فوضعه بشكل زرع في قلب السكينة رفيقته.

(٨٩) SC 264 (Paris, 1979) P. 19.

(٩٠) αιων: لفظة يونانيَّة تدلُّ على الزمن والأبديَّة، على الكائنات، على الملء، وذلك بحسب سياق النصّ. رج الآن، الآونة، الأوان، في اللغة العربيَّة.

(٩١) Πληρωμα: الملء والكلّيَّة. مجمع العناصر (Eons)، (ملك، والملكوت لدى الآب).

(٩٢) σμζυγος: من هما تحت نير واحد. قرين، زوج. المقرون بآخر. عنصران مزدوجان ومتَّحدان.

(٩٣) في اليونانيَّة εννοια واللاتينيَّة: Ennoia

فحين تقبَّلت السكينة هذا الزرع، حبلت وولدت العقل[٩٤] الذي هو شبيهٌ ومساوٍ للذي أصدره، وهو وحدَه يقدر أن يفهم عظة الآب. ويُسمُّون هذا العقل أيضًا (المولود) الوحيد[٩٥]، أبا كلِّ شيء ومبدأه. معه صدرت الحقيقة. تلك هي الرباعيَّة الأوّلانيَّة والأساسيَّة الفيتاغوريَّة التي يسمُّونها أيضًا جذر كلِّ شيء. هي الغور والسكينة ثمَّ العقل والحقيقة. وعى الوحيدُ ما لأجله أُصدر، فأصدر بدوره اللوغوس (الكلمة) والحياة. هو أبو جميع الذين يأتون بالقران[٩٦]. تلك هي الثمانيَّة[٩٧]، جذرُ كلِّ شيء وجوهره، التي تُسمّى لديهم بأربعة أسماء: الغور، العقل، اللوغوس، الإنسان. كلٌّ واحد من هؤلاء ذكرٌ وأنثى: أوَّلاً، اتَّحد الآبُ السابق، حسب مبدإ القران، بفكره الذي يسمُّونه النعمة والسكينة. ثمَّ الوحيد (الذي يُدعى العقل) اتَّحد بالحقيقة، واللوغوس بالحياة، والإنسان بالكنيسة».

*** ترتليان**

سار ترتليان في خطِّ إيرينه، فامتثل به في مقاله **ضدَّ الهراطقة**، وكتابه ضدَّ ولنطين. وجادل الأفكار الغنوصيَّة في كتبه **حول النفس، وقيامة الجسد، وجسد المسيح**.

نذكر هنا أنَّ ترتليانُ وُلد، حوالى العام ١٥٥، في قرطاجة من والدَين وثنيّين. درس المحاماة دراسة عميقة واهتدى إلى الإيمان، العام ١٩٣. عندئذ كانت كتاباته حربًا على الوثنيّين واليهود وعلى الهراطقة، بانتظار أن يهاجم المستقيمي الرأي أنفسَهم حين أخذ بالمونتانيَّة التي ارتبطت بالروح القدس، وشدَّدت على نهاية قريبة للعالم[٩٨]. أمّا مقاله في إسقاط دعوى على الهراطقة، فقد أملاه عليه واجبٌ كنسيّ، حين أحسَّ بضعف النفوس الموكولة إلى رعايته. وفُرض عليه أن يردَّ

(٩٤) في اليونانيَّة، νους، وكذلك في اللاتينيَّة.Nous

(٩٥) μομογενης في اليونانيَّة. وفي اللاتينيَّة Unigenitum

(٩٦) συζυγια: الربط بين فرسين. رج حاشية ٩٢.

(٩٧) Ogdoade: الأفلاك العليا الثمانية. في السماء الثامنة، تقيم الأمّ أو صوفيا (أي الحكمة).

(٩٨) QUASTEN, II, (1956) p. 293-295.

بسبب الظروف الراهنة، وأن يدافع عن إيمان المسيحيّين الضعفاء، عن السذّج، من سحر الهرطقات، وأن يوقف حركة الارتدادات لدى مسيحيّين تخلّوا عن الإيمان القويم. فالهرطقة شكّلت خطرًا حقيقيًّا على الكنيسة، لأنّها أرادت أن تزاحمها، فأضعفتها بعد أن استمالت بعض المسيحيّين إليها.

ووجد ترتليانُ نفسَه أمام شكلين من الهرطقة: الأوّل، يمثّله مرقيون وتلميذه أباليسيانُس، والثاني، ولنطينُ ومرافقه. أراد مرقيون الإصلاح، لا التجديد. أراد أن يستعيد وجه الإيمان المسيحيّ قبل أن تشوّهه الشريعانيّة[٩٩] اليهوديّة. فنقّى العهد الجديد من كلِّ آثار العهد القديم. أمّا ولنطين فكان تعامله مع الكتاب المقدّس مغايرًا. حافظ على الأسفار المقدّسة، ولكنّه كيّفها مع نهجه الفكريّ. وما الذي يبرّر تفسير الغنوصيّين للكتب المقدّسة؟ نالوا موهبةً تشبه موهبة الرسل. بل نالوا تقاليد خفيّة سلّمها المسيح إلى بعض الرسل بشكل خاصّ، فتسلّمها الغنوصيّون وحدَهم وحافظوا عليها. يقولون إنّ يسوع أعطى نوعَين من التعليم: واحدًا يتوجّه إلى عامّة الشعب، وآخرَ إلى المتدرِّجين، إلى الغنوصيّين. قال بطليموس لفلورا:

«إن سمح الله، ستنالين في ما بعد أيضاحاتٍ أدقّ... حين تُعتَبرين جديرة بأن تعرفي تقليد الرسل، وهو تقليدٌ تسلّمناه نحن أيضًا عن طريق التسلسل»[١٠٠].

أمّا كتاب ترتليان: **الردّ على الولنطينيّين**[١٠١] فهو «رواية» ترتبط بإطار البلاغة في أيّامه. يقابل تعليم ولنطين الباطنيّ مع أسرار إلوسيس[١٠٢] مع الرغبة في الإكثار من عدد المتدرِّجين، وتضاعف عدد الشيع. وها نحن نقدّم مقطعًا من هذا الكتاب:

«الولنطينيّون هم تجمُّع الهراطقة الأكثر عددًا، لأنّهم جاؤوا بأكثريّتهم من بين أولئك الذين جحدوا الحقّ، فرَضوا بالسُطُر (والميثات). فالولنطينيّون يهتمّون كلّ

---

(٩٩) Légalisme أي تعلّق أعمى بالشريعة.

(١٠٠) G. QUISPEL, SC 24, p. 69 cité dans *Prescription*, p. 17, n. 3.

(١٠١) *Contre les Valentinens*, SC 280, Paris, 1980

(١٠٢) مرفأ يونانيّ (Eleusis) عُبدت فيه إلاهة الخصب Demeter

الاهتمام بإخفاء ما يعلِّمون، هذا إذا كان التعليم يعني الإخفاء. ففرضُ الصمت هو قناعٌ للوجدان. وما يعلِّمون هو عارٌ، بينما يؤكِّدون أنَّه ديانة. هي تشبه أسرار إلوسيس، وهي "هرطقة" نجدها في قلب الشعوذة الأثينيَّة: ما لا يقال هو الخزي. لهذا، يبدأون فيجعلون الدخول صعبًا، ويطيلون زمن التنشئة قبل أن يصلوا إلى التكريس. يبدأون بتعليم الآتين خلال خمس سنوات، وهم يتوخَّون أن يكوِّنوا المعتقدات فيؤخِّروا زمن المعرفة ليجعلوا الناس يشعرون أنَّهم يُرونهم إلهًا، هو على قدر الرغبة التي حرَّكوها. عندئذٍ تأتي قاعدة الصمت...».

٢. تيّارات وأسماء

بعد هذه النظرة الشاملة، رأينا أنَّنا لسنا أمام غنوصيَّة واحدة، وتيّار واحدٍ سار وراءه كلُّ الذين دعاهم كتّابُ الكنيسة «غنوصيّين». لهذا، نبدأ بسرد التيّارات الغنوصيَّة المتنوِّعة، قبل أن نصل إلى بعض الأسماء، مثل باسيليد وولنطين وغيرهما.

أ- تيّاراتٌ غنوصيَّة

نذكر هنا ثلاث فئات: القينيّين الذين يرتبطون بقايين فيفضِّلونه على هابيل. وإلى جانبهم يقف الآدميّون والشيتيّون. ثمَّ البربيليّون، وأخيرًا الأوفيّون الذين جمعناهم مع الحنشيّين، لارتباطهم بعبادة الحيَّة التي تُلهم فكرهم.

أوّلاً- القينيّون

نشأوا في القرن الثاني المسيحيّ(١٠٣) وتسمَّوا باسمِ كُتب بأشكال عديدة(١٠٤). تحدَّث عنهم ترتليان على أنَّهم من شيعة النيقولاويّين(١٠٥)، والهرطقة القينيَّة. لعب القينيّون دورًا بسيطًا. لم يكن تأثيرهم كبيرًا، شأنهم شأن تبّاع مرقيون وباسيليد

(١٠٣) G. BAREILLE, "Caïnite", *DTC* II (Paris, 1932), col. 1307-1309.

(١٠٤) Καιανισται chez Clément d'Alexandrie, *Strom.* VII, 17; *PG* IX, 553; καιανοι chez Epiphane (*Haer.* XXXVIII, I, *PG* XLI, 656)...

(١٠٥) *Prescription* XXXIII, 10, p. 134.

وولنطين. لهذا، لم يلفتوا نظر آباء الكنيسة والمؤرِّخين. غير أنَّ تعليمهم يبدو أصيلاً، لأنَّهم راحوا إلى النهاية، إلى غاية التطرُّف، بالمبادئ الأساسيَّة للغنوصيَّة: المعارضة بين الإله الخالق والإله الفادي، والمعارضة بين النفس والجسد. أعادوا اعتبار أشخاص ممقوتين في العهدَين القديم والجديد، مثل قايين (الذي تسمَّوا باسمه) ويهوذا الخائن، فقدَّموهم لسامعيهم على أنَّهم المستودع الحقيقيّ للحقيقة الموحى بها، بعد أن اضطهدهم الإله الخالق. وإذا ما اعتمدنا على ما جاء عند إيرينه (**ضدّ الهراطقة**، ١/٣١: ١-٤)، وإبيفان (**عن الهراطقة**، ٣٨: ١)، وترتليان (**إسقاط**، ٣٣: ١)، نفهم أنَّهم استندوا إلى طابع الشرّ في الجسد، ليبرِّروا تحرُّر الغرائز في أبشع مظاهرها.

وأعلمنا ترتليانس أنَّ القينيّين رفضوا المعموديَّة، التي حافظ عليها مرقيون فلم يكن منطقيًّا مع نفسه[١٠٦]. فالثنائيَّة المطلقة التي نادى بها هؤلاء (التعليم حول التبرير بالإيمان وحده[١٠٧])، جعلتهم يرفضون كلَّ وساخة على مستوى الجسد، وبالتالي المعموديَّة. ودفع القينيّون إلى النهاية نتائج هذه المبادئ. وإن كانوا لم يمارسوا تأثيرًا أكبر، فلأنَّ الحياة تتوافق بصعوبة مع نهج منطقيّ مجرَّد، ولأنَّهم لم يحصلوا على «معلِّمين» حقيقيّين، ومفكِّرين أشدّاء.

في قرطاجة، تكلَّمت باسم القينيّين امرأةٌ. لكنَّ رغبة الاستمالة عندها سبَّبت خرابًا لدى مسيحيّين نقصهم التكوين الدينيّ. وهذا ما شغل بال «رسولٍ»، مثل ترتليان، فانبرى يدافع عن الجماعة المسيحيّة ضدّ مثل هذه الدعاوة. عند ذاك وجَّه

---

(١٠٦) *Adv. Marcionem* I, 28

(١٠٧) TERTULLIEN, *Traité du Baptême,* SC 35 (Paris, 1952), p. 85.
«ليس العماد بضروريّ للذين يكفيهم الإيمان وحده: فإبراهيم وجد حظوة أمام الله، لا بسرِّ الماء، بل بسرِّ الإيمان».

إلى الموعوظين، وإلى المعمَّدين الجدد سلسلةً من العظات والتعاليم جمعها في مقاله **حول العماد**[١٠٨].

كيف بدا تعليم القينيّين في هذا الخضمّ الغنوصيّ؟ رفضوا رفضًا عنيفًا إله التوراة والعالم اليهوديّ والشريعة الموسويَّة، واعتبروا أعمال فلتانهم أعمالاً تستحقُّ الخلاص. فيهوه، في نظرهم، هو إله أدنى. معرفتُه وسلطته محدودتان. إنَّه ثائر على المبدإ الأسمى، على الإله الصالح. وهو يمارس على العالم الذي خلقه سلطة لا تُطاق. لهذا فهو عدوُّ الله وعدوُّ الجنس البشريّ.

لهذا، يجب الإقرار بالسلطة السامية للإله الصالح وصديق البشر، والعودة إليه في شجب خلق الكون. وأفضل وسيلة لذلك هي الثأر لأشخاص لُعنوا في العهد القديم، واعتبارهم أبطالاً وقدّيسين وأبناء الله الحقيقيّين الذين تجاهلهم يهوه وأساءَ معاملتهم[١٠٩].

صوفيّا هو اسم الله الصالح. εντερα (الرحم) هو اسم إله اليهود. حبلت حوّاء من صوفيّا فولدت قايين. ومن εντερα فولدت هابيل. وحين قتل قايين هابيل، برهن على سموِّ المبدإ الذي خرج منه، وفتح الطريق الواجب اتِّباعه في وجه هسترا (الرحم) ونسلها. حاول «الخالق» أن يثأر من حام وداتان وقورح وأهل سدوم. ولكنْ حماهم الله الصالح، وأرسل إلى العالم مخلِّصًا. حاول الخالق أن يُفشل عمل الفداء، لكنَّه لم يستطع، لأنَّ يهوذا الذي تمتَّع بالحيلة والقوَّة، وهو ابن صوفيّا، أفشل محاولات الخالق. نجح في تدخُّله، فاستحقَّ لأجل عمله كلَّ إكرام من القينيّين. فيهوذا يقيم في التقليد الحقّ، وهو يمتلك سرَّ المعرفة المحرِّرة. كان الوارث الأمين لتعليم سرّيٍّ استُودِع، منذ البدء، قايين. أمّا المخلِّص، فبعد أن أسلم الروح على الصليب، زار الجحيم، وخلَّص نفوس الأبرار، أي جميع الذين حكم

(١٠٨) المرجع السابق، ص ١٠-١١.

(١٠٩) IRÉNÉE, *Contra Haer.*, I, 31, 1-2; *PG* VII, 704-705

عليهم العهد القديم، وترك هناك الآباء (إبراهيم، إسحاق، يعقوب) وموسى والأنبياء، أي أولئك الذي ألّفوا نسل الخالق.

مثل هذا التعليم أثّر في عقولٍ ضاع توازنُها وفي قلوبٍ فسُدت في عمقها. غير أنّه لم يتجاوز حلقة ضيّقة من المتدرّجين على مثال ما نجد اليوم في بعض الشيع والحركات التي تقود إلى حياةٍ من الفلتان ترفض كلّ تعليم أخلاقيّ.

ثانيًا– البربيليّون:

قبل الحديث عن البربيليّين نميّز ثلاثة أنواع من الشيع الغنوصيّة، وهي: شيَعٌ رئيسيّة تسمّت باسم مؤسّسها: تلاميذ باسيليد ومرقيون وولنطين؛ شيع تسمّت باسم أبٍ من آباء العهد القديم (آدم، شيت، قايين): فارتبط القينيّون الذين ذكرناهم بقايين، والشيتيّون بشيت، والآدميّون بآدم. أمّا الفئة الثالثة من الشيع، فارتبطت بإيّون عزيزٍ عليها: فالبربيليّون، كما يسمّيهم إبيفان[١١٠]، يرتبطون بإيّون يسمّيه «بربيلو» كلٌّ من إيرينه وإبيفان وفيلستروس وجيروم وصاحب «بستيس صوفيا» (الإيمان الحكمة).

من أين تأتي بربيلو (أو بربيرو كما قال تيودوريه)؟ جاءت من العبريّة. اعتاد الغنوصيّون أن يأخذوا كلماتٍ من اللغة العبريّة كي يفرضوا أنفسهم على البسطاء، على ما قال تيودوريه القورشيّ. فهي تعود إلى «بربا إيلو» أي الإله المربّع الذي ينبثق من بربيلو، على ما قال إيرينه (**ضدّ الهراطقة**، ١/٢٩: ١). أو ترجع إلى «بليل»، كما في التراجيم، للدلالة على البلبلة الأولى وبذار الخواء الذي منه استخرج الله العالم. وقال رأيٌ آخر: «بر إيل»، أي ابن الله.

مهما يكن من أصل لفظة بربيلو، نورد هنا ما قاله إيرينه عن البربيليّين، بعد حديثه عن فئات غنوصيّة أخرى:

«بالإضافة إلى هؤلاء، هناك السيمونيّون الذين تحدّثنا عنهم أعلاه. فلقد ولّدوا عددًا من "الغنوصيّين" الذين أفرخوا كالفطر الخارج من الأرض. وها نحن نورد تعاليمهم الرئيسيّة:

(١١٠) *Haer.* XXVI, 1, *PG* XLI, 332; cf THÉODORET, *Haer. Fal.* I, 13; *PG* LXXXIII, 361.

«البعض منهم وضع في أساس نهجه إيّونًا غريبًا عن كلِّ شيخوخة في روح بتوليّ يسمّونه «بربيلو»؛ يقولون: وُجد في هذا الروح أبٌ لا يُسمّى. فكَّر بأن يتجلّى لبربيلو هذا. ولمّا ظهر هذا "الفكر"[١١١]، وقف في حضرته وطلب «المعرفة السابقة». فلمّا ظهرت هذه المعرفة السابقة[١١٢]، طلبت بدورها رجالاً، فظهر «اللافساد» ثمَّ "الحياة الأبديَّة". فرحتْ بربيلو بكلِّ هذه الإنجابات. ولمّا نظرت إلى العظمة، حلت وهي فرحة بأن تراها، فولدت نورًا يشبه هذه العظمة. ذاك هو، على ما يقولون، بدءُ الاستنارة وولادة كلِّ شيء. فحين رأى الآب هذا النور، مسحه بفضله لكي يضحي كاملاً: هو المسيح، كما يقولون. وهذا (أي المسيح) طلب بدوره أن يُعطى له "العقل" عونًا، فظهر العقل. وأصدر الآبُ أيضًا "الإرادة" و"اللوغوس" فاتَّحد الفكر واللوغوس في قران، اللافساد والمسيح، الحياة الأبديَّة والإرادة، العقل والمعرفة السابقة. ومجَّدوا كلُّهم النور الكبير "بربيلو"[١١٣].

ماذا في كلام إيرينه حول البربيليّين؟ في أصل كلِّ شيء، هناك زوجان، «إيّون» و«بنفما» «أب» لا يُسمّى، و«بربيلو» الذي هو أزليّ مثله. وظهر على التوالي أربعة إيّونات إناثٍ وُلدت من رغبة الآب في أن يتجلّى لبربيلو، وأربعة إيّونات ذكور صدرت عن بربيلو التي انتشت فرحًا حين رأت الآب. ثمَّ اتَّحدت جميع هذه الإيّونات بحيث كوَّنت أربعة قُرُن: اللوغوس والفكر، المسيح واللافساد، الإرادة والحياة الأبديَّة، العقل والمعرفة السابقة.

«ثمَّ أصدر اللوغوس والفكر روحًا هو أوتوجانيس αυτογενης (الذي أنجب نفسه، وجد ذاته بذاته) والحقيقة. صدر أوتوجانيس ليمثِّل الآب ويُشرف على كلِّ شيء. عندئذٍ يُصدر المسيحُ واللافسادُ أربعة نيِّرات أو ملائكة يكوِّنون حرس

(١١١) Εννοια

(١١٢) Προγνωσις

(١١٣) *Adv. Haeres.* I, 29, 1; SC 264, p. 359.

أوتوجانيس. كما تُصدر الإرادة والحياة الأبديَّة أربع بنات يرافقن الملائكة الأربعة.

«وبعد أن تصبح كلُّ هذه التراتبيَّة جاهزة، يُصدر أوتوجانيس زوجًا أخيرًا: الإنسان الذي يُسمّى αδαμας (آدم)، لأنّه لا يروَّض، والمعرفة (γυωσις). بفضل هذه «γυωσις » يعرف الإنسان الآب. بعد هذا، تصبح جميع الإيّونات مرتاحة فتنشد المدائح لمجد الإيّون الأوَّلانيّ.

«لكن أرموزيل، أوَّل الملائكة الذين يواكبون أوتوجانيس، أصدَر إيّونًا موئَّثًا، هو الروح القدس، الذي يُسمّى أيضًا «الحكمة» و«Προνικος» (الفاحش والوقح). حين رأت هذه الحكمة أنَّ لكلِّ إيّون من الإيّونات الأخرى قرينًا، بحثت عمَّن تتَّحد به. ولمّا لم تجده، قفزت في اندفاعة جنونيَّة. غير أنَّها لم تقدر أن تلد سوى كائن مشوَّه: الأركون الأوَّل الذي ابتعد نحو الأماكن السفلى. هناك صنع السماواتِ والملائكة والأبالسة وكلَّ ما على الأرض. كان جاهلاً ومعتدًّا بنفسه، فظنَّ أنَّه وحده، فقال: «أنا إله غيور، ولا إله خارجًا عنّي»(١١٤).

يتوقَّف إيرينه هنا في كلامه على البربيليّين، ولا يروح أبعد من وصف سقوط الحكمة وخلق العالم بيد الأركون الأوَّل. لا شكَّ في أنَّ السُطُرة mythe لم تكن تتوقَّف هنا. لكن يبدو أنَّ إيرينه اعتبر ما يلي مشتركًا مع سائر الفئات الغنوصيَّة.

أمّا إبيفان، فوصلت إليه معلومات هامَّة، ولاسيَّما أنَّه دُعي إلى مصر كي يكون من الغنوصيّين. فيقول إنَّ بربيلو صدرت من الآب. وجعلها في أوَّل الثمانية. منها وُلد يلدباؤوت أو صباؤوت، وأعلنت نفسها إلهًا. ثمّ ظهرت على الأراكين بأشكال جميلة لكي تطغيهم. وفي النهاية، بيَّن إبيفان الفلتان الذي وصل إليه البربيليّون بحيث تشاركوا في المعاطاة مع النساء، لا عن لذَّة، بل عن واجب، كما كانوا يقولون(١١٥).

(١١٤) Sc 263, p. 158-159.

(١١٥) G. BAREILLE, Barbélites, *DTC* II (Paris, 1923), col. 382-384.

ثالثًا– الأوفيّون[١١٦]

هم شيعة غنوصيَّة يعود اسمها إلى الدور الذي تلعبه الحيَّة (أوفيس οφις) في شعائر عبادتهم وفي سُطُرهم. حسب الدراسات المعاصرة، يُحفظ هذا الاسم للذين مارسوا عبادة الحيَّة أو جعلوا للحيَّة الميتولوجيَّة مكانًا في نظرتهم الكوسمولوجيَّة أو الدينيَّة. أمّا الأقدمون، فربطوا الأوفيّين بالنحشيّين (ن ح ش، الحيَّة: رج حنش في العربيَّة). كما جعلوا عددًا من «الشيع» الغنوصيَّة في الخطِّ عينه، بسبب ارتباطها بالحيَّة. فما هو تعليم الأوفيّين؟

في القمَّة نجد الكائن السامي المسمّى أيضًا الإنسان الأوَّل، الذي هو كائن لم يولد، ولا يُعقل، ولا يُدرك. حين يمتدُّ ويتوسَّع، يلدُ كائناتٍ روحيَّة. هناك الآب[١١٧] (الإنسان الأوَّل) مع الابن (الإنسان الثاني). وبعدهما يأتي الروح القدس، أو المرأة الأولى التي تأتي بعدها العناصر الأوَّلانيَّة: الماء، الظلام، الغمر، الشواش. أحبَّ الإنسانُ الأوَّل والإنسانُ الثاني المرأة الأولى، فأناراها بنوريهما. من هنا وُلد المسيح أو الذكر الثالث. وهذا الذكر الثالث وأمُّه الروح القدس اختُطفا إلى المناطق العليا ليكوِّنا مع الآب والابن الكنيسة المقدَّسة الآتية من فوق[١١٨].

غير أنَّ المرأة الأولى لم تستطع أن تحتفظ بكلِّ النور الذي أفاضه فيها الآب والابن. ففاض جزء من هذا النور إلى جهة الشمال. وهكذا وُلدت من المرأة الأولى، ساعةَ وُلد المسيح، قوَّةُ الشمال المسمّاة «حكمة» أو «Προνικος». فغطست برونيكوس مع ندى النور الذي فيها، في المياه الأوَّلانيَّة، التي تحرَّكت والتصقت بها فصنعت لها جسدًا مادِّيًّا كاد يُغرقها. بعد ذلك، وعت من جديد

(١١٦) E. AMANN, Ophites, *DTC* XI (Paris, 1931), col. 1063-1075.

(١١٧) SC 263, p. 159-162.

(١١٨) SC 264, p. 365ss.

النور الذي فيها، فأخذت تتملّص شيئًا فشيئًا، وفي النهاية تحرَّرت من هذا الجسد فجعلت منه ذاك الذي هو، في الوقت عينه، السماءُ الأولى والملاكُ الأوَّل، يلدباؤوت، ابنها. وانتقل بعض ندى النور من الحكمة إلى يلدباؤوت الذي ازدادت قوَّته قوَّة. ومنه صدر في ولادات متعاقبة ستّ سماوات أخرى أو ملائكة يشكِّلون معها السباعيَّة[١١٩]. والحكمة، أمُّ يلدباؤوت، جعلت مقامها فوقهم في الثمانية[١٢٠].

ما إن خرج أبناءُ يلدباؤوت إلى الوجود، حتّى زاحموا أباهم على المركز الأوَّل. فحزن والتفت إلى سفالة المادَّة التي هي تحته، فولد منها ابنًا آخر هو «العقل» وهو كائن بشكل حيَّة. ملأ الوالد يلدباؤوت غطرسة فجعله يهتف: «أنا هو الآب والله، ولا أحد فوقي». ولكن ردَّت عليه حالاً أمُّه الحكمة من فوق: «أنت تكذب. فوقك الإنسان الأوَّل وابن الإنسان». حينئذٍ قال يلدباؤوت للملائكة الستَّة الآخرين: «لنصنع الإنسان على صورة هذا الإنسان الأوَّل». إذ ذاك جبلوا الإنسان ونفخ فيه يلدباؤوت نسمة، فأفرغ هكذا نفسه، من دون أن يدري، من «ندى النور» الذي ناله من أمِّه. أمّا الإنسان الذي نال مثل هذه القدرة، فشكر الإنسان الأوَّل الذي صُنع على صورته، وما عاد يهتمُّ بالذين صنعوه.

ويتابع إيرينه مسيرة «ندى النور» الذي أعطي للإنسان فجعله فوق الملائكة وفوق يلدباؤوت نفسه. فحاول يلدباؤوت أن يجعل آدم وحوّاء تحت سلطته. وأمرهم بأن يمتنعوا عن ثمر شجرة الفردوس. ولكنَّ الحكمة دفعت الحيَّة فدعتهم لكي يرذلوا النير الذي يريد يلدباؤوت أن يجعله عليهما. عندئذٍ عرفا القوَّة العظمى التي هي فوق كلِّ شيء.

(١١٩) Hebdomade: فلك في سبع كواكب.

(١٢٠) Ogdoade: الأفلاك الثمانية العليا.

فطردهما يلدباؤوت من الفردوس ورمى بهما إلى الأرض مع الحيَّة. ولمّا انحطَّت الحيَّة بسبب الإنسان، ما زالت تحاول الإساءة إليه ودفعَه إلى الشرّ. أمّا الحكمة فسهرت دومًا على «ندى النور» الذي صار فيها. وهكذا أمَّنت تواصل الجنس البشريّ فساعدت على ولادة شيت ونوريا، بعد أن قتل قايينُ هابيل، وحمت نوحًا وعياله من غضبة يلدباؤوت الذي أغاظته شرور البشر فعزم على إفنائهم.

وجاء الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ثمَّ الأنبياء. فحاول يلدباؤوت وملائكته أن يُخضعوهم لقوَّتهم لكي يسودوا بهم على البشريَّة كلِّها. ولكنَّ الحكمة أرعبت يلدباؤوت وملائكته، وجعلت على شفاه الأنبياء أقوالاً ذكَّرت البشر بالإله الواحد الحقيقيّ، بالإنسان الأوَّل، وأنبأت بنزول المسيح.

وحين جاء الوقت المحدَّد، تلاعبت الحكمة بيلدباؤوت، دون أن يدري، واستعملت قوَّته، بحيث ولد إنسانًا أنقى من سائر الناس كلِّهم، هو «يسوع» الذي وُلد من العذراء مريم. حينئذٍ استطاع المسيح أن ينحدر من أعالي النور كي يُتمَّ عمل الخلاص. ولمّا وصل إلى الثمانية (أوغدوادا)، ارتدى أخته «الحكمة». ثمَّ عبر السماوات السبع وأفرغها من قوَّتها. وأخيرًا، نزل على «يسوع» ساعة عماده في الأردنّ، فأجرى المعجزات، وصنع الأشفية، وأعلن نفسه «ابن الإنسان الأوَّل». فغضب يلدباؤوت وأراكينُه، ودفعوا اليهود إلى صلبه. غير أنَّ «المسيح» طار مع الحكمة إلى الإيّون اللافاسد. وصُلب «يسوع» وحده. بعد هذا، جاءت قوَّة من «المسيح» فأقامت يسوعَ في جسد لا علاقة له بعناصر هذا العالم. وخلال الأشهر الثمانية عشر التي سيقيم فيها «يسوع» بعدُ على الأرض، زُجَّ في الخفايا السماويَّة التي نقلها إلى تلاميذ مختارين. ثمَّ صعد إلى السماء التي تمتلك «ندى النور». وتكون النهاية حين يُجمَع كلُّ «ندى ونور» ويُرفع بدوره في الإيّون اللافاسد.

تحدَّث إيرينه عن الأوفيّين، وأوريجان أيضًا وكليمان الإسكندرانيّ، وهيبوليت الرومانيّ، وإبيفان أسقف سلامينة في قبرص. كلُّ هذا يدلُّ على أنَّه منذ القرن الثاني

المسيحيّ، بل القرن الأوّل، نبتت شيَعٌ التصقت بالمسيحيَّة، فخرجت بعبادة قديمة تلعب فيها الحيَّة دورًا هامًّا، وأطلقت أفكارًا مأخوذة من العهد القديم والعهد الجديد. وهكذا عادت هذه الشيع إلى أجواء وثنيَّة ترتبط بأسكليبيوس إله اليونان. هل نستطيع القول، إنّا أمام جماعات أو «أخويّات» وثنيَّة، أخذت بالمسيحيَّة وحافظت على أمور وثنيَّة، فكوَّنت ديانة تلفيقيَّة؟ لم ترتفع هذه «المعتقدات» إلى مستوى الألوهة منقِّية الفكر البشريّ ورافعة إيّاه إلى مستوى الله، بل انحدرت بالألوهة إلى مستوى العقل البشريّ، بل إلى مستوى ضلالات عرفها العالم القديم من عبادة الحيّة وغيرها. وما يُؤسف هو أنَّ هذا الفكر التلفيقيّ القديم ما زال حاضرًا في نهاية القرن العشرين مع أشخاص يفصلون يسوعَ عن المسيح، ويشوِّهون الإيمان المسيحيّ معتبرين أنَّهم يقدِّمون جديدًا، ساعةَ هم يعودون إلى قديمٍ قديم بعد أن قتل العقمُ فيهم كلَّ جديد.

ب- أسماء غنوصيَّة

كلُّ هذا يفهمنا أنَّ الغنوصيَّة تعود إلى ما قبل المسيح في جذورها العميقة، يوم اتَّصلت الفلسفة اليونانيَّة بالديانات الشرقيَّة، على أثر فتوحات الإسكندر. وهكذا ورثت الغنوصيَّة من الديانات الشرقيَّة الاعتقادَ بثنائيَّة مطلقة بين الله والعالم، بين النفس والجسد. كما ورثت نظريَّة حول أصل الخير والشرّ انطلاقًا من مبدأين وجوهرين يختلفان اختلافًا جذريًّا. وورثت أخيرًا انتظار الفداء والخلود. وورثت من الفلسفة اليونانيَّة عناصر تنظيريَّة حول الوساطات بين الله والعالم[١٢١].

في هذا الخطِّ برزت أسماء عديدة مثل سمعانَ الساحر ودوسيتاوس وميناندري وغيرهم. أمّا نحن فنكتفي بشخصَين طبعا الغنوصيَّة بطابعهما: باسيليد وولنطين.

(١٢١) QUASTEN, I, p. 289-290; Voir R. ROUDEMA, *Gnosis and Faith in Early Christianity,* London, 1999, p. 13-25.

أوّلاً- باسيليد(١٢٢)

هو أوّل الغنوصيّين الذين وصلت إلينا عنهم معلوماتٌ أكيدة. حسب كليمان الإسكندرانيّ (**الموشّيات** ٧/١٧: ١٠٦)، اشتهر باسيليد في الإسكندريَّة في أيّام ادريان وأنطونين التقيّ (١٢٠-١٤٠). اعتبر أنَّه نال تعليمًا من غلوكياس، ترجمان بطرس، كما أعلن أنَّه نال تقاليدَ خفيَّةً وصلت إليه من ماتياس بعد أن كشفها له المخلِّص في حوارات خاصَّة. وكتب باسيليد تفسيرًا عن الإنجيل تضمَّن ثلاثة وعشرين كتابًا. وقد أورد كليمان منه بعض المقاطع في **موشّياته** (٤/١٢: ١-١٨-٣١؛ ٥/١: ٣). وألَّف باسيليد بنُ إيزيدور كتابًا حول النفس ذكره كليمان (**الموشّيات** ٢/٢٠: ١١٣). ولنا فيه تفاسير إنجيليَّة. أمّا أقدم ردٍّ على نهج باسيليد فنجده عند أغريبا كستور وفي أوسابيوس (**التاريخ الكنسيّ**، ٤: ٧).

لم يبقَ لنا الكثير من آثار باسيليد. لهذا، نعود إلى ما قاله الآباء، ونتوقَّف بشكل خاصّ عند إيرينه في كتابه **ضدَّ الهراطقة** (١: ٢٤) الذي يجمع باسيليد مع ساتورنينوس فيقول:

«انطلق ساتورنين الذي كان من أنطاكية قرب دفنة، وباسيليد من هذين الرجلين (سيمون الساحر ومياندري) فأنجبا مدرستين مختلفتين. أقام الواحد في سورية، والثاني في الإسكندريَّة...».

وبعد أن تحدَّث إيرينه عن ساتورنين، عاد إلى باسيليد (١/٢٤: ٣)، فقال:

«ظنَّ باسيليد أنَّه وجد شيئًا أكثر رفعة وإقناعًا، فتوسَّع في تعليمه إلى ما لا نهاية. فهو يرى أنَّه من الآب اللامولود وُلد العقل، ومن العقل اللوغوس، ومن اللوغوس الفطنة، ومن الفطنة الحكمة والقدرة، ومن القدرة والحكمة القوى والأراكين والملائكة الذين يسمّيهم الأوائل، والذين بهم صُنعت السماء الأولى. ثمَّ بفيض من كلِّ هؤلاء، جاء ملائكة آخرون إلى الوجود فصنعوا سماءً ثانية شبيهةً بالأولى.

(١٢٢) G. BARLEY, Basilide, *DHGE* VI (Paris, 1932), col. 1169-1175.

وبالطريقة عينها جاء ملائكة آخرون إلى الوجود بفيض من السابقين، كنسخة عن الذين سبقوهم، وفبركوا سماءً ثالثة. ومن هذه السلسلة الثالثة من الملائكة، خرجت سلسلة رابعة عن طريقة الانحطاط. وهكذا دواليك. بهذه الطريقة، يؤكِّدون، أن جاء إلى الوجود سلاسلُ متعاقبة من الأراكين والملائكة، كما جاءت ثلاث مئة وخمس وستّون سماء. لهذا السبب، يوجد العددُ ذاته من الأيّام في السنة، حسب عدد السماوات»(١٢٣).

ويتابع إيرينه كلامه عن باسيليد الذي يصل في نظريَّة انحطاطيَّة تصل إلى المنطقة السفلى في الكون، إلى عالمنا. إنَّ إله اليهود هو إله الأراكين والملائكة الذين صنعوا عالمنا. هم يقيمون في السماء السفلى. تقوم بينهم مزاحمات يدفع ثمنَها البشرُ الذين يَخضعون لهم. وإذ أراد الآب اللامولود أن يحرِّر البشر من نيرهم، أرسل ابنه، «العقل» الذي ظهر في هذا العالم بظاهر إنسان، فأجرى المعجزات وكشف عن الإله الحقيقيّ وحاول الأراكنة، بواسطة اليهود، أن يضعوا يدهم عليه كي يصلبوه. لكنّه جعل سمعان القيرينيّ يُصلب عنه. أمّا هو فصعد إلى الآب هازئًا من الأراكين. فالذين يعترفون ب«المصلوب» يظلّون عبيدًا لمكوِّني هذا العالم. أمّا الذين يعترفون بمن ارتدى ظاهر الإنسان، وتظاهر أنَّه صُلب، فهم أحرارٌ ويعرفون الآب اللامولود. لا علاقة لهم بعد مع إله الشريعة، ويستطيعون أن يستسلموا بدون رادع للأعمال التي يرغبون فيها، بما فيها أعمال الفحش والمجون. وبعد موتهم، تصعد نفوسهم عبر جميع السماوات إلى الآب اللامولود دون أن تستطيع الملائكة ولا القوى أن توقف صعودهم(١٢٤).

ما يريده باسيليد هو أن يوسِّع المسافة التي تفصل الإنسان عن العالم. فالكائن السامي لا يمكن أن يقترب من المخلوقات. وكلُّ ما يقال عن اختبارنا له يبقى غير كافٍ. لهذا، يسمِّيه باسيليد الكائن اللاكائن. هذا لا يعني أنَّه ينفي وجوده، بل يريد أن يجعله بمنأى عن جميع الهجومات والانتقادات.

(١٢٣) SC 264, p. 325-326.

(١٢٤) SC 263, p. 153-154

في النهاية، نقدِّم ملخَّصًا عن نتائج عمليَّة للكوسمولوجيّا التي قدَّمها باسيليد: المعرفة (γνωσις) تخلِّصنا من القوى التي خلقت العالم؛ لا يصل إلى المعرفة الحقَّة سوى عدد قليل جدًّا: يصل واحدٌ من ألف، اثنان من عشرة آلاف؛ يجب أن تبقى الأسرار خفيَّة؛ لا فائدة من الاستشهاد والموت في سبيل الإيمان. أمّا الفداء فيصيب النفوس، لا الأجساد التي هي عرضة للفساد. من أجل ذلك، لا يبالي الغنوصيّ بالأعمال، بل لا يبالي بالخطيئة الممقوتة، مثل الفسق والفجور. أمّا المسيحيّ فلا يعترف بالمسيح المصلوب، بل بيسوع مرسلِ الآب(١٢٥).

ثانيًا- ولنطين:

عاصر ولنطين باسيليد وابنَه إيزيدور، لكنَّه فاقهما أهمَّيَّة. كتب إيرينه عنه (**الهراطقة**، ٣/٤: ٣): جاء ولنطين إلى رومة في أيّام هيجين (١٣٦-١٤٠). ووصل إلى قمَّة الشهرة في أيّام بيّوس الأوَّل (١٤٠-١٥٥)، وظلَّ هناك حتّى أنيقيتُس (١٥٥-١٦٦). وكان إبيفان (**الهرطقات** ٣١: ٧) أوَّل من أعلمنا أنَّ ولنطين وُلد في مصر، ودرس في الإسكندريَّة ونشر تعليمه في مصر قبل أن ينتقل إلى رومة. بعد ذلك، ترك رومة وتوجَّه إلى قبرص. أمّا كليمان الإسكندرانيّ فضمَّ في **موشّياته** (٢/٢٠: ١١٤) ستَّة أجزاء من كتاباته(١٢٦):

«هناك كائنٌ واحد صالح. وحرِّية كلامه هو تجلّيه بالابن، وبه يتنقّى القلب حين يُطرد كلُّ روح شرّير من القلب. فالأرواح العديدة التي تسكن فيه، لا تتيح أن تنقّيه، وكلٌّ منها يُتمُّ أعماله الخاصَّة فينجِّسه مرّات عديدة بشهوات فاحشة. ويبدو لي أنَّ القلب يحتمل ما يشبه شيئًا يحصل في فندق: ثُقب هذا الفندقُ من جهةٍ إلى أخرى وحُفر وامتلأ مرارًا بالزبل، وفيه يتصرَّف الناس بلا حياء ولا احترام للمكان، وكأنَّه غريب عنهم. وهكذا يُعامَل القلبُ قبل أن يلقى تدخُّلاً من العناية: هو نجس. وهو مسكن عدد كبير من الشياطين. لكن حين يزوره الآب

(١٢٥) QUASTEN, I, p. 294-295.

(١٢٦) **المرجع السابق**، ص ٢٩٦.

الذي هو وحده صالح، فهو يتقدّس ويشعُّ نورًا. والذي يمتلك مثل هذا القلب يطوَّب لأنَّه يرى الله».

مثل هذا الكلام كان يجتذب الناس إلى مدرسة ولنطين. لهذا كثر عدد تلاميذه في الشرق والغرب. وتحدَّث هيبوليت عن مدرستين: المدرسة الشرقيَّة والمدرسة الغربيَّة. ازدهرت هاتان المدرستان منذ منتصف القرن الثاني وظلَّتا قائمتين حتّى القرن الخامس. وتركتا أثرًا في معظم مناطق الإمبراطوريَّة الرومانيَّة، في مصر وسورية وآسية الصغرى وغالية (أي فرنسا) وأفريقيا الشماليَّة. عرف الفكر الولنطينيّ ذروته في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث. وأعلنت الحرب عليه منذ ذلك الوقت وامتدَّت في القرن الرابع(١٢٧).

تحدَّث سوزومينُ في **التاريخ الكنسيّ** (٢: ٣٢) عن قرار الإمبراطور قسطنطين (حوالى ٣٣٦-٣٣٧) ضدَّ الهراطقة ومنهم الولنطينيّين. والتقى بهم إبيفان، أسقف سلامينة، في قبرص، قبل أن يعتلي الكرسيّ الأسقفيّ (**الهرطقات** ٣١/٧: ١). نقرأ في **حياة القدّيس إيبفان أنّهم** كانوا بعدُ حاضرين، السنة ٣٨٠. والسنة ٤٢٨، أُحرقت كنيسة من كنائسهم، كما يقول أمبروسيوس (الرسالة ٤٠). وسوف يحارب الولنطينيّين تيودوزُ الثاني في تشريعه ضدّهم. ونجد في مجمع «إن ترولّو» قانونًا ينظر في عودتهم إلى حضن الكنيسة(١٢٨).

من تلاميذ ولنطين في المدرسة الغربيَّة، بطليموس وهرقليون وسيكوندوس. ظنُّوا أنَّه كان للمسيح جسدٌ نفسانيّ (ψυχικη) عند ولادته. أمّا المدرسة الشرقيَّة التي مثَّلها تيودوت ومرقس وكولارباسوس، فاعتبرت أنَّه كان للمسيح جسدٌ بنفماتيكيّ (يرتبط بالبنفما، بالروح). واختلفت المدرستان في ما يتعلَّق بانبثاق ودور إيّون المسيح وإيّون الروح القدس.

---

(١٢٧) I. NOVE, « Valentin et école Valentinienne », *Dict. de Spiritualité,* t. XVI (Paris, 1994), col. 146

(١٢٨) المرجع السابق، عمود ١٤٧.

نعرف فكر بطليموس من **رسالة إلى فلورا** احتفظ بها إبيفان (**الهرطقات** ٣٣: ٣-٧)، وردَّ عليها إيرينه (**الهرطقات** ١/١-٨). اهتمَّت فلورا بأصل الشريعة، فقدَّم لها بطليموس مقالاً صغيرًا حول التفسير المسيحيّ للعهد القديم. فميَّز ثلاثة أقسام في الشريعة تأتي من الله، من موسى، من الشيوخ. فالقسم الذي يأتي من الله يمكن أن يتجزَّأ في ثلاث مقولات: الجزء النقيّ (الوصايا العشر)، مارسه المخلِّص (مت ٥: ١٧)، الجزء الممزوج بالشرِّ واللابرّ (شريعة المثل: سنٌّ بسنّ، عينٌ بعين) ألغاه المخلِّص (قيل لكم وأنا أقول لكم)، الجزء النموذجيّ والرمزيّ (ما يتعلَّق بالذبائح وأمور الطهارة) يفسَّر تفسيرًا روحيًّا. ويجد السؤال الأساسيُّ حول أصل الشريعة، جوابًا في آخر النصّ: جاءت الشريعة من الإله المشترع، لا من الإله الساميّ.

وقدَّم هرقليون تفسيرًا لإنجيل يوحنّا احتفظ أوريجان بأجزاء منه، فاكتشفنا فيه أسلوب الولنطينيّين التفسيريّ، وبالتالي قدرتهم على الكلام عن الخلاص بألفاظ تنقل الأحداث من مستوى الملء (بلاروما Πληρωμα) إلى مستوى الأنتروبولوجيا والسيكولوجيا، إلى مستوى الإنسان ونفسيَّته. استعمل هرقليون الاستعارة، لكنَّه شدَّد على دراسة النصّ بتفصيله ومعناه التاريخيّ و لم ينسَ النقد النصوصيّ. كان همُّه الأوَّل الوصول إلى صياغة لاهوتيَّة حول الخلاص كما في مدرسة ولنطين، لهذا فسَّر تفسيرًا رمزيًّا أسماء الأشخاص والأمكنة، كما درس رمزيَّة الأعداد.

خاتمة

مسيرة طويلة سرناها برفقة الغنوصيّين. انطلقنا من الأصول والمصادر والمراجع، فوصلنا إلى التيّارات العديدة، وانتهينا بأسماء اخترنا منها اثنين. كان بالإمكان أن نطيل الكلام عن تلامذة ولنطين وعن تعليم المعلِّم. لكنَّ النصوص الولنطينيَّة التي بين أيدينا هي من الضخامة بحيث تستحقُّ أكثر من مقال، وهي من

الوسع بحيث يصعب الإحاطة بها في الوقت الحاضر. هذا مع العلم أنَّه يجب الأخذ بعين الاعتبار نظرة الآباء إلى هؤلاء «الهراطقة» الذين تركوا أثرًا واسعًا على مستوى اللاهوت والتفسير الكتابيّ ودراسة الأسرار وممارسة الأعمال التقويَّة. هذا ما سنعود إليه حين ندرس **الغنوصيَّة في وجهها المسيحيّ**.

الفصل الثاني

الغنوصيَّة المسيحيَّة(*)

«تلك هي السمات الثلاث التي تميِّز الغنوصيّ عندنا: أوَّلاً المشاهدة، ثمَّ إتمام الوصايا. وأخيرًا تدريب الناس الصالحين. حين تُوجَد هذه الميزات عند إنسان من الناس، يكون غنوصيًا تامًّا. ولكن إن نقصت ميزة، صارت غنوصيَّته (معرفته) عرجاء».

هذا النصّ[١] من موشّيات كليمان الإسكندرانيّ يفهمنا أنّا لا ننحصر في غنوصيَّة من النمط الهرطوقيّ. فهناك غنوصيَّة أرثوذكسيَّة أو حقيقيَّة. وقد أخذ بها آباءُ الكنيسة ومفكِّروها في خطِّ الكتاب المقدَّس بعهديه القديم والجديد. لا شكَّ في أنَّ النصوص الغنوصيَّة دوِّنت في القرن الثاني ب.م.، ولكن كانت هناك غنوصيَّة قبل الغنوصيَّة.

الغنوصيَّة المسيحيَّة لقاء بين عالم الكتاب المقدَّس والفلسفة اليونانيَّة. انطلقت بشكل خاصّ منذ القرن الثاني مع أشخاص مثل يوستين وإيرينه. وتوسَّعت في مدرسة الإسكندريَّة مع كليمان وأوريجان. فوصلت إلى القمَّة في خطِّ أوريجان مع غريغوريوس النيصيّ وأوغريس البنطيّ.

١. بين الكتب المقدَّسة والفلسفة

وهنا أيضًا نورد نصًّا من كليمان، يربط بين الاستشهاد والغنوصيَّة فيبيِّن لنا دور الإنجيل لدى المسيحيّ في عصره:

(*) مقال ظهر في المسرَّة ٨٧(٢٠٠١) ص ٦٤-٧٦.

(١) CLÉMENT D'ALEXANDRIE, *Stromates* II, 46, 1. Sources Chrétiennes (SC), 38, p. 72.

«إذا كان الاستشهاد يقوم بالاعتراف بالله، فكلُّ[٢] إنسان يسلك بالطهارة في معرفة الله، ويخضع للوصايا، هو شهيدٌ في حياته وفي أقواله... هذا ما قاله الربُّ في الإنجيل: من يترك أباه أو أمَّه أو إخوته... لأجل الإنجيل ولأجل اسمي[٣]، فهذا الإنسان سعيدٌ لأنَّه يحقِّق، لا الاستشهاد المعروف، بل الاستشهاد الغنوصيّ، فيسلك حسب قاعدة الإنجيل، حبًّا بالربّ: فالعِرفة[٤] هي معرفة الاسم وفهم الإنجيل»[٥].

هذا ما يدفعنا إلى الكلام عن الغنوصيَّة في إطار الكتاب المقدَّس أوَّلاً، ثمَّ نعود إلى الفلسفة أو بالأحرى الفلسفات اليونانيَّة.

أ- الغنوصيَّة والكتاب المقدَّس

أن تكون المسيحيَّة، شأنها شأن اليهوديَّة، معرفة، هذا ما لا شكَّ فيه. فهي وحي لسرّ[٦]. وهذا السرّ هو مخطَّط الله من أجل خلاص البشر. وفي النهاية، هو شخص يسوع المسيح الذي يكشف لنا الله الآبَ على ما في إنجيل يوحنّا: «عرَّفتهم اسمك وسأعرِّفهم» (يو ١٧: ٢٦).

أوَّلاً: بولس الرسول والغنوصيَّة

إنَّ الينبوع[٧] الرئيسيّ لكلِّ غنوصيَّة مسيحيَّة أرثوذكسيَّة، نجده في كتابات

---

(٢) حرفيًّا: كلّ نفس.

(٣) مر ١٠: ٢.

(٤) γνωσις

(٥) CLEMENT, Strom. IV, 4, 5; éd. Stahlin, t. II, p. 255

(٦) P. TH. CAMELOT, "Gnose et Gnosticisme. I, Gnose Chrétienne", in *Dict. de Spiritualité (DS),* t. VI (Paris, 1967), col. 509-523, ici col. 509.

(٧) L. BOUYER, *La spiritualité du Nouveau Testament et des Pères,* Paris, 1960 (cité : SNTP), p. 293-299.

القدّيس بولس(٨). وننطلق من معنى لفظ «γνωσις»(٩) الذي يبدو أنَّه لا يرتبط بالفلسفة اليونانيَّة. فهذه الفلسفة لم تعطِ للفظ أهمِّيَّة ولا مدلولاً تقنيًّا. فاللفظ التقنيّ الذي تستعمله الفلسفة اليونانيَّة لتدلَّ على معرفة منهجيَّة، ليس «غنوصيص» بل «إبيستيمي»(١٠). أمّا مدلول المعرفة بقدر ما يعبِّر عن نفسه بألفاظ قريبة من «غنوسكو»(١١)، فيعود فقط إلى القول المأثور في معبد «دلفي»: «اعرف نفسك». هذا ما يوجِّهنا إلى معرفة الذات معرفة واعية، كما يوجِّهنا إلى المعرفة الدينيَّة.

ونذكر في الخطّ البولسيّ أيضًا لفظًا سيلعب دورًا كبيرًا في الغنوصيَّة المهرطقة: «بليروما»(١٢). فهو سيرتدي مدلولاً كوسمولوجيًّا (على مستوى الكون) ودينيًّا. وهكذا نكون أمام فكر رواقيّ تجسَّد في العقليَّة الشعبيَّة، فتضمَّن مناخًا من التقوى الكونيَّة دون أن تتضمَّن هذه التقوى محتوى محدَّدًا.

ولكن يبقى أنَّ الأساس الأوَّل للغنوصيَّة البولسيَّة، هو معرفة الله كما في المعنى البيبليّ التقليديّ. فمعرفة الله تعني علاقة وجوديَّة به، وتدلُّ على خبرة ملموسة.

---

(٨) راجع دراسة: J. DUPONT, *Gnosis, la connaissance religieuse dans les épîtres de Saint Paul,* Louvain, Paris, 1959; R. Mc L. WILSON, *Gnose et Nouveau Testament,* Paris, 1969.

(٩) ومثله: επιγνοσις

(١٠) Επιστημι يدلُّ على المعرفة والعلم والمهارة.

(١١) γνωσκω رج .γιγνωσκω نحن هنا مع الجذر «γνω» الذي يعني عرف. وهو يلتقي مع الجذر اللاتينيّ. رج

R. BULTMANN, "Gignôsko", *Theol. Dict. of the NT (TDNT)*, Eerdmans, vol. 1 (a-g), 1993, p. 689-719.

(١٢) Πληρωμα، الملء، الكمال. يدلُّ هذا اللفظ على القدرة الخلاصيَّة لدى المسيح الذي نال كلَّ سلطان في السماء والأرض.

P. LAMARCHE, "Plénitude", in *Vocabulaire de Théologie Biblique (VTB),* Paris, 1966, col. 835-836; DELLING, « Plérôma », *TDNT,* VOL. 6, p. 298-305.

والمبادرة في هذه الخبرة تعود إلى الله(١٣). في هذا الإطار، نقرأ كلام بولس حول معرفة الله بعد أن عرفنا هو: «اليوم أعرف بعض المعرفة، وعندئذٍ أعرف كما عُرفت» (١ كو ١٣: ١٢). على هذه الأرض، معرفتنا لله غير مباشرة وغامضة. ولكن ستأتي معرفةٌ مباشرة، وجهًا لوجه(١٤).

نحن هنا أمام ديانة حميمة مفعمة بالثقة والطاعة حيث الإيمان البنويّ يتفتّح بشكل طبيعيّ(١٥). وسيستعمل بولس اللفظ في معنى ضيّق، على مثال المعلّمين اليهود: «γνωσις» هي معرفة على مستوى القانون والفتاوى، لا تسمح لنا الشريعة بأن نفعل أو لا نفعل. ولكن سوف يوسّع الرسول هذا المعنى، فلا تعود المعرفة سلوكًا(١٦) نسلكه يومًا بعد يوم، بل معرفة ترتبط بعالم الرؤيا والجليان: ليس فقط ما يجب على الإنسان أن يعمله ويتجنّبه لكي يظلّ في طرق الله، بل معرفة هذه الطرق عينها في كلّ أبعادها. وهكذا تصبح «γνωσις» في الرسالتين إلى كورنتوس، وفي رسائل السجن، إدراكًا لأسرار الله في شأن الكون والإنسان. وتصبح بشكل خاصّ إدراكًا لسرّ المسيح وصليبه: يستعيد المسيح التاريخ كلّه، ويتصالح الخالقُ مع خليقته.

لا نقول إنّ السرّ يرتبط بالعالم الشرقيّ «وأسراره» الخفيّة، بل بعالم الكتاب المقدّس. في هذا المجال، نقرأ أوّلاً سفر دانيال: «الذي يكشف(١٧) الأسرار(١٨)

---

(١٣) *VTB*, col. 155-160.

(١٤) C. SENFT, *La première épître de Saint Paul aux Corinthiens* (CNT VII), Labor et Fides, p. 171. نقرأ Επιγιγνωσκειν الذي يدلُ على المعرفة التامَّة التي بها ندخل في مخطّط خلاص الله ونعمته. C. D. FEE, *The first Epistle to the Corinthians* (NICNT), Eerdmans, 1993, p. 647-649.. في غل ٤: ٩ نقرأ: «عرفتم الله أو بالأحرى عرفكم». إنَّ معرفة الله تُحرِّر الإنسان من هذه القوى التي يؤلِّهها الشر بين الحين والآخر.

(١٥) رج حاشية ٨ : J. DUPONT، ص ٨٧–٨٨.

(١٦) «هلكه» لدى الرابّينيّين اليهود، أي السلوك والقانون والقاعدة.

(١٧) Ανακαλυπτων. كشف مع الأداة ανα، من تحت إلى فوق.

(١٨) μυστησια، الأسرار. هذه الأسرار يكشفها الله. أمّا البشر فلا قِبَل لهم بها.

أعلمك[١٩] (أوحى إليك) بما سيكون. وهذا السرّ انكشف لي، لا لحكمة فيَّ أكثر من سائر الأحياء، ولكن لكي أُعلم[٢٠] الملك. فما كان في قلبك وصل إليَّ في المعرفة» (دا ٢: ٢٩-٣٠)[٢١].

يتضمَّن هذا النصّ الأساسيّ ارتباطًا مباشرًا بين «المعرفة» و«الكشف» أو «الجليان» كما يدلُّ على تأثير صريح للمعرفة في تمييز أسرار النهاية. وكلُّ هذا يظهر في قلب تمييز بين «حكمة» ننالها بالجسد، وبين معرفة أفيضت فينا. هذا يعني أنَّ إدراك الأسرار هنا، لا ينتمي إلى الغنوصيَّة في وجهتها التنظيريَّة، بل يرتبط بتمييز القلوب والتعرُّف إلى طرق يتبعها الإنسان، وهي تصدر عن «معرفة الله» كما لدى الأنبياء.

وفي خطِّ دانيال، نقرأ قولين يظهر فيهما لفظ «غنوصيص» في الاتِّجاه عينه. القول الأوَّل يرتبط بالأمثال ومدلولها الإسكاتولوجيّ الذي لا تدركه العامَّة. وهكذا جعل القدّيس متّى هذه الكلمات في فم يسوع المتكلِّم إلى تلاميذه: «لكم أُعطيت معرفة أسرار ملكوت السماوات، و لم تعطَ للآخرين»[٢٢]. قرأنا «γνωναι» مع «μιστηρια». نحن نعرف مسبَّقًا الأمور الأخيرة. والقول الثاني نقرأه في مت ١١: ٢٧: «أبي أعطاني كلَّ شيء. ما من أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاّ الابن ومن شاء الآب أن يُظهره له». وهذا ما نقرأه أيضًا في لو ١٠: ٢٢. نحن هنا أمام كشف الآب في الابن، ولفظ «كلّ شيء» يدلُّ على

(١٩) Εδηλωσε. كشف، دلَّ، أرى. بيَّن بالكلمة.

(٢٠) هو جذر الفعل السابق في المصدر .δηλοτεναι

(٢١) ترجمنا هنا نصّ السبعينيَّة فظهر الكلام من السرّ. ولو أخذنا بترجمة تيودوسيون، للاحظنا وجود Εγνωρισεν σοι (أعرفك) مع فعل عرف. وبعد ذلك استعمل γνωρισαι، بدل ما في حاشية ٢٠. وفي النهاية نقرأ: γνως

(٢٢) مت ١٣: ١١، رج لو ٨: ١٠ حيث نقرأ:«أنتم أعطيتم معرفة أسرار ملكوت الله. وأمّا غيركم، فنكلِّمهم عليها بالأمثال».

الملكوت وسرّه. أمّا ما يقوله لوقا «ولا يعرف أحد من هو الابن»، فقد جاء في تعبير يونانيّ يبيِّن موضوع المعرفة.

ثانياً: يوحنّا الإنجيليّ والغنوصيّة

هذه الآيات التي وردت في مت ١١: ٢٧ وفي لو ١٠: ٢٢، تبدو في نكهة يوحنّاويَّة، وتعلن مسبَّقًا عباراتٍ نجدها في الإنجيل الرابع. فـ«معرفة» المسيح التي تُعطى للذين يؤمنون به[٢٣] تتجاوز المعرفة الحسّيَّة أو الاختباريَّة أو العقليَّة التي بها نستطيع أن نعرف يسوع. إنَّها معرفة العلاقة التي توحِّده بالآب[٢٤]، هي معرفة سرّ اللاهوت. هنا نسمع كلام يسوع يقول لليهود الذين سألوه عن هويَّته: «متى رفعتم ابن الإنسان عرفتم أنّي أنا هو»[٢٥]؛ وقال يسوع في صلاته الأخيرة قبل أن يذهب إلى الموت: «الحياة الأبديَّة هي أن يعرفوك أنت الآب والذي أرسلته يسوع المسيح» (يو ١٧: ٣). لسنا فقط أمام حياة تدوم بلا نهاية بعد الموت، بل حياة الله منذ الأزل. وهكذا ارتبطت معرفة سرِّ الله بمعرفة رسالة ابنه ومخطَّطه الخلاصيّ. ونضيف أنَّ هذه المعرفة ترتبط بالمحبَّة (αγαπη). فإذا قابلنا النصوص بعضها مع بعض، فهمنا أنَّ المعرفة، شأنها شأن المحبَّة، تدلُّ على العلاقات بين يسوع وأبيه، وبين يسوع وأخصّائه[٢٦]. في هذا قال رودلف بولتمان: «من الواضح أنَّ "عرف"[٢٧] لا يدلُّ على تنظير، بل على علم يبحث ويتأمَّل. كما لا يدلُّ على مشاهدة صوفيَّة لا ترتبط بالتاريخ والعمل بأيِّ رباط. فهذا الفعل (عرفَ) يتمُّ في العمل التاريخيّ بشكل فاعل».

(٢٣) يو ٦: ٦٩: آمنّا وعرفنا؛ ١٠: ٣٨: «حتّى تعرفوا وتؤمنوا أنَّ الآب فيَّ وأنا في الآب»؛ ١٧: ٨: «قبلوا الكلام وعرفوا أنّي جئت من عندك، وآمنوا». رج ١ يو ٤: ١٦: «نحن نعرف محبَّة الله».

(٢٤) يو ١٠: ١٥؛ ١٤: ١٧-٢٠؛ ١٦: ٣؛ ١٧: ٣.

(٢٥) يو ٨: ٢٨، εγω ειμι. هكذا سمّى الربُّ نفسه لموسى: يهوه.

(٢٦) رج حاشية ٦، عمود ٥٠٩-٥١٠.

(٢٧) نقرأ هنا فعل γιγνωσκειν. رج حاشية ١١، ص ٧١١.

وهكذا يقف يوحنّا منذ البداية على القمم التي وصل إليها بولس الرسول. فموضوع المعرفة هو عنده الله أو المسيح. وهذه المعرفة تفترض توافق الحياة كلِّها مع الوصايا الإلهيَّة كما وصلت إلينا بالمسيح، بل مع الوصيَّة الوحيدة التي هي المحبَّة مع كلِّ متطلِّباتها الملموسة. وهذه المحبَّة قادت يسوع إلى بذل نفسه عن أحبّائه. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لا تنفصل المعرفة عن المحبَّة وعن الوحدة التامَّة، فتقودنا إلى المعرفة المتبادلة بين الآب والابن. وهكذا تتّخذ المعرفة سمة الصوفيَّة العالية، تصبح معرفة الله الخلاصيَّة في حبٍّ يتماهى بيننا وبينه، قدر استطاعة الإنسان. أجل، وُلدت الغنوصيَّة المسيحيَّة في الغنوصيَّة اليهوديَّة ثمَّ تميَّزت عنها حين صار الكلمة بشرًا فرفعنا إلى مستوى اللاهوت.

ب- الغنوصيَّة والفلسفة

نسارع إلى القول بأنَّ الغنوصيَّة المسيحيَّة ليست ابنة الغنوصيَّة الفلسفيَّة. إنَّها لقاء الفلسفة اليونانيَّة مع الوحي الإلهيّ في العهد الجديد. فكما كان تفاعل بين سفر الحكمة في العهد القديم، والفلسفة اليونانيَّة كما عرفتها الإسكندريَّة، هكذا كانت نتيجة التفاعل بين الفلسفة وكتابات بولس ويوحنّا، غنوصيَّة مسيحيَّة تقودنا إلى أن نعرف الآب بالابن والابن بالآب.

نتوقَّف هنا عند الرواقيَّة والإبيقوريَّة، عند الأفلاطونيَّة الجديدة، عند الفيثاغوريَّة الجديدة.

أوّلاً: الرواقيَّة والإبيقوريَّة

حين نتوقَّف عند هذين التيّارين اللذين وُلدا في القرن الرابع ق.م.، نفهم أنّا في إطار الهلّنيَّة، وهي حركة حملها الإسكندر المقدونيّ وخلفاؤه حين سيطروا على الشرق.

قالوا في القديم إنَّ إبيقور (٣٤١-٢٧٠) كان ملحدًا. في الواقع لم يكن ملحدًا في المعنى الحصريّ للفظ، ولا قال باللاأدريَّة. فوجود الآلهة في نظره يرتبط بيقين طبيعيّ.

لهم أجساد تتجدّد جزئيّاتها كالشعاعات، فترسل ظلالاً يلتقطها الفكر في رؤية فعليّة. هذه الظلال لا تفنى فتحمل إلى العوالم سلامًا[٢٨] هادئًا وحياة سعيدة. ذاك هو مثال الحكمة الذي يحكم به إبيقور للإنسان، والذي يتضمّن تحرُّرًا من كلّ المخاوف. ونبدأ فنستبعد الخوف من إله يعاقب. فهذه النظرة لا تتوافق مع كمال سعادته.

وتحلّى إبيقور بالتقوى التي لا تكتفي بعبادة داخليَّة محضة. طلب من تلاميذه أن يشاركوا في شعائر العبادة ولا يهتمُّوا لما يُقال. وهذا الموقف لافت حين نعرف أنَّ الفيلسوف أعلن اعتزال الحياة السياسيَّة والاجتماعيَّة والعيش حياة خفيَّة. ومع ذلك، كانت نظرته إلى الصلاة سامية ومجّانيَّة: «الصلاة ترتبط بالحكمة. هذا لا يعني أنَّ الآلهة يغضبون إن لم نتلُها، بل لأنّا ندرك سموّ طبيعتهم على طبيعتنا».

لا، ليست الإبيقوريَّة إلحادًا وكفرًا كما قيل فيها مرارًا، بل هي ديانة فلسفيَّة، شأنها شأن الرواقيَّة[٢٩]. فالرواقيَّة هي قبل كلِّ شيء خُلقيَّة وفلسفة حياة، لهذا كان تأثيرها كبيرًا. فالنظرة إلى العلاقات بين الله والكون، وإلى العناية الإلهيَّة، وإلى روحانيَّة شخصيَّة، ألهمت عددًا من المفكِّرين المسيحيّين والوثنيّين.

قال تلاميذ زينون (٣٣٦-٢٦٤) مؤسِّس المدرسة الرواقيَّة إنَّ الحكمة هي معرفة الأمور الإلهيَّة والأمور البشريَّة. وهي تعلِّمنا أن نحيا حياة توافق الفضيلة التي هي الخير الوحيد والحقيقيّ للإنسان، والتي تكفيه لكي يكون سعيدًا. فمن عاش بحسب الفضيلة عاش في توافق مع طبيعة الكون الذي هو جسمٌ كبير حيٌّ له نفس ويُشرف عليه العقل (لوغوس) الإلهيّ[٣٠].

---

(٢٨) Ataraxie.

(٢٩) A. MOTTE, "Epicurisme", *Histoires des Religions (HR),* Paris, 1993, p. 623. Voir aussi, J. MOREAU, « Epicure et la physique des dieux », dans *Stoïcisme, Epicurisme. Tradition hellénique,* Paris, 1979; A. J. FESTUGIERE, *Epicure et ses dieux,* 1946; 3. éd. 1985.

(٣٠) A. MOTTE, "Stoïcisme", in *DR,* p. 1923-1924; voir A. BRIDOUX, *Le Stoïcisme et son influence,* Paris, 1966; M. SPANNEUT, *Le Stoïcisme des Pères de l'Église,* 2. éd., Paris, 1969; *Permanence du Stoïcisme,* Gembloux, 1973,

ووجدت المسيحيَّة في الرواقيَّة عناصر قريبة من تعليمها: روح الشموليَّة، البنوَّة الإلهيَّة، الأخوَّة البشريَّة والمساواة بين الجميع، فلسفة ذات طابع دينيّ ومتطلِّبات أخلاقيَّة. إذا كان الرواقيّ مواطنَ العالم، فالمسيحيّ العائش في العالم، هو منذ الآن مواطن السماء، لأنَّه مخلوق على صورة الله وعائش في الملكوت. استندت المساواة والأخوَّة في الرواقيَّة، إلى حضور لوغوس واحد في الجميع. أمّا في المسيحيَّة، فالأساسُ فائق الطبيعة، إلهيّ. الأساس هو المسيح(٣١).

حين وُلدت المسيحيَّة، اتَّخذت الإبيقوريَّة والرواقيَّة وسائر الفلسفات منحًى دينيًّا، فانتقلت من البحث عن الحقيقة إلى البحث عن الخلاص. أو بالأحرى صارت «الحقيقة» التي يبحثون عنها «الخلاصَ». فالإبيقوريَّة ترغب في حياة متناسقة، في السعادة، في الخلاص من كلِّ ما يعيق نموَّ الإنسان. ونقول الشيء عينه في الرواقيَّة التي ستتحوَّل تحوُّلاً جذريًّا في لقائها بالإنجيل عند كاتب مثل يوستين أو كليمان الإسكندرانيّ.

ثانيًا: الأفلاطونيّة الجديدة

نستطيع القول إنَّ هذه الأفلاطونيَّة هي شكل آخر من الرواقيَّة(٣٢): هي تأمُّل يتأثَّر بأفلاطون في كوسمولوجيّا (علم الكون) رواقيَّة. فالبشريَّة التي ترسم مثالها، هي سيطرة العقل على الحيوانيَّة. وهذا العقل يجعلنا قريبين من عالم السماء. فالعالم العقليّ يلتقي العالم المادّيّ، ويَدخل فيهما الروح. وهكذا يتوحَّد الكون كلُّه في رؤية دينيَّة تعجُّ بالحياة.

انطلقت الأفلاطونيَّة الجديدة من أفلاطون وأعادت قراءة نصوصه. ولكن راحت في خطٍّ صوفيَّة جذريَّة. فصار التحليل الميتافيزيقيّ تعليمًا عن الخلاص. بيَّنَ

---

(٣١) A. FONTAN, "Stoïcisme et christianisme", *DR,* p. 1924-1927; P. AUBENCQUE, *Les philosophies hellénistiques,* Verniers, Marabout, 1972; G. RODIS-LEWIS, *La morale stoïcienne,* Paris, 1979.

(٣٢) حاشية ٧: L. BOUYER، ص ٢٦٥.

أفلوطين[٣٣] كيف يصدر من الواحد الذي لا نستطيع أن نسمّيه، المعقول والنفس والكون المحسوس، فدلّ في الوقت عينه على مراحل الاهتداء الذي به يستطيع الإنسان أن يعود إلى الله. وفي نهاية هذه المسيرة، يُترك أفلاطون والمشاهدة، فتتبسّط النفسُ البشريّة وتذوب في الواحد الذي صدرت منه. قال أفلوطين وهو على فراش الموت: «اسعوا لكي تُصعدوا الإله الذي فيكم إلى اللاهوت الذي هو في كلّ شيء». نحن هنا أمام نهج خلاص تكون المعرفة العقليّة جوهره[٣٤].

ثالثًا: الفيثاغوريّة الجديدة

الفيثاغوريّة[٣٥] فلسفة محض دينيّة وتعليم خلاص. هي تيّار صوفيّ انطلق في القرن السادس ق.م. على هامش العبادة الرسميّة. فتطلّع إلى مصير الإنسان والعلاقة مع الإله. ساعة رأى الناس فصلاً جذريًّا بين «الخالدين» (الآلهة) و«المائتين» (البشر)، تأسّس هذا التجدُّد الدينيّ على فكرة القرابة بين الإله والإنسان، وعلى القول بسعادة تامّة يُدركها الإنسان بعد الموت، في اتّحاد مع الإله.

ما يميِّز الفيثاغوريّة القديمة هو رباط وثيق لا نستطيع إلاّ أن نستغربه: عهد بين الصوفيّة والعقلانيّة. فالمبدأ الإلهيّ للطبيعة هو في الأعداد التي هي جذور كلِّ شيء، والتي تصدر من الوحدة. ويتمتّع بعضُ هذه الأعداد بقوّة خاصّة، ويُعتبر الأداة الأولى للخلاص. أجل، الفيثاغوريّة ديانة خلاص نكتشفها في اعتبار عقليّ، في بحث عن المعرفة.

---

(٣٣) PLOTIN (٢٠٥-٢٧٠)

(٣٤) A. MOTTE, "Platonisme et néo-platonisme", *DR*, p. 1576-1578; M. DESPLAND, *The Education of Desire. Platon and the Philosophy of Religion*, Londres, 1985.

(٣٥) وُلد فيثاغور في جزيرة ساموس اليونانيّة في بداية القرن السادس ق.م. رج:

A. MOTTE, "Pythagorisme", *DR*, p. 1643-1645; J. CARCOPINO, *De Pythagore aux Apôtres*, Paris, 1954; P. GORMAN, *Pythagoras – A life*, Londres, 1979..

جاءت الفيثاغوريَّة لقاء بين الفلسفة والدين. فأثَّرت في أفلاطون وما في تعليمه من روحيَّة. شبَّهت النفس بتناسق الأوتار في العود، فأُعلنت خالدة. هي تنزل في المادَّة كما في سجن. ولكنَّها تتحرَّر بفعل الممارسة النسكيَّة، والأعمال السحريَّة. كان لقاء بين هذه الفلسفة والمسيحيَّة في أكثر من جهة، فبدت الفيثاغوريَّة خطوة أولى نحو المسيحيَّة، أو هي زاحمتها في بعض الأحيان(٣٦).

ج- لقاء المسيحيَّة بالفلسفة

هكذا كان التفاعل بين ما قاله يوحنّا الحبيب وبولس الرسول، وما نادت به هذه التيّارات الفلسفيَّة التي صحَتْ من رقادها في القرن الأوَّل ب.م. فما عادت معرفة عقلانيَّة وحسب، بل امتزج فيها العقلُ بالروح. عند ذاك حصلنا على فلسفة مسيحيَّة، على غنوصيَّة تشدِّد على دور المعرفة في مسيرة الإيمان.

أوَّلاً: الآباء الرسوليّون(٣٧)

نتوقَّف في مرحلة أولى عند أشخاص عاصروا الرسل أو كتابات عاصرت الأسفار المقدَّسة، حيث العرفة (غنوصيص) تحتلُّ مكانة هامَّة.

في **الديداكي أو تعليم الرسل**، ترد صلاة تبدأ بهذه الكلمات: «نشكرك، يا أبانا، من أجل الحياة والمعرفة التي عرَّفتناها(٣٨) بيسوع فتاك» (٩: ٣). وفي ١٠: ٢ نجد تقاربًا بين الحياة والمعرفة: «نشكرك، أيُّها الآب القدّوس، لاسمك القدّوس الذي أسكنته في قلوبنا، ولأجل المعرفة والإيمان والخلود التي عرَّفتناهابيسوع فتاك».

هو كلام عن المعرفة في خلفيَّة يهوديَّة، معرفة الله التي هي فيه حياة. وهذه المعرفة هي أولى العطايا التي يحملها المسيح إلينا. وتقرَّب المعرفة في مقطع ثالث

(٣٦) G. BARDY, *La conversion au Christianisme durant les premiers siècles,* Paris, 1949, spécialement p. 45ss

(٣٧) حاشية ٧: L. BOUYER، ص ٣٠٢-٣١٠.

(٣٨) بعد γνωσις نجد الفعل εγνωρισας.

من الديداكي (١١: ٢)، من البرّ الذي هو حياة كاملة من الأمانة لله. غير أنّنا لا ننال هذه المعرفة باجتهاد باطنيّ، بل تُعلِّمنا إيّاها الكنيسة تعليمًا ينطلق من العالم اليهوديّ، ويتجدَّد في المسيح.

وننتقل إلى **راعي هرماس**. تُسلِّمه «قديمة الأيّام» (أي الكنيسة) كتابة لا يمكن حلُّها. ثمَّ تعطيه المفتاح في فهم أهمَّيَّة التوبة. قال: «كُشفتْ لي معرفةُ الكتاب المقدَّس» (٢: ١). فالمعرفة هي تفسير نصّ غامض، أعطاه المسيح لكنيسته. وكان إغناطيوس الإنطاكيّ قريبًا من بولس الرسول، فكتب إلى الأفسسيّين: «لماذا لا نصير أصحاب فطنة حين نتقبَّل معرفة الله التي في يسوع المسيح» (١٧: ٢). لم يعد يسوع فقط موضوع (أو: ينبوع) العرفة (غنوصيص) الإلهيَّة، بل تماهى معها. وهكذا صارت الغنوصيَّة معرفة أعمال الله الخلاصيَّة الكبرى التي تمَّت بالمسيح فمنحتنا الخلود[٣٩].

حين دوَّن كليمان الرومانيّ **رسالته إلى الكورنثيّين**، استعمل لفظ «غنوصيص» ثلاث دفعات. في المقدِّمة، أخذ أسلوب بولس، فشكر الله على المواهب المتنوِّعة التي نالوها: الإيمان والتقوى واستقبال الغرباء. أمّا الموهبة الأخيرة وموهبة المواهب فهي «معرفة تامَّة وأكيدة»[٤٠]. والنصُّ الثاني يساعدنا على تحديد «غنوصيص»، فيُبرز أبعادها وديناميَّتها. بعد أن قال كليمان إنَّ المسيح هو حبر تقادمنا والعون في ضعفنا، أضاف: «به نرفع أنظارنا إلى أعالي السماوات، به نعكس كما في مرآة وجهه البهيّ والسامي، به تتفتَّح عينا قلبنا، به يُزهر عقلُنا الضعيف والمظلم بعد أن يتوجَّه إلى النور. به أراد المعلِّم أن يجعلنا نذوق المعرفة الخالدة»[٤١].

(٣٩) IGNACE D'ANTIOCHE, *Lettres* (SC 10), Paris, 1958, p. 86.

(٤٠) Την τελειαν και ασπηαλη γνωσιν (SC 167), p. 101.

(٤١) Της αθανατον γνωσεως ημας γενασται (SC 167), p. 159-161.

برزت «غنوصيص» عند إغناطيوس في سياق الخلود. وهنا، هي خالدة. ثمَّ تركِّز على فكرة «المعرفة»، النورُ والمشاهدة اللذان ينضمَّان إلى الخلود. كلُّ هذا له معناه، لأنَّه يُظهر المعرفة كنتاج خاصّ للتصوُّفيَّة الهلّينيَّة وفي خطِّ الكتاب المقدَّس والمسيحيَّة الأولى.

ارتبطت المعرفة بالمسيح، وظهر طابعها بما فيه من إلهام ومشاهدة. ولكن يبقى أن نكتشف مضمونها الخاصّ. هذا ما يقوله لنا كليمان في نصٍّ ثالث من **رسالته إلى الكورنثيّين**، بعد إيراد من سفر أيّوب يدلُّ على بطلان الحكمة البشريَّة: «بعد أن اتَّضح هذا لنا، وأجلْنا نظرَنا في أعماق "العرفة"، يجب أن نعمل كلَّ شيء في ترتيب حدَّده المعلِّم في الزمن المعيَّن»(٤٢). هذه النظرة إلى أعماق المعرفة تعود بنا إلى تفسير سفر أيّوب على ضوء المسيح. والترتيب المثاليّ الذي يجب أن يسود في الكنيسة هو ما نجده في الليتورجيّا. فامتلاك المعرفة أو رؤية المشاهدة لمخطَّط الله الخلاصيّ الذي يتحقَّق في المسيح، يؤول إلى نظام مقدَّس أراده الله لكنيسته.

ثانيًا: يوستين

كان بالإمكان أن نتوقَّف عند **رسالة برنابا**(٤٣) التي تتحدَّث عن «معرفة تامَّة» يتمنّاها الكاتب لتلاميذه، فترافق وتُسند حياةَ مسيحيَّة منفتحة، ومرتكزة على إيمان متين يتجنَّب كلَّ ضلال(٤٤). فالمعرفة تتَّصل بمجمل الحياة المسيحيَّة مع تشديد على العناصر العقليَّة. جمع برنابا كلَّ ما يساعد الإيمان: المخافة والصبر وطول البال وضبط النفس. وقال: «حين نمتلك كلَّ هذه المواهب تفرح الحكمة والعلم والعِرفة(٤٥) معًا. فالبارّ هو الذي يمتلك معرفة (غنوصيص) طريق البرّ ويسير فيه(٤٦). وترد نصوص تدلُّ فيها المعرفة على تفسير العهد القديم. «اعلموا ماذا

---

(٤٢) SC 167, p. 167 ;1 :40

(٤٣) *Epître de Barnabé* (SC 172), Paris, 1971.

(٤٤) SC 172, p. 77.

(٤٥) SC 172, p. 81 ;3 :2 الألفاظ هي: Σοφια, επιστημη, γνωσις

تقول "غنوصيص" ويأتي الجواب: «اجعلوا رجاءكم في ذلك الذي يتجلّى في الجسد، يسوع»[٤٧]. إذن تقوم المعرفة في اكتشاف المعنى الحقيقيّ للعهد القديم، وهذا المعنى يُعطى هنا في المسيح، بل هو المسيح.

ونعود إلى يوستين (نابلس، +١٦٦) الذي يستعمل مرارًا لفظ «غنوصيص»: معرفة الله والمسيح. معرفة تعاليم المسيح. وهذه المعرفة ترتبط بالمعموديَّة التي هي «اغتسال التوبة ومعرفة الله» وعلم الكتب المقدَّسة.

نقرأ في **الحوار مع تريفون**: «إذن، باغتسال التوبة ومعرفة الله الذي جُعل للتكفير عن إثم شعوب الله، كما قال إشعيا، نؤمن. عرفنا ما ينبئ به: الاغتسال العماديّ الذي يستطيع وحده أن ينقّي التائبين: ماء الحياة»[٤٨]. ونقرأ في موضوع يقول إنَّ المسيح يحمل البرّ الحقيقيّ: «لاحظْ جيِّدًا: لا يريد الله هذا الختان الذي أعلِن كعلامة. فهو لم يخلِّص المصريّين ولا موآب ولا بني أدوم. فإن كان الإنسان إسكوتيًّا أو فارسيًّا، فالذي يمتلك معرفة الله ومسيحه، ويعيش بحسب البرّ الأبديّ، هو مختون ختانة جميلة وخلاصيَّة، وهو محبوب من الله. والله يفرح بعطاياه وتقادمه»[٤٩].

«غنوصيص» هو علم الكتب المقدَّسة[٥٠] التي نأتي إليها بالإيمان فنجد فيها القوَّة. وتُعطى لنا نعمة بها نعرف ما قاله الأنبياء. نعرف المعنى المسيحيّ لما قرأناه في العهد القديم. قال: «أتظنّون، أيُّها الأصدقاء، أنَّه كان باستطاعتنا أن ندرك كلَّ هذه المعاني في الكتب المقدَّسة، إن لم يشأ ذاك الذي أرادها، فأنالنا نعمةَ فهمِها؟»[٥١].

---

(٤٦) SC 172, p. 107 ;4 :5

(٤٧) SC 172, p. 121-123. ;9 :6 ما يُشرف على التفسير هنا هو القراءة الروحيَّة.

(٤٨) *La philosophie passe au Christ*, Paris, 1958, p. 144 ;1 :14

(٤٩) ٢٨: ٤؛ **المرجع السابق**، ص ١٦٨.

(٥٠) ٦٩: ١؛ **المرجع السابق**، ص ٢٤٣.

(٥١) ١١٩: ١؛ **المرجع السابق**، ص ٣٠٦.

روى لنا يوستين سيرته عبر العلوم الدنيويَّة من موسيقى وفلك وهندسة. ثمَّ انتقل إلى تلاميذ أفلاطون... ولكنَّه لم يجد ضالَّته إلاَّ في قراءة الكتاب المقدَّس والصلاة. حينئذٍ اعتنق الايمان المسيحيّ. غير أنَّه في هذه الحال، لم يترك فلسفته، بل اعتبر أنَّه وجد الفلسفة الحقيقيَّة. فأقام في رومة، وارتدى لباس الفلاسفة، وفتح مدرسة عرض فيها المسيحيَّة على أنَّها الفلسفة الحقَّة[٥٢].

٢. في الإسكندريَّة

سار إيرينه (+ ٢٠٢) في خطِّ يوستينُ، فحارب «الهرطقة الغنوصيَّة» التي تعلن معرفة سامية تسمو على الأسرار المقدَّسة، وقد كُشفت لنخبة من الروحيِّين. وأعلن أنَّ «غنوصيص» الحقيقيَّة هي تعليم الرسل. فلا حاجة إلى أن نبحث عن معرفة تعود إلى أبٍ آخر. ولا أن نتخيَّل إلهًا آخر أو مسيحًا آخر. وفي النهاية، تتفوَّق المحبَّة على المعرفة[٥٣].

وهكذا تصل بنا المسيرة إلى كليمان أسقف الإسكندريَّة، وأوريجان، ذاك المعلِّم الذي بدأ في الإسكندريَّة، وانتقل إلى قيصريَّة في فلسطين، قبل أن يموت ويُدفَن في صور، في جنوب لبنان.

أ- كليمان

في القرن الثالث عاش كليمان، في الإسكندريَّة، حيث بدأت صياغة الغنوصيَّة المسيحيَّة صياغة منهجيَّة في تعارض مع الهرطقة الغنوصيَّة. قدَّم المعلِّم الخطوط الكبرى للغنوصيَّة المسيحيَّة الحقيقيَّة، وكانت نقطةُ الانطلاق الإيمان المؤسَّس على تعليم الربّ والرسل، كما يُقرأ في الكتب المقدَّسة ويُحفظ في الكنيسة.

---

(٥٢) حاشية ٧، ص ٢٦٨-٢٧١.

(٥٣) حاشية ٦، عمود ٥١٣. رج إيرينه، **ضدّ الهراطقة**، ١: ١١؛ ٤: ٣٣...

نقرأ في **الموشّيات** ما يلي: «إنّه لأمر إلهيّ مثل هذا التبديل: الانتقال من اللاإيمان إلى الإيمان والشروع في الإيمان بالرجاء والمخافة. وهكذا يبدو الإيمان لنا كحركة أولى تقود إلى الخلاص. وبعد المخافة، يتوسّع الرجاء والتوبة مع ضبط النفس والثبات، فيقود كلُّ هذا إلى المحبَّة والعِرفة (غنوصيص)... هذه الفضائل تظلُّ نقيَّة أمام الربّ، فترافقها الحكمة والعقل والعلم والعِرفة»[٥٤]. وفي الموشّية الثانية، دلَّ كليمان على تداخل الإيمان والعِرفة فقال: «بعد هذا العرض السريع عن الغنوصيّ، نستعيد ما يلي من حديثنا: ينبغي أن نعود الآن إلى دراسة متنبِّهة للإيمان. بعضهم يقوم بالتمييز التالي: يرتبط إيماننا بالابن، وموضوع معرفتنا هو الآب. فينسون أنَّه ينبغي الإيمان حقًّا بالابن. أي، إن أردنا أن نؤمن أنّه الابن، وأنَّه جاء، وأن نؤمن بشكل مجيئه وسببه، وبآلامه، من الضروريّ أيضًا أن نعرف من هو ابن الله. فلا معرفة بدون إيمان، ولا إيمان بدون معرفة... ثمَّ، لكي نؤمن بالابن يجب أن نعرف الآب الذي إليه يعود الابن (يو ١: ١). ومقابل هذا، لكي نعرف الآب يجب أن نؤمن بالابن، لأنَّ الابن هو الذي يعلِّم (يو ١: ١٨). فنحن نمرُّ من الإيمان إلى المعرفة، وبالابن يظهر الآب. فمعرفة الآب والابن، التي توافق القاعدة الغنوصيَّة الحقَّة، هي إدراك وتميُّز للحقيقة عبر الحقيقة» (يو ١٤: ٦-٧)[٥٥].

في هذا المجال، لا يفترق كليمان عن إيرينه، بل هو أمين للموقف التقليديّ الصحيح. ولكن إن استندت المعرفة إلى الإيمان، فهي تفعل لكي تتجاوزه. فهناك وحدة باطنيَّة ومتماسكة بين الإيمان والمعرفة. ينبوعهما واحد وهو الوحي بواسطة الكلمة (لوغوس). وموضوعهما واحد هو أسرار الله[٥٦]. غير أنَّ الإيمان فضيلة

---

(٥٤) CLÉMENT D'ALEXANDRIE, *Les Stromates,* II, 1-3 (SC 38), Paris, 1954, p. 57-58.

(٥٥) *Strom*. V, 1, 1-4, SC 278, p. 25.

(٥٦) *Strom*. IV, 16, 100; V, 1, 2: VI, 17, 155; VII, 2, 5.

«أوَّليَّة» ومشتركة. هي أساس يقوم عليه البناء الغنوصيّ[٥٧].

وتنفتح طريقان أمام ذاك الذي يودُّ العبور من الإيمان إلى المعرفة. الطريق الأوَّل هو البحث العقليّ، وبشكل خاصّ التفسير الروحيّ للكتب المقدَّسة مع نموّ الإيمان[٥٨]. «فمعرفة الاسم وفهم الإنجيل يعنيان العِرفة»[٥٩]. ونجد هنا أيضًا إحدى السمات الجوهريَّة في المعرفة داخل الكنيسة. لا شكَّ في أنَّ كليمان (ومعه أوريجان) توقَّف عند التأويل الأليغوريّ[٦٠] فأفرط فيه، ولكنَّ هذا التأويل حافظ أيضًا على عمق الطابع التقليديّ. ونحن نعرف أنَّ كليمان الذي كرَّس «للفنّ الرمزيّ» فصولاً واسعة[٦١]، قال بأنَّ «حجاب الأمثال» هو بالنسبة إلى الذين أعطي لهم، «الطريق الذي يقود من الإيمان إلى العِرفة»[٦٢].

وإذ أراد كليمان أن يرتفع إلى العِرفة في بحث عقليّ ينطلق من الإيمان، استعمل ما تقدِّمه له الفلسفة اليونانيَّة. وهكذا بدا سبّاقًا في النهج اللاهوتيّ. فالفلسفة التي هي «صورة الحقيقة المميَّزة وعطيَّة الله لليونان، تمنحنا تروُّضًا يبرهن عن الإيمان. فمقابلة العقائد ومعارضة بعضها بعضًا يدفعنا إلى البحث عن الحقيقة، بحثًا تخرج منه العِرفة»[٦٣]. فالعِرفة هي برهان الإيمان[٦٤]، هي لاهوت في المعنى الحصريّ للكلمة.

---

(٥٧) *Stromates*, V, 4, 26; VII, 10, 57.: «يُسمّي الرسول الإيمان المشترك تارة "الأساس" وطورًا "اللبن" فيقابله بكمال المعرفة».

(٥٨) *Stromates*, VI, 15.

(٥٩) *Stromates*, IV, 4, 15

(٦٠) أي تصوير فكرة بواسطة الرمز والاستعارة Allégorique

(٦١) الموشّية (*Stromates*) الخامسة ٤–١١، الينابيع المسيحيَّة (SC) ٢٧٨، ص ٥٧ ي.

(٦٢) Επιστεως εις γνωσιν، الموشّية السادسة ١٥: ١٢٦.

(٦٣) الموشّية الأولى ٢: ٢٠ الينابيع ٣٠، ص ٥٨.

(٦٤) رج الموشّية السابعة ١٦: ٩٥–٩٦.

وهناك طريق آخر به يصل المؤمن إلى العِرفة: طريق المجهود الخلقيّ وممارسة الفضائل(٦٥). فالطاعة للوصايا والتطهُّر من الأهواء والرذائل أمرٌ لا بدَّ منه للإنسان كي يصبح «جديرًا بالله» فتَبرز فيه «صورةُ الله» وينال «عرفة الله». فالذين تطهَّروا من أهوائهم، يقدرون وحدهم أن يدركوا موضوع رجائهم، أي «غنوصيص»، وهي معرفة الله بما تحمل من سعادة فتبدو هدف كلِّ مجهود في حياة فاضلة(٦٦).

ويُطرح سؤال حول علاقة العرفة (غنوصيص) بالمحبَّة (أغابي). هنا تأتي الأجوبة متعارضة. من جهة يقال: «إنَّ الفضائل التي تنمو منطلقة من الإيمان، تقود إلى المحبَّة وإلى العرفة»(٦٧). و«إنَّ المحبَّة تجد كمالها في العرفة»(٦٨). إنَّ العرفة هي فوق المحبَّة وقمَّة البناء الروحيّ. ومن جهة ثانية تتمُّ العرفة وتكتمل بالمحبَّة(٦٩) التي تكتمل حين تتجاوز نفسها(٧٠). فكيف نوفِّق بين هذا التعارض الظاهر، بالنسبة إلى الغنوصيّ الكامل و«المشاهد»؟ المحبَّة هي التي تتيح له هذه المعرفة التي هي اتِّحاد في الحبّ. فنقرأ في الموشّية السابعة: «العرفة التي تبلغ إلى المحبَّة تضمُّ على هذه الأرض العارف والمعروف كما الصديق وصديقه» (١٠: ٥٧). ومقابل هذا، فالعرفة التي تحوِّلها المحبَّة تزدهر في حبٍّ أكبر. وهذا التداخل بين العرفة والحبّ لا يعرف التعارض، بل يبيِّن لنا طابع هذه «غنوصيص» الأصيلة والمسيحيَّة. ومع ذلك، فالمسيرة التي تنطلق من الإيمان وترتفع إلى المعرفة، تمارَس في وجهتين مختلفتين. «غنوصيص» هي اللاهوت ويسمّيها كليمان «البرهان

(٦٥) الموشّية الثانية ٦: ٣١، الينابيع ٣٠، ص ٧٠؛ ٩: ٤٥. نقرأ: «لا شكَّ في أنَّ الأنبياء والرسل لم يعرفوا التقنيّات التي تشرف على ممارسات الفلسفة... وأنبياء وتلاميذ الروح عرفوا هذا المعنى معرفة يقينيَّة، لأنَّ الروح تكلَّم آخذًا بعين الاعتبار، الإيمان»، الينابيع، ٣٠، ص ٨٠.

(٦٦) الموشّية الثالثة ٥: ٤٢-٤٤.

(٦٧) الموشّية الثانية ٦: ٣١، الينابيع ٣٠، ص ٧٠.

(٦٨) الموشّية الثانية ٩: ٤٥؛ رج الموشّية الرابعة ٧: ٥٤.

(٦٩) الموشّية السادسة ٩: ٧٨.

(٧٠) الموشّية السابعة ١٠: ٥٧-٥٨؛ ١١: ٦٧-٦٨.

العلميّ لحقائق تنقلها الفلسفةُ الحقَّة (= الإيمان المسيحيّ))»(٧١). هذا من جهة. ومن جهة ثانية هي مشاهدة ومشاهدة صوفيَّة. فألفاظ الفلسفة وألفاظ الأسرار تمتزج مع ألفاظ العهد الجديد لتوجِّهنا إلى هذه «المعرفة أو بالأحرى إلى هذه الحكمة» التي «تقود إلى حالة من المشاهدة أبديَّة وغير متبدِّلة»(٧٢).

اختلفت الغنوصيَّة المسيحيَّة عن الغنوصيَّة المهرطقة، فتهيَّأت في ممارسة الفضيلة وما في هذه الممارسة من جهد، ونمت في مجموعة من المزايا: فالعرفة هي أيضًا مثال كمال خلقيّ(٧٣). والغنوصيّ يمتلك امتلاكًا، القوَّة والصبر وطهارة القلب وسلام النفس(٧٤). إنَّه يصلّي في كلِّ آن، لا في أوقات حدَّدتها عادةٌ في الكنيسة: فحياته كلُّها احتفال(٧٥) مقدَّس. هو يصلّي ويقدر أن يعلِّم إخوته(٧٦). ونحن نكتشف في الموشّية السابعة صورة مثاليَّة عن الغنوصيّ الذي صار شبيهًا بالملائكة بل بالله؛ ولكنَّها صورة متفائلة جدًّا يبحث فيها الإنسان عن الكمال خارج حياة الكنيسة.

ب- أوريجان

اعتبر غوستاف باردي(٧٧) أنَّ أوريجان (+٢٥٣/٢٥٥) لم يكن تلميذ كليمان ولكن يبدو أنَّ بعض فكره ارتبط بما في **الموشّيات**، مع العلم أنَّه كان لأوريجان فكر أصيل.

---

(٧١) الموشّية الثانية ١١: ٤٨؛ الينابيع ٣٨، ص ٧٣؛ الموشّية السابعة ١٠: ٥٧؛ ١٦: ٩٥-٩٦.

(٧٢) الموشّية السادسة ٧: ٦١.

(٧٣) الموشّية الثانية ١٠: ٤٦؛ الينابيع ٣٨، ص ٧١.

(٧٤) Απαθεια

(٧٥) Πανηγυρις، الموشّية السابعة ٧: ٤٩.

(٧٦) *DS,* VI (Paris, 1967), col. 514-515

(٧٧) G. BARDY, "Aux origines de l'école d'Alexandrie", dans *Recherches de Sciences religieuse* 27 (1937), p. 65-90; « Pour l'histoire de l'école d'Alexandrie » dans *Vivre et penser (Revue Biblique), 2 (1942) 80-109.*

وهناك طريق آخر به يصل المؤمن إلى العِرفة: طريق المجهود الخلقيّ وممارسة الفضائل[٦٥]. فالطاعة للوصايا والتطهُّر من الأهواء والرذائل أمرٌ لا بدَّ منه للإنسان كي يصبح «جديرًا بالله» فتَبرز فيه «صورةُ الله» وينال «عرفة الله». فالذين تطهَّروا من أهوائهم، يقدرون وحدهم أن يدركوا موضوع رجائهم، أي «غنوصيص»، وهي معرفة الله بما تحمل من سعادة فتبدو هدف كلِّ مجهود في حياة فاضلة[٦٦].

ويُطرح سؤال حول علاقة العرفة (غنوصيص) بالمحبَّة (أغابي). هنا تأتي الأجوبة متعارضة. من جهة يقال: «إنَّ الفضائل التي تنمو منطلقة من الإيمان، تقود إلى المحبَّة وإلى العرفة»[٦٧]. و«إنَّ المحبَّة تجد كمالها في العرفة»[٦٨]. إنَّ العرفة هي فوق المحبَّة وقمَّة البناء الروحيّ. ومن جهة ثانية تتمُّ العرفة وتكتمل بالمحبَّة[٦٩] التي تكتمل حين تتجاوز نفسها[٧٠]. فكيف نوفِّق بين هذا التعارض الظاهر، بالنسبة إلى الغنوصيّ الكامل و«المشاهد»؟ المحبَّة هي التي تتيح له هذه المعرفة التي هي اتِّحاد في الحبّ. فنقرأ في الموشّية السابعة: «العرفة التي تبلغ إلى المحبَّة تضمُّ على هذه الأرض العارف والمعروف كما الصديق وصديقه» (١٠: ٥٧). ومقابل هذا، فالعرفة التي تحوِّلها المحبَّة تزدهر في حبٍّ أكبر. وهذا التداخل بين العرفة والحبّ لا يعرف التعارض، بل يبيِّن لنا طابع هذه «غنوصيص» الأصيلة والمسيحيَّة. ومع ذلك، فالمسيرة التي تنطلق من الإيمان وترتفع إلى المعرفة، تمارَس في وجهتين مختلفتين. «غنوصيص» هي اللاهوت ويسمّيها كليمان «البرهان

(٦٥) الموشّية الثانية ٦: ٣١، الينابيع ٣٠، ص ٧٠؛ ٩: ٤٥. نقرأ: «لا شكَّ في أنَّ الأنبياء والرسل لم يعرفوا التقنيّات التي تشرف على ممارسات الفلسفة... وأنبياء وتلاميذ الروح عرفوا هذا المعنى معرفة يقينيَّة، لأنَّ الروح تكلَّم آخذًا بعين الاعتبار، الإيمان»، الينابيع، ٣٠، ص ٨٠.

(٦٦) الموشّية الثالثة ٥: ٤٢-٤٤.

(٦٧) الموشّية الثانية ٦: ٣١، الينابيع ٣٠، ص ٧٠.

(٦٨) الموشّية الثانية ٩: ٤٥؛ رج الموشّية الرابعة ٧: ٥٤.

(٦٩) الموشّية السادسة ٩: ٧٨.

(٧٠) الموشّية السابعة ١٠: ٥٧-٥٨؛ ١١: ٦٧-٦٨.

العلميّ لحقائق تنقلها الفلسفةُ الحقَّة (= الإيمان المسيحيّ))»[٧١]. هذا من جهة. ومن جهة ثانية هي مشاهدة ومشاهدة صوفيَّة. فألفاظ الفلسفة وألفاظ الأسرار تمتزج مع ألفاظ العهد الجديد لتوجِّهنا إلى هذه «المعرفة أو بالأحرى إلى هذه الحكمة» التي «تقود إلى حالة من المشاهدة أبديَّة وغير متبدِّلة»[٧٢].

اختلفت الغنوصيَّة المسيحيَّة عن الغنوصيَّة المهرطقة، فتهيَّأت في ممارسة الفضيلة وما في هذه الممارسة من جهد، ونمت في مجموعة من المزايا: فالعرفة هي أيضًا مثال كمال خلقيّ[٧٣]. والغنوصيّ يمتلك امتلاكًا، القوَّة والصبر وطهارة القلب وسلام النفس[٧٤]. إنَّه يصلّي في كلِّ آن، لا في أوقات حدَّدتها عادةٌ في الكنيسة: فحياته كلُّها احتفال[٧٥] مقدَّس. هو يصلّي ويقدر أن يعلِّم إخوته[٧٦]. ونحن نكتشف في الموشّية السابعة صورة مثاليَّة عن الغنوصيّ الذي صار شبيهًا بالملائكة بل بالله؛ ولكنَّها صورة متفائلة جدًّا يبحث فيها الإنسان عن الكمال خارج حياة الكنيسة.

ب- أوريجان

اعتبر غوستاف باردي[٧٧] أنَّ أوريجان (+٢٥٣/٢٥٥) لم يكن تلميذ كليمان ولكن يبدو أنَّ بعض فكره ارتبط بما في **الموشّيات**، مع العلم أنَّه كان لأوريجان فكر أصيل.

---

(٧١) الموشّية الثانية ١١: ٤٨؛ الينابيع ٣٨، ص ٧٣؛ الموشّية السابعة ١٠: ٥٧؛ ١٦: ٩٥-٩٦.

(٧٢) الموشّية السادسة ٧: ٦١.

(٧٣) الموشّية الثانية ١٠: ٤٦؛ الينابيع ٣٨، ص ٧١.

(٧٤) Απαθεια

(٧٥) Πανηγυρις، الموشّية السابعة ٧: ٤٩.

(٧٦) *DS,* VI (Paris, 1967), col. 514-515

(٧٧) G. BARDY, “Aux origines de l’école d’Alexandrie”, dans *Recherches de Sciences religieuse* 27 (1937), p. 65-90; « Pour l’histoire de l’école d’Alexandrie » dans *Vivre et penser (Revue Biblique), 2 (1942) 80-109.*

فالرغبة في المعرفة عميقة عند أوريجان[٧٨] كما عند كليمان. حين نقرأ مؤلَّفات أوريجان، يرتفع النظر إلى حياة السماء حيث نرى الله «وجهًا لوجه». ولكن يبقى أنَّ مثال أوريجان هو في قسم منه مثال عقليّ. كما نلاحظ منذ الآن أنَّ هذه الرغبة في المعرفة يلهمها الحبّ. لهذا كتب لتلميذه أمبروسيوس الذي ردَّه من الغنوصيَّة إلى إيمان الكنيسة: «بما أنَّك لم تجد معلِّمين جديرين بأن يعلِّموك التعليم الأعلى، وبما أنَّ حبَّك ليسوع ما عاد يحتمل إيمانًا شعبيًّا ولا عقلانيًّا، استسلمتَ إلى هذه التعاليم التي ما عتَّمتَ أن شجبتها ورذلتها»[٧٩]. لقد اهتمَّ أوريجان بأن يتجاوز الإيمان اللاعقلانيّ[٨٠]، الإيمان المجرَّد[٨١]، لكي يرتفع إلى ال«غنوصيص»، إلى العرفة.

وشابه أوريجان كليمان، فميَّز تمييزًا واضحًا العرفة عن الإيمان: «معرفة الله غير الإيمان به إيمانًا بسيطًا»[٨٢]. «فالسير في الرؤية[٨٣] خير من السير في الإيمان»[٨٤]. فالإيمان هو المرحلة الأولى بالنسبة إلى مجمل المؤمنين[٨٥]. يجب أن يتمَّ ويكتمل في المعرفة[٨٦]. وهكذا نكون في المسيرة ذاتها التي سارها كليمان: بعد أن تتطهَّر النفس من الأهواء وتتجاوز المعرفة الحسّيَّة، تستعدّ لهذه المعرفة السامية[٨٧]. فالعرفة هي ثمرة نقاوة القلب والممارسة المستمرَّة للفضائل: فأسرار الحكمة لا

(٧٨) المبادئ ٢/١١: ٤–٥؛ في المزامير ٣٦، العظة ٥: ٢؛ في سفر **العدد** ٢١: ١.

(٧٩) في إنجيل يوحنّا 5: 8; SC 120, p. 381

(٨٠) Αλογος = non raisonnée

(٨١) ψιλη = nue

(٨٢) في إنجيل يوحنّا ١٩: ٣.

(٨٣) δια ειδους

(٨٤) في إنجيل يوحنّا ١٣: ٥٣.

(٨٥) *Contra Celsum* I, 9; VI, 13.

(٨٦) في إنجيل يوحنّا ١٠: ٣٧.

(٨٧) المبادئ ١/١: ٧؛ في إنجيل يوحنّا ٣٢: ٧؛ سفر العدد، عظة ٢١: ١؛ الصلاة ٢٠: ٢.

تُفتح إلاَّ لمن يعيش حسب الفضيلة[٨٨]. هنا ينطلق تعليم عن الممارسة[٨٩] والتنظير[٩٠]، عن الحياة الناشئة كتهيئة لحياة المشاهدة[٩١].

ما يميِّز هذا المفسِّر العظيم الذي هو أوريجان، مماثلة هذا الإيمان الأوَّليّ والتقبُّل البسيط للنؤمن العماديّ، مع معرفة المعنى الحرفيّ للكتب المقدَّسة[٩٢]. أمّا غنوصيص فهي معرفة المعاني الروحيَّة والخفيَّة[٩٣]. وهكذا نجد هنا ما وجدناه فيهما من قبل. ولكنَّ أوريجان يشدِّد عليه ويمنهجه. فهدف كرازة أوريجان كلِّها، هو دفع سامعيه ليرتفعوا إلى حياة روحيَّة سامية بممارسة ثابتة للفضائل، ولهذا نراه ويتجاوز المعنى الحرفيّ والتاريخيّ للكتب المقدَّسة، ليبحث عن المعنى الروحيّ والصوفيّ. فنجد **في المبادئ** (٤/٢: ٤) توازيًا لافتًا بين درجات الارتقاء الروحيّ (البسطاء، المتقدِّمون، الكمّال)[٩٤] والمعرفة المتنامية لمعاني الكتب الثلاثة: «الشريعة الروحيَّة» تبني الكمال.

حين يلج «الغنوصيّ» الكتاب المقدَّس ولوجًا روحيًّا، يعرف التدبير السرّيّ، وسرّ التجسُّد، ومخطَّط الله الخلاصيّ. كما يقدر «أن يفهم كلَّ مدلول الأشياء، ويعرف بشكل أكمل وأعمق أسباب تجسُّد كلمة الله والأشكال التي يرتديها هذا السرّ»[٩٥]. فيصل إلى معرفة أسرار الله. ويرد الكلام عن أمور خفيَّة[٩٦] لا توصف، عن مشاهدة ما لا يُرى[٩٧]. وخصوصًا حول «علم عن الثالوث... فأيُّ

(٨٨) إنجيل متّى ١٢: ١٤.

(٨٩) Πραξις

(٩٠) θεωρια

(٩١) في **إنجيل يوحنّا** الجزء ٨٠.

(٩٢) في **إنجيل يوحنّا** ١٠: ٤٣.

(٩٣) *Contra Celsum* III, 33

(٩٤) Simpliciores, proficientes, perfecti

(٩٥) في **سفر العدد**، العظة ٢٧: ١٢.

(٩٦) Mystica في **إنجيل يوحنّا** ١: ٣٠.

(٩٧) **المبادئ** ١/١: ٧

علم أكمل من معرفة الآب والابن والروح القدس»(٩٨).

تتميَّز الغنوصيَّة عند أوريجان بأمرين: هي أوَّلاً عطيَّة من عطايا الروح. هي موهبة مجّانيَّة يمنحها البارقليط الذي يقدر وحده أن يهب الفهم الحقيقيّ للكتب المقدَّسة(٩٩). ثانيًا، شدَّد أوريجان بقوَّة على الطابع العاطفيّ لهذه المعرفة والمكانة التي يحتلُّها فيها الحبّ: «معرفة الله حبٌّ روحيّ»(١٠٠). هذه المعرفة هي اتِّحاد(١٠١) ومشاركة(١٠٢). من عرف امتزج(١٠٣) واتَّحد. وهذا أيضًا هو موهبة من الله: ما كان للإنسان أن يعرف لو لم يعرفه الله من قبل (غل ٤: ٩). فيمتزج به ويمنحه لاهوته(١٠٤). وهكذا تصبح «غنوصيص» صوفيَّة وخبرة حبّ لله حاضرٍ في النفس الواهب ذاته لها. هذا ما عبَّر عنه أوريجان بشكل خاصّ في نشيد الأناشيد مع كلامه عن صوفيَّة الأعراس(١٠٥). «يتحدَّث هذا الكتاب (نشيد الأناشيد) عن هذا الحبّ الذي يشتعل ويتَّقد في النفس السعيدة، من أجل كلمة (لوغوس) الله، فتنشد هذه الأشعار بالروح الذي به تنضمُّ الكنيسة وتجتمع إلى المسيح، عريسها السماويّ، وترغب بأن تمتزج به الكلمة لتحمل معه وتخلص في هذه الولادة العفيفة، ولادة أبنائها حين يقيمون في الإيمان والقداسة، بعد أن حُبل بهم من زرع الكلمة ووضعَتْهم وولدَتْهم الكنيسة التي لا عيب فيها، أو النفس، بحيث لا يطلبون بعد ما هو جسديّ ومادّيّ، بل يشتعلون فقط بحبِّ كلمة الله»(١٠٦).

---

(٩٨) في سفر العدد، العظة ١٠: ٣.

(٩٩) إنجيل متّى ١٥: ٣٠.

(١٠٠) في سفر الأمثال ٦.

(١٠١) ηνωσις

(١٠٢) Κοινωνια

(١٠٣) κεκρασθαι

(١٠٤) في يوحنّا ١٩: ٤، ٢٢.

(١٠٥) حاشية ٧، ص ٣٥٦–٣٦٣.

(١٠٦) في نشيد الأناشيد، المطلع.

من سماع صوت المسيح إلى رؤية وجهه، ننتقل من العهد القديم إلى العهد الجديد. وتنمو النفس في معرفة اللوغوس (الكلمة) بإدراك يتعمَّق يومًا بعد يوم، لحقائق الكتب المقدَّسة. ففي الحياة الحاضرة يكون اللوغوس حاضرًا للنفس، وفي الوقت عينه يكون آتيًا إليها وكأنّي به ما زال غائبًا. هذا ما نقرأ في تفسير نشيد الأناشيد: «تارة يكون العريس حاضرًا ويعتلن، وطورًا يقال إنَّه غائب فنرغبه. وكلاهما يليقان بالكنيسة وبالنفس الورعة. فمن يسمح أن تقاسي الكنيسة الاضطهادات والمضايق، يبدو لها غائبًا. وحين تنمو أيضًا في السلام وتزهر في الإيمان والأعمال الصالحة، تفهم أنَّه حاضر لها. وهذا ما نقوله أيضًا بالنسبة إلى النفس. حين تبحث عن معنى وترغب في معرفة الأمور السرّيَّة والخفيَّة، يكون كلمة الله غائبًا بلا شكّ إن لم تستطع البلوغ. ولكن حين يأتيها ما طلبت، فمن يشكُّ أنَّ كلمة الله هو هنا، وهو ينير عقلها ويعطيها نور المعرفة (غنوصيص)»[١٠٧].

وننهي كلامنا عن أوريجان بإيراد العظة السابعة عشرة حول سفر العدد: «الذين يعملون للحكمة (والمعرفة) لا نهاية لمجهودهم (فأين تكون حدود حكمة الله؟). يكتشفون عمقها بقدر ما يقتربون منها. فبقدر ما نتفحَّصها نفهم فهمًا أكبر طابعها الذي لا يعبَّر عنه ولا يُفهم. فحكمةُ الله لا تُفهم ولا تُقدَّر. فالذين يسيرون في طريق حكمة الله، لا يشيد بلعام ببيوتهم لأنَّهم وصلوا إلى نهاية الحجّ، بل يُعجب بخيام ينتقلون معها دومًا ويتقدَّمون دومًا. وبقدر ما يتقدَّمون تمتدُّ طريق التقدُّم أمامهم فتتَّجه إلى اللامحدود. ذاك هو العقل الذي لأجله سمَّاهم خيام إسرائيل حين تأمَّلَ بالفكر تقدَّمَهم.

«في الواقع، من تقدَّم بعض الشيء في المعرفة واقتنى بعض الخبرة في هذا المجال، يعرف هذا جيِّدًا: فما إن يصل إلى بعض التنظير، إلى بعض معرفة للأسرار

(١٠٧) في نشيد الأناشيد، ٣.

الروحيَّة، تقيم نفسه فيها كما في خيمة. ولكن بعد أن يجسّ مناطق أخرى انطلاقًا من اكتشافاته الأولى، وبعد أن يُتمَّ تقدُّمات عقليَّة أخرى، يطوي خيمته ويتوجَّه إلى أعلى وهناك يقيم مسكنَ روحه المثبتَ في متانة معاني الكتاب المقدَّس. ولكن حين ينطلق أيضًا من هناك، يكتشف معاني روحيَّة أخرى تأتي بعد الأولى. وهكذا تتَّجه النفس دومًا إلى الأمام، فتبدو في تقدُّمها كالبدو مع خيامهم. ولن يكون وقت فيه تشتعل النفس بنار المعرفة فتعطي ذاتها وقتًا للراحة: فهي دومًا ستُدفع من صلاح إلى أصلح، ومن هذا الأصلح إلى أرفع القمم»[١٠٨].

٣. في خطّ أوريجان

ظلَّ تقليد أوريجان حيًّا حتّى القرنين الرابع والخامس. صاغ الآباء بعده لاهوتًا عميقًا، فعالجوا مسألة معرفة الله، انطلاقًا من الخلق[١٠٩] أو من صورة الله في الإنسان[١١٠]. ولكنَّهم شدَّدوا على حدود هذه المعرفة ردًّا على التيّار الأريوسيّ، فتحدَّثوا عن عجزنا عن فهم الله[١١١]. أمّا باسيل (+ ٣٧٩) فعالج العلاقات بين معرفة الله الطبيعيَّة انطلاقًا من الخلق، والمعرفة التي تُعطى بالإيمان وتكتمل في العبادة[١١٢].

(١٠٨) **العظة** ١٧، **حول سفر العدد** ٤.

(١٠٩) غريغوار النازيانزيّ (+ ٣٨٩)، **الخطب اللاهوتيَّة** ١-٢؛ **الآباء اليونان** ٣٦: ١٢-٧٢. SC 247, Paris, 1978.

(١١٠) أثناز (+٣٧٥)، **ضدّ الإثم** ٣٠-٣٤؛ **الآباء اليونان** ٢٥: ٦٠-٦٩. رج غريغوار النيصيّ، **حول التطويبات**، العظة السادسة، **الآباء اليونان** ٤٤: ١٢٦٤-١٢٧٧.

(١١١) *JEAN CHRYSOSTOME, l'incompréhensibilité de Dieu* (SC 28), Paris, 1951.

(١١٢) **الرسالة ٢٣٥**: ١. **إلى أمفيلوك**، الآباء اليونان ٣٢: ٨٧٢ب.

أمّا نحن فنتوقَّف عند وجهين في خطٍّ أوريجان: غريغوار النيصيّ وأوغريس البنطيّ[١١٣].

أ- غريغوار النيصيّ

في الأصل، نجد بعض الحذر لدى غريغوار (+ ٣٩٥) من «غنوصيص»، معرفة الله. يسمّيها: حركة فضوليَّة وبدون فائدة[١١٤]. فبالإيمان تبرَّر إبراهيم لا بالمعرفة. «باطل من يعتبر أنَّه يقدر أن يعرف جوهر الله ب«غنوصيص» تنتفخ بلا فائدة»[١١٥]. نلاحظ أنَّ مثل هذا الكلام يخفِّف ما قاله كليمان وأوريجان ويصحِّحه. فهناك «غنوصيص»، أي تعميق الإيمان، معاصر للواقع[١١٦]. إنَّها معرفة شرعيَّة. ولكنَّها لا تثمر قداسة. فالقداسة هي ثمرة المحبَّة.

غير أنَّ هناك معرفة أخرى في نهاية هذا الارتقاء الذي لا نهاية له، والذي يدعو إليه غريغوار المسيحيّين: هي معرفة الله[١١٧] في عتمة الله. هذا ما يشير إليه غريغوار في العظة الحادية عشرة في نشيد الأناشيد[١١٨]، ويتوسَّع فيه في **تأمُّل في حياة موسى**. لا نجد عنده الرسمة المعروفة للطرق الثلاث في الحياة الروحيَّة. غير أنَّا نقول إنَّ تقدُّم الحياة الروحيَّة هو في الوقت عينه تطهُّر متطلِّب وتقدُّم في المعرفة

(١١٣) *DS* VI (Paris, 1967), col. 518ss; L. BOUYER, « Gnosis. Le sens orthodoxe de l'expression jusqu'aux Pères alexandrins » in *The Journal of the Theological Studies,* nouv. Série 4 (1953), p. 188-203; R.M. GRANT, *Gnosticism and Early Christianity*, New-York, 1959; tr. Fr. *La gnose et les origines chrétiennes,* Paris, 1964; R. OUKEMA, *Gnosis and Faith in Early Christianity,* London, 1999.

(١١٤) J. DANIELOU, *Platonisme et théologie mystique.* Essai sur la doctrine spirituelle de Saint Grégoire de Nysse, Paris, 1944, p. 152.

(١١٥) *Contra Eunomium* II, PG, 45, 941c.

(١١٦) *Vie de Moïse*, II, 153, 156, 162, SC 1, 1955

(١١٧) θεογνωσια

(١١٨) الآباء اليونان ٤٤: ٩٩٣-١٠١٣.

يمرُّ في ثلاث درجات. يتجلّى الله لموسى في النور: وهكذا ينفصل عن جميع الأفكار الخاطئة حول الله. ثمَّ يكمِّله في الغمام: وهكذا يتجرَّد عن المحسوس تجرُّدًا يقود النفس إلى التأمُّل في الأمور الخفيَّة. وأخيرًا، شاهدَ موسى الله في العتمة: وهكذا تخلَّت النفس عن إمكانيّات الطبيعة البشريَّة، وولجت معبد معرفة الله[١١٩] محاطة بالنعمة الإلهيَّة. كلُّ هذا نقرأه في نصٍّ من **حياة موسى**:

«فالكتاب يعلِّمنا أنَّ المعرفة الدينيَّة (الأدريَّة) هي في بدء أمرها نور، تقاومُ به الكفرَ الذي هو ظلمة، والظلمات تنحدر أمام النور. ولكن بمقدار ما تتقدَّم النفس في مسيرتها، وتبذل من جهد حثيث ومتواصل، وتصل إلى تفهُّم ما هي معرفة الحقائق، وتقترب أكثر فأكثر من التأمُّل، بمقدار ذلك ترى أنَّ الطبيعة الإلهيَّة غير مرئيَّة. فبعدما يتخلّى الإنسان عن جميع الظاهرات، لا ما تدركه الحواسّ فقط، بل ما يظنُّ العقل أنَّه يراه أيضًا، يمضي إلى الأمام في الداخل إلى أن يخترق، بجهد من الروح، جميعَ الحجب، ويصل إلى غير المرئيّ، وغير المدرك، فيرى الله. وتقوم معرفة ما يطلبه الإنسان... بأن يرى أنَّه غير مرئيّ، لأنَّ ما يطلبه يفوق كلَّ معرفة، تحجبه لاإمكانيَّة إدراكه من كلِّ جهة كما لو كان في ظلام. ولهذا يقول يوحنّا الملائكيّ الذي دخل في تلك الظلمة النيِّرة «الله لم يره أحد قطّ»، محدِّدًا بهذا النفي أنَّ معرفة الجوهر الإلهيّ ليست في مكنة البشر وحسب، بل ليست في مكنة أيِّ طبيعة عقليَّة أيضًا. وهكذا فعندما تقدَّم موسى في المعرفة أعلنَ أنَّه يرى الله في الظلام أي أنَّه عرف أنَّ الألوهة تفوق جوهريًّا كلَّ معرفة (أدريَّة) وأنَّها فوق إدراك العقل»[١٢٠].

إنَّ تعليم غريغوار تقليديّ في العمق. ففي نظره، ينبوع كلِّ معرفة هو الكتاب المقدَّس الذي نفسِّره تفسيرًا روحيًّا. فالأدريَّة (غنوصيص) تفترض تنقية الأهواء،

(١١٩) θεογνωσια

(١٢٠) **حياة موسى أو الكمال في مجال الفضيلة**، غريغوار النيصيّ، نقلها إلى العربيَّة حنّا الفاخوري، المكتبة البولسيَّة ١٩٩٦، ص ٨٩–٩٠. أمّا أرقام النسخة العلميَّة فهي ٢: ١٦٢–١٦٤.

وتجاوز كلِّ معرفة حسّيَّة. ولكن تبرز شخصيَّة غريغوار فيصبح أساس تقليد روحيّ، في قوله بأنَّ معرفة الله تفوق كلَّ معرفة. والخبرُ البيبليّ لرؤية موسى «في الغمام» هو بالنسبة إليه الإطار الذي فيه صاغ لاهوت «صوفيَّة الظلمة»(١٢١) التي ظهرت عناصرها عند فيلون وكليمان. فالله يقى خفيًّا بشكل لا محدود، والرؤية الحقيقيَّة تقوم بأن لا نرى. فحين تتجاوز النفس كلَّ معرفة، تختبر «عاطفة الحضور هذه»، حضور الله في الظلمة(١٢٢). حضور الله للنفس وحضور النفس لله، تداخل متبادل. يأتي الله في النفس. ومقابل ذلك تنتقل النفس إلى الله(١٢٣) وهكذا نتجاوز المعرفة فنصل إلى المشاهدة(١٢٤).

قال غريغوار في العظة الحادية عشرة حول «نشيد الأناشيد»: «تجلّى الله أوَّلاً لموسى بالنور. ثمَّ تكلَّم معه في الغمام. وأخيرًا، حين كمُل موسى، شاهد الله في الظلمة. فالعبور من الظلمة إلى النور هو أوَّل انفصال(١٢٥) عن الأفكار الخاطئة والضالَّة عن الله. وفهم الخفايا والتنبُّه لها، يقودان النفس بواسطة المرئيّات إلى حقيقة لا تُرى. فهذا ما يشبه الغمامة التي تُحلّ ظلمتَها على المحسوس كلِّه وتعوّد النفس على مشاهدة ما هو خفيّ. وأخيرًا، إنَّ النفس التي سارت في هذه الطرق نحو الأمور العلويَّة بعد أن تخلَّت عن الأمور الأرضيَّة، على قدر ما تستطيعه الطبيعة البشريَّة، تلج معابد المعرفة الإلهيَّة التي تحيط بها الظلمة الإلهيَّة من كلِّ صوب»(١٢٦).

---

(١٢١) **المرجع السابق**، ص ٢٢. **المقدّمة** ١٤-١٥.

(١٢٢) **العظة** ١٢، حول **نشيد الأناشيد**.

(١٢٣) **العظة** ٦، حول **نشيد الأناشيد**.

(١٢٤) حاشية ٧، ص ٤٢٢-٤٤٢.

(١٢٥) αναχωσησις

(١٢٦) *XI^e Homélie sur le Cantique*, PG 44, 1000 cd

ب- أوغريس البنطيّ

يقف أوغريس البنطيّ (+ ٣٩٩) في تقليد أوريجان، بل هو يحلُّ في المركز الأوّل[١٢٧]. أمّا نحن فنتوقّف عند «غنوصيص» (العرفة) كمعرفة دينيَّة أو خبرة روحيَّة.

خُلقت جميع الكائنات لكي تعرف الله. فمعرفة الله تفوق كلَّ شيء[١٢٨]. وعلمُ الله هذا (معرفة الثالوث الأقدس) هو هدف وقمَّة الارتقاء الروحيّ. هو يمرُّ في طريق من التطهيرات المتعاقبة مع وجهة عقلانيَّة بارزة.

نقرأ هنا ثلاثة أقوال مأثورة من الوحدة المئويَّة الأولى: «البرّانيّون، خبزهم ليس خبز تقدمة، وشرابهم مليء بالذباب. أمّا الجوّانيّون فخبزهم خبز التقدمة وشرابهم لا سوء فيه. حركة الأجساد هي في الزمن. وأمّا تحوُّل اللاجسديّين فخارج الزمن. إنَّ مشاهدة هذا العالم الحسّيّ لم تعطَ طعامًا للبشر فقط، بل لسائر الكائنات العاقلة»[١٢٩].

فالحياة العمليَّة التي هي «نهج روحيّ ينقّي الجزء المتألِّم[١٣٠] في النفس، يعدّ الطريق للحياة «الغنوصيَّة» أو «النظريَّة»[١٣١]. وتنقسم الحياة الغنوصيَّة درجتين تقابلان مواضيع هذه المشاهدة. الفيزياء أو مشاهدة المخلوقات. واللاهوت، أو مشاهدة أسرار الله. ونحن نجد عبارات تشير إلى هذه الرسمة المثلَّثة. «يتألَّف علم خلاصنا من ثلاثة أمور: ممارسة الوصايا، مشاهدة الطبائع، الأقوال التي تدلُّ على الله» (القول العاشر). فإذا أراد العقل[١٣٢] أن يعبر من الواحد إلى الآخر، عليه أن

---

(١٢٧) حاشية ٧، ص ٤٤٣-٤٧٢.

(١٢٨) A. GUILLAUMONT, *Les Kephalaia gnostica,* version syriaque, P.O. 28 (1958), II, 87

(١٢٩) **المرجع السابق،** ٢: ٨٦-٨٨.

(١٣٠) Παθητικη

(١٣١) θεωρια

(١٣٢) νους في اليونانيَّة. «ܗܘܢܐ» في السريانيَّة. **المرجع السابق،** ٥: ٥٢: «فهمُ الجسديّين يحتاج إلى عقل طاهر، وفهم اللاجسديّين يحتاج إلى عقل أطهر، والثالوث الأقدس إلى عقل أطهر من هذا».

يتنقّى شيئًا فشيئًا. فمشاهدة هذه الأقوال[١٣٣] تتحقّق في درجات مختلفة.

«خمسٌ هي المشاهدات الرئيسيَّة وتحتها تقوم كلُّ مشاهدة. يُقال إنَّ الأولى هي مشاهدة الثالوث المعبود والقدّوس. والثانية والثالثة مشاهدة اللاجسديّين والجسديّين. والرابعة والخامسة مشاهدة الدينونة والعناية».

فإذا أردنا البلوغ إلى معرفة الثالوث، يجب أن نتجاوز كلَّ المشاهدات الدنيا. وهذه المشاهدات هي مجال التعدُّديَّة والمجهود[١٣٤]. إنَّ معرفة الثالوث هي معرفة الوحدة والسلام التي تفوق كلَّ تصوُّر. ولا تصل النفس إليها، إلاَّ بعد أن تتجاوز جميع الأشكال، وتدخل في عري العقل التامّ[١٣٥]، فلا تطلب أن ترى صورة ولا شكلاً في وقت الصلاة. وهكذا تصل إلى «الجهلُ اللامحدود»[١٣٦]. فجوهر اللاهوت لا يُفهم[١٣٧]، ولا تستطيع النفس أن تبلغ إلى مشاهدة الثالوث إلاَّ في معرفة ذاتها كصورة الله وهيكل الله ومسكن الله.

نقرأ في ٣: ٦: «الوحدة هي الآن ما يعرفه المسيح وحده، هو الذي جوهره المعرفة». وفي ٥: ٨٤: «هيكل المعرفة هو العقل النقيّ الذي يمتلك في ذاته حكمة الله الكلّيَّة التنوُّع. وهيكل الله هو ذاك الذي يرى الوحدة المقدَّسة. ومذبح الله هو مشاهدة الثالوث الأقدس». وفي ٦: ٧٣: «العقل هو صورة الله، لا لأنَّه لاجسديّ، بل لأنَّه جُعل جديرًا بمعرفة الثالوث الأقدس».

---

(١٣٣) الوحدة المئويَّة (Centurie) الأولى ٢٧. رج ٦: ٧٥: «العلم الأوَّل في الطبيعة العاقلة هو مشاهدة الثالوث الأقدس. ثمَّ، هناك حركة الحرّيَّة. وبعدها مساعدة العناية الإلهيَّة بعقاب يعيدنا إلى الحياة، أو بتعليم يقرِّبنا من المشاهدة الأولى».

(١٣٤) **مقال في الصلاة**، الآباء اليونان I. HAUSHERR, "Le Traité de l'oraison d'Evagre le Pontique (Pseudo-Nil)". Extrait de la *Revue d'Ascétique et de Mystique,* 15 (Janvier – Avril 1934), Toulouse, 1934.

(١٣٥) Centurie III, 6, 19.

(١٣٦) الوحدة المئويَّة الثالثة ٨٨. نشير هنا إلى اختلاف بين مخطوط ومخطوط. ففي الأوَّل نقرأ: «طوبى لمن بلغ إلى جهل (لامحدا في السريانيَّة) لا محدود». وفي الثاني: «طوبى لمن بلغ إلى معرفة (محدا في السريانيَّة).

(١٣٧) Centurie II, 11; V, 51.

ثمَّ إنَّ هذه المشاهدة التي لا شكل أمامها، في عري العقل، تتماهى في نظر أوغريس، مع «الصلاة النقيَّة». «فالعقل الذي ما زال على مستوى ممارسة الوصايا فقط، يعيش وهو يفكِّر في الأشياء. وحين يصل إلى المعرفة، يعيش عادة في التأمُّل. وحين يجيء إلى الصلاة يدخل في معرفة لا شكل فيها»(١٣٨). «فالصلاة هي حالة العقل الذي يُلغي كلَّ أفكار الأرض». وهكذا نرى الطريق التي مرَّت فيها المعرفة لكي تصبح صلاة. في هذا المجال نفهم عبارة وردت في المقال حول الصلاة: «إن كنت لاهوتيًّا، تصلّي حقًّا. وإن صلّيت حقًّا فأنت لاهوتيّ». لسنا هنا أمام علاقة بين الدرس والصلاة، بل بين الصلاة وهذه المعرفة السامية التي هي «تيولوجيّا» أو كلام عن الله.

خاتمة

وهكذا رحنا في جولة سريعة نتعرَّف إلى الغنوصيَّة المسيحيَّة. انطلقت من العهد الجديد فالتقى حاملوها بالفلسفة اليونانيَّة المتعدِّدة. والمعرفة التي نادى بها هؤلاء الآباء لم تكن باطنيَّة ورافضة كلَّ تقليد وكلَّ تعليم كنسيّ. بل هي انطلقت من كتب الوحي ومن تعليم الكنيسة ولاسيَّما على مستوى التجسُّد والصليب. فمفهوم المشاهدة الصوفيَّة التي وصل إليها غريغوار النيصيّ مثلاً، ينطلق من النصّ الحرفيّ ومن شخص يسوع المسيح كما تقدِّمه الأناجيل. هنا نفهم مدى التفسير الكتابيّ الذي نجده عند أوريجان أو غريغوار. فنقطة الانطلاق تكون دومًا من أجل معرفة سامية تتعدَّى مستوى البسطاء، هي النصوص الكتابيَّة. أمّا نقطة الوصول فهي «مشاهدة» الثالوث الأقدس في نور سيكتنفه الظلام. أجل، إنَّ رغبة معرفة أسرار الله تستند دومًا إلى الإيمان وتقليد الكنيسة وتفسير الكتب المقدَّسة تفسيرًا روحيًّا. فالمعرفة (غنوصيص) الحقيقيَّة هي تعليم الرسل وفهم الكتب. وهي تتطوَّر في مجهود نسكيّ يصل بنا إلى نقاوة القلب مع تجاوز المحسوس. مثلُ هذه

(١٣٨) *Centuries, Supplément* 21.

المعرفة هي اتِّحاد بالله في المحبَّة. فالمعرفة هي معرفة المحبَّة، وخبرة مع الله، بحيث يصبح اللاهوت والكلام عن الله حياة صوفيَّة ترتفع إلى مستوى الله في صلاة تجعل المؤمن يصلّي إلى الله بكلام الله.



القسمُ الثّاني

الوَثَائق غَيْر المُباشَرَة

فصلنا بين الوثائق المباشرة التي كُشفت في نجع حمادي في منتصف القرن العشرين، وبين الوثائق غير المباشرة، التي وردت في كتب آباء الكنيسة أو الكتّاب المسيحيين.

١- الرسالة إلى فلورا

٢- تعاليم بطليمس الغنوصيّة في الردّ على الهراطقة لايرينه أسقف ليون

٣- كليمان الاسكندراني ومقتطفات تيودوتيّة.

الفصل الثالث

الرسالة إلى فلورا[*]

بين النصوص التي أوردها آباء الكنيسة، والتي ترتبط بالعالم الغنوصيّ، نقرأ الرسالة إلى فلورا. فهذه المسيحيَّة اهتمَّت بأصل الشريعة. فأرسل إليها بطليموس، أحد تلاميذ ولنطين، مقالاً قصيرًا يقدِّم فيه تفسير العهد القديم تفسيرًا مسيحيًّا. هذه الرسالة وصلت إلينا في اليونانيَّة، في كتاب عن الهرطقات لأبيفان، أسقف سلامينة. قبل أن نقدّم ترجمتها إلى العربيَّة، نتعرَّف إلى المدرسة الغنوصيَّة التي ارتبط بها بطليموس. وفي نهاية مقالنا، نحاول أن نتطرَّق إلى الأفكار الرئيسيَّة لهذه الرسالة التي كانت جزءًا من تآليف بطليموس حول تفسير الكتاب المقدَّس.

١. بطليموس، تلميذ ولنطين

في القرن الثاني ب.م.، برز تيّار فكريّ كانت له جذور بعيدة حتّى قبل المسيح[١]، ولكنَّ نصوصه تعود إلى القرن الثاني ب.م. سواء ما ورد لدى آباء الكنيسة[٢]، أو ما وصل إلينا من وثائق اكتُشفت في نجع حمّادي[٣] (مصر)، سنة

(*) وردت هذه المقالة في **المشرق** ٧٦ (ك٢ – حزيران ٢٠٠٢)، ص ٢٠١–٢٠٢

(١) A. J. FESTUGIERE, *La révélation d'Hermès Trismégiste,* Paris, 1944-1954; A.D. NOCK, A-J. FESTUGIERE, *Hermès Trismégiste. Texte établi et traduit,* Paris, 1959-1960.

(٢) نذكر على سبيل المثال في **موشَّيات** إكليمنضوس الإسكندرانيّ (*Stromates* II, III) من آثار ولنطين، وفي تفسير يوحنّا لأوريجان، ما قاله هرقليون عن الإنجيل الرابع. أمّا إيرينه فأورد في كتابه **ضدّ الهراطقة** النصوص العديدة من العالم الغنوصيّ.

(٣) M. De MERODE, Nag Hammadi, *Dict. Enc. de la Bible* (Paris, 1987), p. 883-889. *Bibliothèque copte de Nag Hammadi, section Textes,* Québec, Louvain depuis 1977; D. M. SCHOLER, *Nag Hammadi, Bibliography,* 1971; *Nag Hammadi, Bibliography 1970-1982,* Leiden, 1983.

١٩٤٥. إنَّه التيّار الغنوصيّ[٤] الذي كان ولنطين[٥] أكبر شاهد له، فترك آثارًا في مختلف مناطق الإمبراطوريَّة الرومانيَّة (مصر، سورية، آسية الصغرى، إيطاليا، غالية أو فرنسا الحاليَّة، إفريقيا الشماليَّة)، منذ القرن الثاني حتّى القرن الخامس. ولكنَّ ذروته كانت في النصف الثاني من القرن الثاني وبداية القرن الثالث[٦].

أمّا الغنوصيَّة فتيّار فلسفيّ يستند إلى المعرفة الباطنيَّة. هي معرفة تحمل الخلاص. موضوعها أسرار العالم الإلهيّ والكائنات السماويَّة، ولا يصل إلى هذه الأسرار إلاَّ المتدرِّجون. أمّا أساس الغنوصيَّة ففصلٌ بين الخلق والفداء. خُلق العالم المحسوس فبدا خاضعًا لقوى محدودة أو شرّيرة، بينها إله العهد القديم، إله الشعب اليهوديّ، الذي يقوم بدورٍ مميَّز. هذا الباري[٧]، يجهل أو يتجاهل وجود الإله المتعالي والصالح، الذي هو ينبوع العالم الروحيّ، ويعمل كي تجهله البشريَّة. ونفوس البشر التي تمتلك العرفة[٨] صدرت عن هذا الإله الساميّ. جوهرها روحيّ، ولكنَّها صارت سجينة العالم المحسوس[٩]. لهذا أرسل الإله المتعالي المخلِّص،

---

(٤) بولس الفغالي، الغنوصيَّة أو العرفان، **المسرَّة** ٨٤٧ (أيلول – تشرين الأوَّل ٢٠٠٠)، ص ٦٦٥-٦٩١.

E. CORNELIS, "Le Gnosticisme", *Dict. de Spiritualité,* t. 6 (Paris, 1967), col 523-542 (cité DS 6); R.M. GRANT, *Gnosticism and Early Christianity,* New-York, 1959; tr. Fr: *La gnose et les origins chrétiennes,* Paris, 1964; M. TARDIEU et P. HADOT, « Gnostiques », *Encyclopaedia Universalis,* t. 8 (1984), p. 654-656.

(٥) G. BARDY, "Valentin", *Dict. de Théologie catholique,* t. 15 (Paris, 1950), col 2497-2519 (cité *DTC* 15); J. D. du BOIS, « Valentin, Ecole valentinienne », *Dict. de spiritualité,* t. 16 (Paris, 1994), col. 146-156 (cité DS 16); M. TARDIEU et J.-D. DUBOIS, *Introduction à la littéraire gnostique,* t. I, Paris, 1986. J. RIES, Les recherches sur le Gnosticisme, *Dict. des Religions* A-K (Paris, 1993), p. 769-776.

(٦) *DS* 16, col 146.

(٧) هكذا نترجم Démiurge، الذي لا يخلق من العدم، بل يرتِّب المادَّة الأولى.

(٨) هكذا نترجم Gnose التي هي معرفة باطنيَّة.

(٩) نلاحظ تأثير أفلاطون حيث الجسد هو سجن للنفس بحسب العبارة اليونانيَّة المعروفة σημα σωμα (الجسد قبر).

المسيح، لكي يخلِّص هذه النفوس المختارة، ويعيدها من جديد إلى الملء[١٠]، أي إلى العالم الروحيّ. وهكذا ينتج الخلاص من «العرفة» التي ليست نتيجة مشاركة بين نعمة الله وحرِّيَّة الإنسان، بل وعي باطنيّ للخلاص، ومعرفة مسبقة لنتيجة الصراع بين قوى تتجاوز الإنسان[١١].

لا نستطيع أن نتكلَّم على غنوصيَّة واحدة، فهناك غنوصيّات. أمّا نحن فنذكر رئيس مدرسة أقام في رومة، وكان له تلاميذ عديدون. هو ولنطين. يبدو أنَّه جاء من مصر، من الدلتا، وطلب الأسقفيَّة في رومة بعد أن اشتهر بعلمه وفصاحته. ولمّا عُيِّن غيرُه، قطع كلَّ رباط بالكنيسة. وهكذا بدأت مدرسته، أو بالأحرى مدرستان ارتبطتا باسمه.

فتبّاعه انقسموا إلى تيّارين كبيرين، لأنَّهم اختلفوا في نظرتهم الكرستولوجيَّة: المدرسة الغربيَّة مع بطليموس ومرقيون[١٢] وساكوندوس[١٣]: اعتبروا أنَّه كان للمسيح جسد نفسانيّ[١٤] عند ولادته. أمّا المدرسة الشرقيَّة، فمثَّلها تيودوتس ومرقس وكولارباسوس[١٥]. رأوا أنَّ المخلِّص كان له فقط جسد روحانيّ[١٦].

أمّا أقدم تلاميذ ولنطين فكانا ساكوندوس وبطليموس. نعرف بطليموس بشكل مباشر من الرسالة إلى فلورا التي احتفظ بها إبيفان في «باناريون» (٣: ٣-

(١٠) Πληρωμα كلمة يونانيَّة تعني الملء، وفي المسيحيَّة، الملء الإلهيّ، أي إن البليروما الغنوصيَّة هي مجمل الكيانات السطريَّة أو الإيّونات التي تصدر عن الآب الأوَّل وتشكِّل معه عالمًا حقيقيًّا من التناسق والوحدة والنور، تجاه الظلمة والقسمة وفوضى العالم المحسوس الذي يتميَّز بالنقص والقصور.

(١١) P. HADOT, Gnosticisme chrétien, *Enc. Universalis*, t. 8, p. 787. Voir J. M. SEVRIN, « Gnosticisme » in *Dict. des Religions,* A-K (Paris, 1993), p. 762-769.

(١٢) HIPPOLYTE, *Philosophymena ou Réfutation de toutes les heresies, appelé Elenchos,* éd. Wendland, VI, 35 (GCS 26, Leipzig, 1916).

(١٣) Elenchos VI, 3.

(١٤) ψυχικος.

(١٥) Elenchos VI, 39-55; IREN?E, Adv. Haereses I, 14, 1.

(١٦) Πνευματικος.

٧)، وبشكل غير مباشر في ردِّ إيرينه على تعليمه.

ماذا نكتشف من شخصيَّة بطليموس لدى قراءة الرسالة إلى فلورا؟ نحن أمام فكر واضح ومنهجيّ، يحاول أن يوزِّع الصعوبات لئلاّ يُغفِل شيئًا في تحليله، فتوجِّهه قواعدُ جليَّة تقوده إلى اليقين. وبعد أن يقدِّم براهينه، يُنهي كلامه بالقول إنَّ مدرسته تلقَّت بشكل منتظم التقليد الرسوليّ. والقاعدة هي الحكم على جميع ما يُقال بحسب معيار واحد هو أقوال يسوع وتعليمه. وهو يستعمل هذا المعيار بشكل عقلانيّ من دون أن يأخذ بعين الاعتبار سلطة الكنيسة.

بدأ بطليموس شخصًا مؤمنًا، وإنسانًا صوفيًّا، فقدَّم في ما يخصُّ الكتاب المقدَّس، قواعد رصينة. ولكنَّه فيما بعد، أخذ بأقوال ولنطين حول الإيّونات[١٧]. في الواقع، قدَّم بطليموس هنا تفسيرًا كتابيًّا، وما تحدَّث عن أسرار الإيمان. فهو عاد في ما بعد ليقول إنَّ الطبائع وإن لم تكن من جوهر ذاك الذي هو مبدأ الكلّ، الذي هو خالد وصالح، فهي تصدر عنه. هذا الكلام يفتح الباب أمام تعليم حول الإيّونات حيث يصدر الواحد عن الآخر، مبتعدًا شيئًا فشيئًا عن المبدأ الكامل[١٨].

هنا نصل إلى مرجع مباشر يحدِّثنا عن بطليموس. إنَّنا نجد في إيرينه[١٩] عرضًا لتعليم بطليموس. وهو عرض يتوزَّع في ثلاثة أقسام متفاوتة. أوَّلاً، الطريقة التي بها يتكوَّن ملء الثلاثين إيّونًا (ف ١). ثانيًا، ما حصل من عمل داخل هذا الإيّون (ف ٢–٣). ثالثًا، تسلسل الأحداث التي حصلت خارج الملء كردَّة فعل على ما حصل في قلب الملء (ف ٤–٨). نجد في كلِّ هذه الأقسام الثلاثة ذات البنية:

(١٧) Eons، في اليونانيَّة .αιων دلَّ على الزمن الحاضر (أو العالم الحاضر) كما على العالم الآتي أو الأبديَّة. أمّا في الغنوصيَّة، فاللفظ ينطبق على كيانات (entités) سطريَّة (mythiques) صدرت عن ينبوع آخر، فألَّفت الملء أو بليروما.

(١٨) *DTC* 15, col. 2513-2514.

(١٩) IRENÉE de LYON, *Contre les Hérésies,* I, 1-8, SC 284 (Paris, 1979), p. 28-137.

الأحداث. ثمَّ النصوص الكتابيَّة التي يستند إليها «الهراطقة». فهمُّ إيرينه أن ينزع القناع عن الهرطقة[٢٠].

كيف تكوَّن الملء؟ في الأصل، هناك «زوج»[٢١] لا محدود وأزليّ، غير مولود. إنَّه اللجَّة[٢٢] (أو «أبو كلِّ شيء») و«الفكر» (أو «النعمة» أو «الصمت»). من هذا «الزوج» الأوَّل يُولد «زوج» ثانٍ: «العقل»[٢٣] (أو: «الوحيد»)[٢٤] و«الحقيقة». ومن الثاني يولد ثالث: «الكلمة»[٢٥] و«الحياة». ومن الثالث، يولد رابع: «الإنسان» و«الكنيسة». وهكذا تتكوَّن مجموعة أولى من ثمانية إيّونات أو «المثمَّن»[٢٦] الذي هو أساس الملء كلِّه.

وتتواصل الإصدارات[٢٧]. يولد من اللوغس والحياة عشرة إيّونات أخرى[٢٨]. ومن الإنسان والكنيسة اثنا عشر إيّونًا[٢٩]. ومن المثمَّن والمعشَّر والاثني معشَّر، يتكوَّن الملء الإلهيّ أو العالم الروحيّ في تناسقه التامّ. ويُسند هؤلاء كلامَهم إلى لو ٣: ٢٣ الذي يتحدَّث عن يسوع حين بدأ حياته العلنيَّة وهو ابن ثلاثين سنة، وإلى مت ٢٠: ١–٧ مع عدد العمّال الذاهبين إلى الكرم[٣٠].

في القسم الثاني يحلُّ الاضطراب بالملء. فيرسل الآبُ المسيحَ والروح من أجل

---

(٢٠) Ελεγχος: برهان وردّ.

(٢١) Couple. أي: اثنان.

(٢٢) Αβυσσος: Abîme: ما لا نستطيع أن نصل إلى قعره.

(٢٣) Intellect: الفهم وتكوين المعاني.

(٢٤) Monogène: الابن الوحيد.

(٢٥) Logos

(٢٦) Ogdoade: المؤلَّف من ثمانية أركان.

(٢٧) Emission.

(٢٨) Décade: المعشَّر: المؤلَّف من عشرة أركان.

(٢٩) Dodécade: الاثنا معشَّر: المؤلَّف من اثني عشر ركنًا.

(٣٠) ١ + ٣ + ٦ + ٩ + ١١ = ٣٠.

إصلاح ما خرب. في القسم الثالث، نتعرَّف إلى بداية الباري والكون والإنسان ومهمَّة «المخلِّص» في العالم(٣١).

بعد هذا الكلام على الغنوصيَّة، وعلى ولنطين، وعلى بطليموس صاحب الرسالة إلى فلورا، نقدِّم نصَّ هذه الرسالة، الذي نقرأه في كتاب إبيفان الذي يتحدَّث عن الهرطقات، ويقدِّم العلاج إلى المؤمنين(٣٢).

كانت فلورا مسيحيَّة تهتمُّ بأصل الشريعة. فقدَّم بطليموس تفسيره منطلقًا من التعليم المسيحيّ، وميَّز في الشريعة ثلاثة أقسام: ما يأتي من الله. وما يأتي من موسى. وما يأتي من شيوخ الشعب. فما يأتي من الله، ينقسم ثلاثة أجزاء (أو مقولات): الجزء النقيّ(٣٣) (وصايا العشر) الذي أكمله المخلِّص (مت ٥: ١٧). الجزء الممزوج بالشرِّ والجور (شريعة المثل، سنّ بسنّ) الذي ألغاه المخلِّص (نقائض مت٥: قيل لكم... أمّا أنا فأقول لكم). الجزء النمطيّ والرمزيّ (الفرائض حول الذبائح والطقوس). يجب أن يُفسَّر تفسيرًا روحيًّا. والسؤال الذي طُرح في البداية حول أصل الشريعة، يجد جوابه في نهاية النصّ: جاءت الشريعة من الإله المشترع، من الباري(٣٤)، لا من الإله المتعالي(٣٥)، ولا من الخصم(٣٦). مثل هذا

---

(٣١) IRENÉE de LYON, *Contre les Hérésies,* SC 263 (Paris, 1979), p. 116-130.

(٣٢) EPIPHANE de Salamine, *Panarion ou Boîte à remèdes, Migne Grec 41-42;* F. OEHLER, *Corpus Haereseologicum,* t. 2-3, Berlin, 1859-1861; K. HOLL, *GCS* 25 (1915) 153-464 (Panarion Haer. 1-33). Voir J. QUASTEN, *Initiation aux Pères de l'Église,* t. 3 (Paris, 1963), p. 545-546.

نشير إلى أنَّ هذا الكتاب احتوى أوسع درس حول الهرطقات في العالم القديم. استقى من يوستين وإيرينه وهيبوليت. النصّ الذي يرد هنا، نقرأه في ٣٣: ٣-٧. لهذا، بدأ ترقيم النصّ المترجم مع الرقم ٣.

Voir PTOLEMÉE, *Lettre à Flora,* texte, traduction et introd. de G. Quispel, Paris, (SC 24), 1949.

(٣٣) Καθαρος: الصرف، الخالص، الذي لا يمتزج به شيء.

(٣٤) δμμιουργος

(٣٥) Transcendant.

(٣٦) Adversaire.

التفسير يستند إلى استعمال التقليد الرسوليّ استعمالاً خاصًّا[٣٧]، نجده مثلاً في موشّيات كليمان الإسكندرانيّ[٣٨].

٢. نصّ الرسالة إلى فلورا

٣ (١) أن لا تكون الشريعة التي أعلنها موسى، يا أختي[٣٩] الصالحة فلورا[٤٠]، غير مفهومة حتّى الآن لدى الكثيرين، لأنّهم لم يتلقّوا معرفة دقيقة للمشترع الحقيقيّ ولا لوصاياه، هذا ما يتّضح لك، على ما أظنّ، حين تعرفين الآراء المتضاربة حولها. (٢) ظنّ بعضهم[٤١] أنّ هذه الشريعة أعطاها الله الآب نفسه. وأكّد آخرون[٤٢] في اتّجاه يتعارض كلّ المعارضة، أنّها صدرت عن الخصم، عن إبليس المفسد. واعتبروا أيضًا أنّه باري[٤٣] الكون، فقالوا إنّه أبو[٤٤] كلّ شيء وصانعه. (٣) فهؤلاء وأولئك هم في ضلال مبين. وتعارضُ الأوّلين يردُّ على تعارض الآخرين والعكس بالعكس. فما نجحت فئةٌ واحدة أن تُدرك حقيقة

---

(٣٧) *DS* 16, col. 149.

(٣٨) CLEMENT, *Stromates* VII, 17, 106, 4.

(٣٩) فلورا أخته لأنّها من أسرته الروحيّة.

(٤٠) أهمل إيفان ما يتعلّق بفلورا. لهذا نجهل هويّة هذه السيّدة ومركز إقامتها. اعتاد الغنوصيّون أن يوجّهوا كلامهم إلى نساء، لأنهنّ يتقبّلن نظريّاتهم بشكل يتفوّق على موقف الرجال. رج **باناريون** (علبة الأدوية أو الهرطقات) (٣٣/٩: ١).

(٤١) المسيحيّون.

(٤٢) جماعة مرقيون. ولكنّ بطليموس يخطئ في الكلام عليه: يهوه هو المشترع وهو يتميّز عن إبليس. رج ترتليانه، **ضدّ مرقيون** (١: ٢)؛ إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (٣/١٢: ١٢). إلاّ إذا كان الكاتب يلمّح إلى جماعة كربوكراتوس، التي كانت بدعة صغيرة تعتبر أنّ إبليس هو خالق العالم إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (١/٢٥: ٤).

(٤٣) Démiourgos. رج كليمان الإسكندرانيّ، **الموشّيات** (٣/٣: ١٢).

(٤٤) رج أفلاطون Timée 28c. اعتادت جماعة ولنطين أن تستعمل اسم الآب للكلام على الإله الأسمى أو العقل Nous. ومع ذلك، فالتعليم الباطنيّ يعتبر يهوه «آب» الطبيعة في أسمى ما فيها. إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (١/٥: ١).

الموضوع. (٤) فمن الواضح أنَّ الشريعة (التي هي ثانويَّة)[٤٥] لم يعطها الإله الكامل الذي هو الآب، لأنَّها ناقصة وتحتاج أن يكمِّلها آخر، وأنَّها تتضمَّن وصايا لا يمكن أن تتوافق مع طبيعة مثل هذا الإله وفكره. (٥) مقابل هذا، لا يحقُّ لنا أن ننسب الشريعة إلى خصم جائر[٤٦]، لأنَّها تعارض الجور. هذا كلام أناس لا يرون النتيجة الضروريَّة التي نستخلصها من أقوال المخلِّص. فقد أعلن مخلِّصنا: «كلُّ بيت أو مدينة تنقسم على نفسها تخرب». (٦) ثمَّ إنَّ الرسول[٤٧] سبق فدمَّر الحكمة المتقلِّبة لدى هؤلاء الكذبة، فأعلن أنَّ خلق الكون خاصٌّ به، وأنَّ كلَّ شيء كان به، وأنَّه ما كان شيء بدونه، وأنَّ هذا الخلق هو عمل إله عادل يكره الشرّ، لا عمل إله مُفسد. مثل هذه النظرات لا تشارك فيها عقولٌ محدودة نسيَتْ عناية[٤٨] الخالق فبدت عمياء لا على مستوى النفس وحسب، بل على مستوى الجسد[٤٩] لهذه الكلمة. (٧) إن لم يسعَ هؤلاء إلى أن يكتشفوا الحقيقة، فواضح ممّا سبق: لقد فشل ممثِّلو هاتين الفئتين، كلٌّ بطريقته: الأوَّلون، لأنَّهم لم يعرفوا إله البرّ. والآخرون لأنَّهم جهلوا[٥٠] أبا كلِّ شيء، الذي كشفه ذاك الذي جاء فعرفه (= الآب) وحده[٥١].

---

(٤٥) επομενος. في ذلك العصر. نشير هنا إلى سطرة ولنطين (حول خلق العالم) التي عرفت ثلاثة كائنات. ذاك هو معنى اللفظ في اللغة الأفلاطونيَّة. الحكمة (Sophia) تنتج المادَّة التي لا شكل لها. المسيح يجسِّد المُثل، ويَظهر للحكمة في منفاها، ويعطي شكلاً لكيانها. ويهوه يرتِّب المادَّة ويسود الكون.

(٤٦) Αδικιος لا يعرف البرّ، بل يتعامل مع الشرّ. بما أنَّ الشريعة تمنعنا من الشرّ، فلا يمكن أن تصدر عن الشرّير. رج **الموشَّيات** (٣/٣٥: ٣).

(٤٧) أي يوحنّا. رج يو ١: ٣: به كان كلُّ شيء.

(٤٨) نحن هنا أمام فكر الرواقيِّين الذين يعتبرون أنَّ البشر يقدرون أن يروا عمل العناية الإلهيَّة.

(٤٩) أي: لا في المعنى الرمزيّ وحسب، بل في المعنى الحرفيّ أيضًا.

(٥٠) لم يجهل مرقيون إله البرّ، بل جهل قيمة برِّه. رج ترتليان، **ضدّ مرقيون** (١/١٢؛ ٢: ١١). ليس يهوه بشرّير، ولكن برّه قريب من الشرّ.

(٥١) إنَّ الله لا يكشف نفسه إلاَّ في المسيح. تلك هي نظرة جماعة مرقيون وولنطين. رج ترتليان، **ضدّ مرقيون** (١: ١٩)، كليمان، **الموشَّيات** (٢: ١١٤).

(٨) وهكذا يبقى لنا، نحن الذين نعمنا[٥٢] بمعرفة مضاعفة، أن نعرض عرضًا دقيقًا أصل الشريعة وطبيعة المشترع. ونستخرج براهين كلامنا من أقوال مخلِّصنا، التي تقدر وحدها[٥٣] أن تقودنا[٥٤]، بلا عثار، إلى فهم الحقيقة.

٤ (١) يجب أن نعرف أوّلاً، أنَّ هذه الشريعة تتضمَّن أسفار[٥٥] موسى الخمسة، التي لم يعلنها كلَّها كاتب واحد: لم يعلنها الله وحده. فهي تتضمَّن وصايا من أصل بشريّ[٥٦]. فأقوال الربِّ تعلِّمنا أنَّ الشريعة تنقسم ثلاثة أقسام. (٢) يُنسَب القسم الأوّل إلى الله ذاته وإلى نشاطه التشريعيّ. والثاني، إلى موسى، لا في ما ألهمه الله ذاته، بل في ما دفعته اعتبارات شخصيَّة، فأضاف بعض الوصايا. ويُنسب الثالث إلى شيوخ الشعب الذين أدخلوا، على ما يبدو، منذ البدء، بعض الفرائض في الشريعة نفسها. (٣) كيف نبرهن عن حقيقة هذه النظرة انطلاقًا من أقوال المخلِّص؟ هذا ما ستتعلَّمونه الآن. (٤) في الجدال حول الطلاق الذي سمحت به الشريعة، أعلن المخلِّص لخصومه: «بسبب قساوتكم سمح لكم موسى بأن تطلِّقوا نساءكم. في البدء، لم يكن الأمر هكذا. فقد كُتب: وحَّد الله هذين الزوجين، وما وحَّده الربّ (قال)، لا يحقُّ للإنسان أن يفصله»[٥٧]. (٥) بهذا بيَّن أنَّ هنا شريعة الله التي تمنع فصل المرأة عن زوجها، وشريعة أخرى، شريعة

---

(٥٢) معرفة الحقيقة نعمة نالها الغنوصيّون، فنُعتوا بالكبرياء الروحيَّة، لأنَّهم اعتبروا أنَّهم وحدهم نالوا هذه النعمة. رج ترتليان، **ضدّ ولنطين** ٢٩. هنا يختلف ولنطين عن بطليموس. اعتبر الأوَّل أنَّه نال رؤى شخصيَّة كشفت له الحقائق. أمّا بطليموس فتكلَّم على تدرُّج في تعليم سرّيّ.

(٥٣) تعليم المسيح هو المعيار لصحَّة أقوال العهد القديم ولعدم صحَّتها. **عظات كليمان المزعومة** (٣: ٥٠) (أوساط فلسطين المسيحيَّة).

(٥٤) οδηγεισθαι: يسوع هو مَن يوجِّهنا في الطريق (οδος). رج يو ١٤: ٦.

(٥٥) في اليونانيَّة Πεντατευχος أو الأدراج (اللفائف) الخمسة.

(٥٦) اعتبرت جماعة ولنطينس أنَّ البشر أضافوا بعض الأمور إلى أسفار العهد القديم، كما إلى أسفار العهد الجديد. رج إيرينه، **ضدَّ الهراطقة** (٣/٢: ٢). فمَن يميِّز الحقيقة في نقائها؟ أولئك الذين نالوا العرفة gnose ;γνωσις في اليونانيَّة.

(٥٧) نصّ مت ١٩: ٤، ولكنَّه لم يرد في حرفيَّته.

موسى، التي تسمح بفسخ الاتِّحاد الزواجيّ، بالنظر إلى قساوة القلوب. (٦) من هذا القبيل، أعطى موسى وصيَّة تعارض وصيَّة الله. فإنَّ «الفصل» يعارض[٥٨] «اللافصل». وإن استعلمنا عن الفكرة التي ألهمت هذه الوصيَّة، يبدو أنَّ موسى لم يفعل ما فعل من عنده، بل أكرهه ضعفُ البشر الذين توجَّهت إليهم الشريعة. (٧) ما استطاع البشر أن يتمسَّكوا بمشيئة الله التي تمنعهم من طلاق نسائهم، مع أنَّ بعضهم كره السكن معهنَّ، فراحوا من سيِّئ إلى أسوأ بحيث صاروا إلى الدمار. (٨) عندئذٍ أراد موسى أن يداوي هذه المتاعب التي تهدِّد مصير البشر، فاختار في هذه الظروف أهون الشرّين، وأعلن من أجلهم، وبمبادرة منه، شريعة ثانية تتيح لهم الطلاق. وهكذا إن كانوا لا يستطيعون أن يحفظوا الشريعة الأولى، فليراعوا الثانية على الأقلّ، ولا يلجأوا إلى وسائل جائرة وشرّيرة ينتج منها ملء دمارهم[٥٩] الخلقيّ. (١٠) تلك كانت الفكرة[٦٠] التي ألهمت هذه الفرائض المعارضة لفرائض الله. فلا جدال في أنَّنا برهنَّا أنَّ هذه الشريعة صدرت عن موسى، وهي تختلف عن شريعة الله، ولو أنَّ برهاننا استند فقط إلى مثل واحد. (١١) وأن تكون امتزجت[٦١] بالشريعة تقاليدُ تصدر عن شيوخ الشعب، أمرٌ بيَّنه المخلِّص أيضًا. قال: «فالله أوصى: أكرم أباك وأمَّك لكي تنجح». (١٢) وأضاف متوجِّهًا إلى شيوخ الشعب: «أمّا أنتم»، فأعلنتم: «العون الذي كان بالإمكان أن تتقبَّلوه

(٥٨) رفض التعليمُ القويم القول بوجود تعارض في الكتاب المقدَّس. رج يوستين، **الحوار مع تريفون**، ٦٥.

(٥٩) لكلِّ إنسان مصير خاصّ به، يختلف فيه عن الآخرين. هناك «الروحيّون» Πνευματικοι، هم مختارون، وقد نالوا نعمة خاصَّة. مصيرهم أن يكونوا في «بليروما» (الملء) Πληρωμα. والهوليّون (υλικοι) يذهبون إلى الهلاك. والنفسيّون (ψυχικοι) الذين قد يهلكون لأنَّهم يمتلكون إرادة حرَّة. اليهود الذين يتحدَّث عنهم النصّ، هم من هذه الفئة الثالثة. إذن، الهلاك يتهدَّدهم (إيرينه، **ضدّ الهراطقة**، ٤/١٥: ٢)

(٦٠) γνωμη: النيَّة.

(٦١) جاءت أمور من لدن إبليس. هذا ما نجده في كرازة بطرس، التي نجدها في **العظات الإقليميَّة المزعومة** (٣: ٣٨). يبدو، بحسب إيبفان، أنّ الكاتب يشير إلى المشناة التي تجمع أولى التقاليد الشفهيَّة لدى اليهود. رج بولس الفغالي، «التلمود وأدب المعلّمين»، **المشرق** ٧٤، الجزء الثاني، (تمّوز – كانون الأوَّل، ٢٠٠٠) ص ٤٨٨–٤٩٠.

منّي هو قربان الله». وهكذا ألغيتم شريعة الله وأخذتم بتقليد خاصٍّ بكم، يا شيوخ الشعب! (١٣) فقد أعلن إشعيا من قبل: «هذا الشعب يكرِّمني بشفتيه، أمّا قلبه فبعيد عنّي! فهم باطلاً يكرِّمونني، لأنَّهم يعلِّمون فرائض هي وصايا بشر»[٦٢]. (١٤) يتَّضح من كلِّ هذا أنَّ الشريعة بمجملها تتألَّف من ثلاثة أقسام: فرائض موسى، فرائض شيوخ الشعب، فرائض الله ذاته. وقسمة الشريعة هذه في مجملها، كما ثبَّتناها، أوضحت العنصر الصريح الذي يتضمَّن الشريعة.

٥ (١) وهذا القسم الأخير، الذي هو شريعة الله ذاته، يُقسم بدوره إلى ثلاثة[٦٣]: التشريع النقيّ الذي لم يمتزج بالشرّ؛ الشريعة، في المعنى الخاصّ بالكلمة، التي لم يأتِ المخلِّص لكي يلغيها، بل ليكمِّلها (فتلك التي أكملها لم تكن غريبة عنه، بل احتاجت إلى أن تكمَّل لأنَّها لم تكن كاملة)؛ ثمَّ الجزء الذي امتزج بالشرِّ والجور، الذي ألغاه المخلِّص لأنَّه لا يتوافق مع طبيعته. (٢) وأخيرًا، نحدِّد جزءًا نمطيًّا ورمزيًّا يتوخَّى تمثيل الروحيّ والمتعالي، وقد نقله المخلِّص من الحسّيّ والظاهر إلى الروحيّ واللامنظور. (٣) أمّا شريعة الله النقيَّة والمنزَّهة عن كلِّ مزيج دنيء، فهي الدكالوغ[٦٤]، تلك الوصايا العشر التي حُفرت على لوحتين، فحرَّمت ما يجب أن لا نعمله وأمرت بما يجب أن نعمله. هي وصايا نقيَّة، ولكنَّها غير كاملة بعد أن احتاجت أن يكمِّلها المخلِّص. (٤) وبجانب شريعة الله، هناك شريعة يرافقها الجور، شريعة المِثل[٦٥] والعقاب على جريمة اقتُرفت. شريعة تأمر بأن نقلع العين بالعين، ونحطِّم السنّ بالسنّ، ونردَّ على القتل بالقتل. فمَن اقترف جورًا، ردًّا على جور، هو خاطئ، شأنه شأن الذي بادر واقترف الجور: سيختلف ترتيب صانع الشرّ، ولكنَّ الشرَّ هو هو. (٥) ولا بدَّ من القول بأنَّ هذه الوصيَّة كانت

(٦٢) مت ١٥: ٥. أورد متّى إش ٢٩: ١٣.

(٦٣) الشريعة النقيَّة، الشريعة الرمزيَّة، الشريعة الدنيئة. رج يوستين، **الحوار مع تريفون** ٤٤.

(٦٤) δεκαλογος: الكلمات العشر.

(٦٥) مثلما تعاملني أعاملك. أو «سنّ بسنّ، وعين بعين». يرى مرقيون معارضة مطلقة بين شريعة المثل وفرائض عظة الجبل (مت ٥–٧).

بارّة، وما زالت، فقد أُعطيت بسبب ضعف الذين توجَّهت إليهم الشريعة لكي يتجنَّبوا تجاوز الشريعة النقيَّة. ومع ذلك، فلا نستطيع أن نوفِّق هذه الوصيَّة مع صلاح أبي الكلّ. (٦) لا شكَّ في أنَّ هذا كان نتيجة تكيُّف مع الظروف، بل بالأحرى ضرورة لا بدَّ منها. فالذي أراد أن يمنع قتلاً واحدًا فأعلن: «لا تقتل». ثمَّ أمر بأن يُقتل القاتلُ بدوره، أعطى شريعة ثانية، فصار في مبدأ قتلَين، وهو الذي حرَّم قتلاً واحدًا. وهكذا اتَّضح أنَّه كان ضحيَّة الضرورة من دون أن يعلم. (٧) لهذا، حين جاء ابنه[٦٦]، ألغى هذا الجزء من الشريعة، مع أنَّه أقرَّ أنَّه صدر هو أيضًا عن الله. واعترافه بالعهد القديم، يظهر في ما يظهر، في ما يلي: «أعلن الله: مَن لعن أباه أو أمَّه، يُقتل قتلاً»[٦٧]. (٨) وأخيرًا، هناك الجزء الرمزيّ، الذي جُعل على صورة الروحيّات والمتعاليات، أي الفرائض المتعلِّقة بالذبائح والختان والسبت والصوم وحَمَل الفصح والخبز الفطير... (٩) كلُّ هذه الطقوس التي هي صور ورموز حملت مدلولاً مختلفًا بعد أن كُشفت الحقيقة. هي أُلغيت في شكلها الخارجيّ وتطبيقها الحرفيّ، ولكنَّها تعمَّقت في معناها الروحيّ وفي مدلولها، لأنَّ الألفاظ القديمة تلقَّت مضمونًا جديدًا. (١٠) أمرَنا[٦٨] المخلِّصُ أن نقدِّم ذبائح، لا ذبائح حيوانات غير عاقلة، ولا تقدمات بخور، بل مدائح وتسابيح وأفعال شكر روحيَّة، والمقاسمة مع القريب والإحسان إليه. (١١) وطلب منّا أيضًا الختان[٦٩]، لا ختان غلفة الجسد، بل ختان القلب الروحيّ. (١٢) وأن نحفظ السبت[٧٠]، لأنَّه يريدنا أن نرتاح من أعمال الشرّ. (١٣) وأن نصوم أيضًا. إلاَّ أنَّه لا يطلب منّا صوم الجسد، بل الصوم الروحيّ الذي يقوم بالامتناع عن كلِّ شرّ. ومع ذلك،

(٦٦) إنَّ الابن الذي جاء من يهوه هو «المسيح النفسانيّ» الذي يتميَّز عن الفادي.

(٦٧) مت ١٥: ٤؛ رج خر ٢١: ١٧.

(٦٨) هذا ما لا نجده في الأناجيل. نقرأ عن الذبيحة الروحيَّة في العهد القديم (مز ٤٩: ١٤).

(٦٩) إر ٤: ٤. رج روم ٢: ٢٨-٢٩.

(٧٠) مت ١٢: ١٢. رج **الموشّيات** (١: ١٣)؛ **الحوار** (١٢: ٣).

نظلُّ نحن متعلِّقين بالصوم الخارجيّ، لأنَّ حياة النفس تستفيد منه، حين نمارسه بتمييز، لا لنقتدي بالآخرين، أو على سبيل العادة، أو لأنَّ يومًا من الأيّام حُدِّد لذلك. (١٤) وفي الوقت عينه، نبقى متعلِّقين بالصوم لكي نتذكَّر الصوم الحقيقيّ[٧١]، بحيث يتذكَّره في صوم خارجيّ، أولئك الذين لا يستطيعون أن يمارسوه. (١٥) وأنَّ حمل الفصح والخبز الفطير كانا رمزين. هذا ما بيَّنه أيضًا بولس الرسول حين قال: «حمل فصحنا، المسيح، ذُبح». وقال: «لكي تكونوا بلا خمير، لا تشاركوا في الخمير (هذا الخمير يعني الشرّ)، بل كونوا عجينًا جديدًا»[٧٢].

٦ (١) إذن، قسمُ الشريعة الذي هو بلا شكّ من الله، يُقسم ثلاثة أجزاء: جزء كمَّله المخلِّص. فالوصايا «لا تقتل، لا تزنِ، لا تشهد شهادة زور» تُفهم في منع الغضب والشهوة وكلام يرافقه الحلف. (٢) وجزء آخر ألغي كلّه. فالوصيَّة «سنّ بسنّ، وعين بعين» التي يرافقها الجور لأنَّ عملاً شرّيرًا يتبعها، أحلَّ محلَّها المخلِّص وصيَّة مغايرة. فالنقيضة المطلقة تلغي النقيضة المطلقة. (٣) «أمّا أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّير مقاومة. فإن ضربك على خدِّك الأيمن، فقدِّم له الآخر». (٤) وأخيرًا، هناك جزء من الشريعة، انتقل وتحوَّل من المعنى الحرفيّ إلى المعنى الروحيّ: هو الجزء الرمزيّ الذي أعطيَ كصورة عن المتعاليات. (٥) فالصور والرموز التي كانت تمثِّل شيئًا آخر، ظلَّت مقبولة، في وقت لم تظهر فيه الحقيقة. والآن، وبعد أن كُشفت الحقيقة، ينبغي أن نعمل أعمال الحقيقة، لا أعمال الصورة[٧٣]. (٦) تكلَّم تلاميذ يسوع على الأجزاء الثلاثة هذه، كما تكلَّم بولس الرسول: تكلَّموا

(٧١) إش ٥٨: ٦: «الصوم الذي أفضِّله: حلّ قيود الشرّ، وفكّ ربط النير».

(٧٢) ١ كو ٧: ٥. نلاحظ أنَّ هرقليون الغنوصيّ، مفسِّر إنجيل يوحنّا، قدَّم شرحًا استعاريًّا عن حمل الفصح، في الجزء ١٢؛ رج ترتليان، **ضدّ اليهود**، ١٤.

(٧٣) قال ولنطين: الصورة أدنى من الحقيقة. رج كليمان، **الموشّيات** (٤/٨٩: ٦). وربط إيرينه الصور بالحكمة (سوفيا). رج **ضدّ الهراطقة** (١/٥: ١).

على الجزء الرمزيّ، كما قلنا حين تحدَّثنا عن حمل الفصح الذي ذُبح لأجلنا، وعن الخبز الفطير. وتكلَّموا على الجزء الذي يرافقه الجور حين قلنا إنَّ شريعة الوصايا صارت بلا جدوى، بسبب تعليم جديد. وتكلَّموا على جزء الشريعة الذي خلُص من كلِّ جور، حين قالوا: «الشريعة مقدَّسة، والوصيَّة مقدَّسة وعادلة وصالحة».

٧ (١) بقدر ما سمح لي المدى، أظنُّ أنَّني بيَّنت تبيانًا كافيًا، الفرائض البشريَّة في الشريعة، وقسمةَ شريعة الله ذاته إلى ثلاثة أجزاء. (٢) يبقى علينا أن نقول: «مَن هو هذا الإله الذي أعطى الشريعة؟» غير أنَّي أعتقد أنَّ هذه النقطة توضَّحت لكم ممّا سبق، إذا كنتم أعرتموني انتباهكم. (٣) فإن لم يكن الإله الكامل ذاته أعطى الشريعة، كما سبق وقلنا، وإن لم يكن إبليس، وهذا أمر أكيد (بل لا يحقُّ لنا أن نقول مثل هذا القول)، فهذا المشترع هو ثالث وُجد بجانب هذين الاثنين الآخرين. (٤) هو الباري[٧٤] وخالق[٧٥] هذا الكون وكلِّ ما يتضمَّنه. بما أنَّه، في جوهره، يختلف عن الاثنين الآخرين، ويقف بينهما، نستطيع بحقٍّ أن ندعوه الوسيط[٧٦]. (٥) إذا كان الله الكامل صالحًا في جوهره، وهو كذلك (لأنَّ مخلِّصنا قال إنَّ هناك إلهًا واحدًا صالحًا[٧٧] هو أبوه الذي أخبر عنه)، وإذا كان الكائن الذي هو خصم في طبعه، هو شرّير وموصوف بالجور، فذاك الذي يقف بين الله الكامل وإبليس، والذي ليس صالحًا، ولا شرّيرًا أو جائرًا، يمكن أن يُدعى بارًّا لأنَّه يحكم[٧٨] في البرِّ الذي يرتبط به. (٦) من جهة، يكون هذا الإله أدنى من الإله

---

(٧٤) δημιουργος: ذاك الذي رتَّب المادَّة.

(٧٥) Ποιητης: ذاك الذي صنع الكون.

(٧٦) Μισοτης، رج ١ تم ٢: ٥؛ عب ٨: ٦؛ ٩: ١٥. نلاحظ أنَّ الغنوصيّين يأخذون كلمات العهد الجديد (المخلِّص، الفادي) ويعطونها معنى آخر. فالوسيط في المسيحيَّة هو إله وإنسان. ولكنَّه ليس كذلك في الغنوصيَّة.

(٧٧) مت ١٩: ١٧: لا صلاح إلاَّ الله (كلام إلى الرجل الغنيّ الذي دعا يسوعَ المعلِّم الصالح).

(٧٨) هو الديّان. يجازي الخير ويعاقب الشرّ. رج ترتليان، **ضدّ مرقيون** (٢: ١٣).

الكامل، وتحت برٍّ هذا الإله، لأنَّه مولود، لا غير مولود (فهناك واحد غير مولود هو الآب، الذي عنه يصدر كلُّ شيء، لأنَّ كلَّ شيء يرتبط به بطريقته). ومن جهة ثانية، يكون فوق الخصم وأسمى منه. وهكذا يكون، في طبعه، من جوهر آخر ومن طبيعة أخرى، غير جوهر هذين الآخرين. (٧) جوهر الخصم هو فساد وظلام (لأنَّه ماديّ ومنقسم بألف شكل). أمّا الآب الذي هو لا مولود، أمّا أبو الكلّ، فجوهره لا فساد ونور ذاتيّ ومتماسك. أمّا الباري فهو جوهر الله السامي، وإن أوجد قوَّة هي قوَّة مضاعفة. (٨) والآن، لا تحتاجون أن تقلقوا من أن تعرفوا كيف يمكن أن تتكوَّن هاتان الطبيعتان الأخريان(٧٩) من مبدأ كلِّ شيء، الذي نعترف به ونؤمن، من مبدأ هو لا مولود، ولا فاسد، وصالح: طبيعة الفساد وطبيعة الوسيط، اللتان هما من جوهر مختلف مع أنَّ طبيعة الخير تقوم بإيلاد وإنتاج كائنات تشبهه وتكون من جوهره. (٩) فإن سمح الله بذلك، ستنالون في ما بعد إيضاحات أدقّ حول مبدأهما وولادتهما، حين تُضحُون أهلاً لأن تعرفوا تقليد الرسل، وهو تقليد تسلَّمناه نحن أيضًا عن طريق التسلسل. وفي هذه الحالة أيضًا نُثبت نظراتنا مستندين إلى أقوال المخلِّص. (١٠) لم أملَّ من أن أقول لك هذا بإيجاز، يا أختي فلورا. فمع أنّي كنتُ موجزًا في ما سبق، إلاَّ أنّي عالجتُ الموضوع معالجة حاسمة. إنَّ هذه الملاحظات تستطيع، عندما يحين الوقت، أن تساعدك كثيرًا: فبعد أن تتقبَّلي، كما في أرض طيِّبة وصالحة ثمار خصب، تُبرزين الثمارَ التي خرجتِ منها.

٣. ملاحظات على الرسالة

هذه الرسالة التي تبدو وثيقة مهمَّة في العالم الغنوصيّ، عالجت الشريعة اليهوديَّة في نظر الديانة المسيحيَّة. أقلَّه كما نظر إليها التيّار الفلسفيّ والروحيّ هذا، الذي عبَّر عنه بطليموس. وها نحن نقدِّم في هذا المجال ثلاث ملاحظات.

(٧٩) سؤال مقلق حول أصل الشرّ. رج إيبفان، باناريون (٢٤/٦: ١).

أ- طابع هذه الرسالة

قلنا إنَّ بطليموس كان من مدرسة ولنطين في خطِّها الغربيّ. أقام في رومة، وقد يكون هناك عرف فلورا التي كانت إحدى سامعاته اللواتي كان الغنوصيّون يفضِّلون التحدُّث إليهنَّ، ويفضِّلونهنَّ على الرجال. فلورا امرأة مسيحيَّة بدليل معرفتها بالكتاب المقدَّس، وقبول الشرح الذي يقدِّمه بطليموس. ورغبت في أن تسمع شيئًا حول الشريعة التي هاجمها مرقيون(٨٠) ودافع عنها يوستين(٨١).

كان باستطاعة بطليموس أن يقدِّم جوابًا سريعًا فيقول: الشريعة (ومثلها العهد القديم) نفسانيَّة (φυχικος)، شأنها شأن إله اليهود. وكلُّ ما هو نفسيّ هو رمز عن العالم الروحيّ (πνευματικος). ولكنَّ اللافت هو أنَّ لفظ «φυχικος» الذي يميِّز لغة ولنطين، لا يرد في هذا الرسالة. فالكاتب يفضِّل استعمال ألفاظ خُلقيَّة قريبة من مفهوم تلك التي يكتب إليها. ذاك كان نهج الحلقات الولنطينيَّة، على ما يقول ترتليان: «لا يسلِّمون تعليمهم، حتّى لتلاميذهم، قبل أن يعلِّموا»(٨٢). من أجل هذا، فالرسالة إلى فلورا ليست وثيقة غنوصيَّة في المعنى الحرفيّ للكلمة، بل مقدِّمة إلى الغنوصيَّة.

تبدأ هذه الرسالة فتحدِّد موقف الكنيسة وموقف مرقيون.

نسب المسيحيّون الشريعة إلى الله، والكربوكراتيون(٨٣) إلى إبليس(٨٤). اعتبر بطليموس أنَّ الكنيسة أخطأت حين قالت إنَّ الله الكامل هو الذي أعطاها، مع

(٨٠) بولس الفغالي، «مرقيون والتعامل مع الكتاب المقدَّس»، **المسرَّة** ٨٦ (٢٠٠٠)، ص ٣٨٥-٤٠٨.

(٨١) كتاب ضاع .Syntagma ou Traité contre toutes les hérésies. ولكن ذكره يوستين في **دفاعه الأوَّل** (٢٦: ٥) وأوسابيوس القيصريّ في **التاريخ الكنسيّ** (٤/١١: ١٦).

(٨٢) **ضد ولنطين** 21. SC 280

(٨٣) Carpocratiens جماعة كربوكراتوس، ابن الإسكندريَّة.

(٨٤) إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (١/٢٥: ٤). SC 264, p. 338-341

أنَّها ناقصة. نحن هنا أمام اعتراض أساسيّ في خطّ النظرة إلى العهد القديم من الوجهة الغنوصيَّة. أمّا مرقيون وتلاميذه، فشجبهم بطليموس بقساوة، لأنَّهم ينسبون الشريعة إلى إبليس. فيهوه الذي خلق الكون وأعطى الشريعة، هو إله شرّير، كما يقول مرقيون(٨٥). شوَّه بطليموس بعض الشيء فكر مرقيون. غير أنَّه أعلن في ما بعد أنَّ الباري الذي أعطى الشريعة ليس صالحًا ولا شرّيرًا، بل هو عادل. هذا يعني أنّه لم يكن بعيدًا عن موقف مرقيون وإن ضخَّم هذا الموقف.

هذا ما يتيح لبطليموس أن يقدِّم برهانًا يقول: لا يمكن أن تكون الشريعة شرّيرة، لأنَّها تمنع الأعمال الشرّيرة(٨٦). كما يتيح له أن يطبِّق فكرة مسبقة على وضع تاريخيّ محدَّد. اقتنع كاتب الرسالة أنَّ الشريعة لم يعطها إله كامل، و لم يكن إبليس ولا الهيولى في أصلها(٨٧). وهكذا ابتعد عن الكنيسة كما ابتعد عن المرقيونيَّة.

أخطأت الكنيسة لأنَّها لا تعرف الإله المتعالي. وأخطأ المرقيونيّون لأنَّهم لا يعرفون يهوه. ومع ذلك، فإنَّ بطليموس لا يبدو بعيدًا جدًّا عن مرقيون. كلاهما شدَّدا على تعالي الله في تعارضه مع «العالم»، وقالا إنَّ المخلِّص هو الذي حمل هذا الوحي. وكلاهما اعتبرا يهوه إلهًا وثنيًّا، لأنَّه الخالق والمشترع الذي لا صلاح فيه: يهوه تجسيم خارجيّ للعالم الملموس. ولكنَّ بطليموس ابتعد بعض الشيء عن مرقيون حين اعتبر أنَّ يهوه اهتدى إلى المسيح وقام بحماية الكنيسة(٨٨). أتراه حاول الاقتراب من التعليم الكنسيّ؟ ربَّما.

---

(٨٥) نشير هنا إلى أنَّ بطليموس شوَّه فكر مرقيون: هو لم ينكر يهوه، بل جعله حقيرًا يطلب الانتقام ويفعل الشرّ. رج ترتليان، **ضدّ مرقيون** (٢: ١١). SC 368, p. 78-85. وهكذا بسّط إيرينه (**ضدّ الهراطقة** ٣/١٣: ١٢). وهيبوليت (*Elenchos*, VI, 29) نظرة مرقيون، فاعتبرا أنَّه يرى في يهوه مبدأ الشرّ.

(٨٦) رج ما قاله كليمان الإسكندرانيّ في **الموشّيات** (٣/٣٥: ٣)، حين ردَّ على الذين يهاجمون العهد القديم: «إذا كانت الوصيَّة التي تمنع الأعمال الشرّيرة، هي شرّيرة، فالشرّ يعطي شرائع تعارض نفسه، وهذا مستحيل».

(٨٧) υλη المادَّة الأولى التي هي شرّيرة.

(٨٨) إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (١/٧: ٤). SC 264, p. 108-111.

ب- طريقة التفسير

اعتبر بطليموس أنَّه يستطيع أن يفسِّر شريعة موسى، لأنَّه نال «العرفة»[٨٩]. أمّا خصومه فلا يستطيعون لأنَّهم لا يمتلكون «العرفة». ما هو هذا المبدأ الذي يكفل وحده التفسير الصحيح؟

حين نتحدَّث عن «العرفة»، نفكِّر في الوحي والسرّ. كما نفهم أنَّ العرفة ليست ملكة بشريَّة، ولا تُولد مع الإنسان، بل هي إلهيَّة. هي موهبة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالروح[٩٠] المتعالي. لقد ميَّز الولنطينيّون بين «الروح» البشريّ، الذي أصله سماويّ، والذي لا يستطيع بقواه الخاصَّة أن يعود إلى وطنه السماويّ، و«الروح» الإلهيّ (المسيح وملائكته) الذي كشف «العرفة» للمختار.

لا يتوقَّف بطليموس مطوَّلاً على طبيعة «العرفة»، بل يلاحظ أنَّها تتعلَّق بالإله المجهول والباري. وهو يعلن أنَّه يستطيع أن يشرح ولادة يهوه وأصل الشيطان، لأنَّه نال التقليد الرسوليّ. نحن هنا أمام تقليد سرّيّ محفوظ حصرًا للمتدرِّجين، وهو يعود إلى المؤسِّس، وهو رسوليّ، لأنَّ ولنطين ورثه من تودا، تلميذ بولس[٩١]. بما أنَّ هذا التقليد يعالج الكوسمولوجيّا (علم الكون) والسقطة الأصليَّة، فيجب أن نعرف التعليم الماورائيّ كي نقدر على شرح الشريعة الموسويَّة.

في هذا الإطار، يعلن بطليموس أنَّ الشريعة تتضمَّن إضافات بشريَّة[٩٢]. فإنَّ موسى كيَّف فرائضها مع قساوة قلب معاصريه. في الواقع، رفض الولنطينيّون تقليد شيوخ بني إسرائيل في القديم، كما رفضوا تقليد الشيوخ في الكنيسة[٩٣].

---

(٨٩) La gnose

(٩٠) Pneuma

(٩١) كليمان، **الموشّيات** (٧: ١٠٦).

(٩٢) قال إيرينه (**ضدّ الهراطقة**، ٣/١: ٢) شيئًا مماثلاً: «يهتمُّ الولنطينيّون بالكتب المقدَّسة، لأنَّ بعض المقاطع ليست صحيحة، بحيث يستحيل على الذين لا يعرفون التقليد السرّيّ، أن يجدوا الحقيقة في البيبليا». SC 211, p. 26-29.

(٩٣) إيرينه، **ضدّ الهراطقة** (٣/٢: ٢).

فهم يمتلكون «العرفة» السرّيّة، التي تُتيح لهم، بعد أن يتدرَّجوا، أن يرتفعوا فوق كلِّ سلطة، فوق موسى، فوق رسل المسيح. هكذا استطاعوا أن يميِّزوا في نبوءات العهد القديم، العناصر الروحانيَّة والمركَّب الهيوليّ، والمركَّب البشريّ والمركَّب الإلهيّ. وطبَّق بطليموس هذا الكلام على الشريعة. واستند بطليموس إلى التقاليد اليهوديَّة والمسيحيَّة ليقول إنَّ الشريعة حول الطلاق ليست من أصل إلهيّ. وما نقوله عن إضافات حملها موسى، نقوله بالأحرى عن إضافات وضعها الشيوخ كما هو الأمر في المشناة(٩٤) التي دوِّنت في القرن الثاني ب.م. وبعد ذلك تدرس الرسالة إلى فلورا أن الشريعة الإلهيَّة المؤلَّفة من ثلاثة أقسام: الشريعة الدنيا، الشريعة الرمزيَّة، الشريعة النقيَّة. أمّا الشريعة النقيَّة فهي الدكالوغ أو الوصايا العشر. وقد أكملها المخلِّص، لأنَّها ليست غريبة عنه. والقسم الثاني من الشريعة هو شريعة الانتقام، ومعاملة مَن أساء إلينا مثلما عاملَنا. غير أنَّ هذه الشريعة يرافقها الجور دائمًا، لأنَّ مَن يعمل عملاً سيِّئًا ليردَّ على عمل سبقه، لا يختلف عن الذي بدأ وعمل. والشريعة الثالثة تتوقَّف على الاحتفالات الليتورجيَّة والطقوس التي يمارسها الشعب اليهوديّ.

ج- خاتمة الرسالة

جاءت الوصايا العشر ناقصة، فكمَّلتها عظة الجبل. أمّا شريعة الانتقام بالمثل فقد ألغيتَ. والشريعة الرمزيَّة ارتدت مدلولاً روحيًّا حميمًا. هذا يعني أنَّه لم يعد من قيمة لشريعة موسى كلِّها. فما ألهم الدكالوغ هو «البذرةُ الروحيَّة»(٩٥). والإله

(٩٤) مجموعة أقوال ارتبطت بالتوراة الشفهيَّة، وجمعها من التقليد رابي يهودا هاناسي، رج حاشية ٦١.

(٩٥) σπερμα πνευματικον هو الذي ألهم الدكالوغ وبعض أجزاء العهد القديم. وهذا ما يجعلنا نميِّز ما في العهد القديم وما في العهد الجديد. الشريعة نقيَّة ومعها بعض المقاطع النبويَّة، بعد أن ألهمتها البذرة الروحيَّة (التي ليست كاملة). أمّا في أسمى نصوص الإنجيل، فالمخلِّص (ابنُ الله) هو الذي تكلَّم. إذن، هناك اختلاف على المستوى الروحيّ: فمعرفة الله المطلقة لا تنكشف إلاَّ في أقوال المسيح.

الذي أعطى شريعة المِثل كان إلهًا دنيئًا. والشريعة الرمزيَّة تصدر عن إله سقط عن عرشه.

ينتج من كلِّ هذا أنَّ المشترع ليس صالحًا ولا شرّيرًا. هو عادل. إنَّما يبقى التعارض حاضرًا بين الخلق والفداء، الذي لم يجد له جوابًا. ولكن يبدو أنَّ بطليموس عمِلَ عمل المربّي، مع امرأة يوجِّه إليها رسالته: هي مسيحيَّة، وهي تعرف أنَّ إبليس شرّير والله صالح. مثل هذه المرأة تفهم تعليم مرقيون كما يلي: الشريعة تعارض الإنجيل. والبرّ يعارض الصلاح. ولكنَّها لا تقدر أن تفهم أنَّ الله «لجَّة» و«صمت»، وروح محض يتجاوز عالم المُثل. وأنَّ الباري وإبليس اللذين يجسِّدان تجسيدًا رمزيًّا الطبيعة السامية والطبيعة الدنيئة، يُولَدان من ألم سوفيا (الحكمة). تلك هي نظرة ولنطين التي يتركها بطليموس جانبًا، ليشدِّد على أنَّ الباري هو صورة الآب، وبه خلق السماوات والأرض، النفسيات[٩٦] والأرضيّات[٩٧]، وهكذا تكون القوَّة المضاعفة[٩٨] الطبيعة السامية والطبيعة الدنيئة.

٤. خاتمة عامَّة

نظرنا سريعًا إلى العالم الغنوصيّ، ولاسيَّما إلى ولنطين وبطليموس، قبل أن نتوقَّف على رسالة أرسلها بطليموس إلى سيِّدة مسيحيَّة من رومة، اسمها فلورا. رسالة قصيرة ترد في بضعة مقاطع في كتاب إبيفان، أسقف سلامينة (قبرص) حول الهرطقات والداء الناجع للشفاء منها. وجدنا في هذه الرسالة نقطة الانطلاق مع ولنطينس، ولكن بطليموس تحرَّر بعض الشيء من تأثير معلِّمه لكي يقدِّم تعليمًا

(٩٦) ψυχικη: ما يتعلَّق بالنفس.

(٩٧) υλικη: ما يتعلَّق بالجسد والمادَّة.

(٩٨) διττε δυναμις: قوَّة هي في الواقع قوَّتان.

«راعويًّا»، تعليمًا يراعي الشخص الذي يكتب إليه. لهذا ترك الأمور الماورائيَّة والصوفيَّة، توقَّف على السؤال الذي يشغل بال هذه المرأة التي لجأت إليه، فجاء جوابه بسيطًا في خطِّ الغنوصيَّة، ولكنَّه بدا متماسكًا فبيَّن دور يهوه الذي خلق الشريعة ودور المخلِّص الذي جاء يكمِّلها، وفي النهاية ألغاها حين أعلن الأقوال الإنجيليَّة. وهكذا ابتعد بطليموس عن الموقف المسيحيّ الذي يرى في شريعة العهد الجديد امتدادًا لشريعة العهد القديم، وعن موقف مرقيون الذي يرى الشرَّ في شريعة العهد القديم كلِّها، بحيث يرفض العهد القديم ويرفض معه أسفار العهد الجديد التي ترتبط من قريب أو بعيد بكتاب التوراة والأنبياء.



الفصل الرابع

تعاليم بطليمُس الغنوصيَّة(*)

«رذل بعضهم الحقيقة، فأدخلوا أقوالاً كاذبة وأنسابًا لانهاية لها، تُثير الأسئلة ولا تشيِّد بناء الله المؤسَّس على الإيمان» (١تم ١: ٤) كما قال الرسول. فهم، كما يبدو، يرتِّبونه غشًّا، يغوون حسَّ الجهّال ويقودونهم خاضعين، صاغرين، ويشوِّهون أقوال الربِّ ويجعلون نفوسهم المفسِّرين الأرديا لما قيل حسنًا. وهكذا يسبِّبون دمار عدد كبير من الناس، فيميلون بهم، بحجَّة "غنوصة" (معرفة باطنيَّة، عرفة) عن ذاك الذي كوَّن المسكونة ورتَّبها. (يعتبرون) أنَّهم يقدرون أن يبيِّنوا شيئًا أرفع وأعظم من الإله الذي صنع السماء والأرض وكلَّ ما فيها[١]، بفنِّ الكلام، يُقنعون البسطاء ويجتذبونهم إلى الأبحاث والمجادلات... لهذا بعد أن قرأنا تفاسير «تلاميذ» ولنطين (هكذا يدعون نفوسهم)، وبعد أن التقينا بعضًا منهم وأدركنا تعليمهم، رأينا من الضروريّ أن نكشف لك، أيُّها الصديق العزيز[٢]، أسرارَهم

(*) جاء هذا المقال في مجلة **المشرق** ٨١ (تموز – ك١، ٢٠٠٧) ص ١٨٥–٢١٠.

(١) رج خر ٢٠: ١١؛ مز ١٤٥: ٦؛ أع ٤: ٢٤؛ ١٤: ١. بداية يتحدَّث إيرينه عن الإله الخالق الذي كوَّن كلَّ شيء. لا ضرورة في الخلق، لا قَدَر يفرض نفسه كما في إطار الآلهة الوثنيَّة. تلك الحقيقة الإيمانيَّة تتكرَّر في كتاب إيرينه: **ردّ على الهراطقة**. نقرأ في ١/١٠: ١: «مع أنَّ الكنيسة المشتَّتة في العالم كلِّه حتّى أقاصي الأرض، تسلَّمت من الرسل وتلاميذهم الإيمان بإله واحد آب ضابط الكلّ، «خالق السماء والأرض». ونلاحظ استناد إيرينه إلى نصوص العهد القديم ثمَّ العهد الجديد، ليدلَّ على وحدة العهدين في وجه الغنوصيّين الذين يتنكَّرون لهذه الحقيقة.
IRENEE de Lyon, *Contre les Hérésies*, Livre I (Paris, Cerf, 1979, SC 263), p. 167-168.

(٢) في اللاتينيَّة Dilectissime. قيل هو كاهن أو أسقف، J. B. PITRA, *Spicilegium Solesmense*, Paris, 1852, t. I, p. 8: Dans un prologue publié sous le nom de Florus de Lyon. واقتُرح اسم أسقف طليطلة في إسبانيا، Pseudo- FLAVIUS DEXTER, Turibius, Chroniques, an. 185 cité dans PL 6. 31, col. 531-532. Voir *DTC* 7\2 (Paris 1927), col. 2402.
بما أنَّ الكتاب دوِّن في اليونانيَّة، فهذا يعني أنَّ «**الردَّ على الهراطقة**» أرسل إلى منطقة يونانيَّة، مثل آسية الصغرى، من حيث جاء إيرينه. وربّما يكون ذاك الصديق واحدًا من أهل الثقافة والأدب، الذين كانوا يعرفون اليونانيَّة.

العجيبة والرفيعة، التي "لا يفهمها الجميع" (مت ١٩: ١١)، لأنَّهم كلَّهم لم يصقوا[٣] دماغهم. وحين تعرف هذه التعاليم، تبيِّنها بدورك إلى جميع الذين هم معك، وتدفعهم لكي يحتفظوا من لجّ[٤] اللاحسّ والتجديف على الله. وبقدر استطاعتنا، نورد بإيجاز ووضوح عقيدة الذين يعلِّمون الضلال في هذا الوقت بالذات. أعني بطليمس ومحيطه الذي عقيدته هي زهرة مدرسة ولنطين».

تلك هي مقدِّمة كتاب إيرينه، **الردّ على الهراطقة**[٥]. في هذا الكتاب، اهتمَّ

---

(٣) نقرأ في اللاتينيَّة habent امتلك. ولكن في عودة إلى اليونانيَّة εξεπτυκασιν نفهم أنَّ لفظًا سقط exsputum من exspuo: cracher
والمعنى: بقي لهم دماغ، وما «بصقوا» كلَّ ما يجعلهم أشخاصًا عاقلين، يميِّزون الحقيقة من الضلال.

(٤) اللجّ profundo وفي اليونانيَّة βυθος في ١/١: ١ نقرأ هذا اللفظ abîme الذي هو أحد الأسماء التي يعطيها الولنطينيّون إلى الإيون αιων الأوَّل في البليروما πληρσμα. حافظْنا على اللفظ اليونانيّ مع هذين اللفظين. الأوَّل يعني في اليونانيَّة: زمن الحياة، ثمَّ حقبة طويلة من الزمن، وفي التقليد اليهوديّ والمسيحيّ: العالم الحاضر (عصر، دهر) أو العالم الآتي (الأبديَّة). أمّا في الغنوصيَّة، فهو ينطبق على كيانات ميثيَّة، سطريَّة، خرجت من الينبوع الأخير فكوَّنت البليروما. أمّا بلوريما فيعني في اليونانيَّة الملء والكمال. في المسيحيَّة هو ملء الله. وفي الغنوصيَّة: مجمل الكيانات أو الإيونات الصادرة عن الأوَّل فتشكِّل معه الكون الحقيقيّ في التناسق والوحدة والنور تجاه الظلمة والتبدُّل والانقسام والغوص في العالم التجريبيّ empirique.J.M. SEVRIN, *Dict. Rel.* (P. Poupard, Puf, 1993), p. 1578.

(٥) عرف الكتاب أكثر من اسم. ذاك الذي وضعه إيرينه (١/٢٢: ٢، أي الكتاب الأوَّل، ف ٢٢، عدد ٢): Adversus omnes haereticos detectio أي الردّ على جميع الهرطقات. وحُفظ العنوان في اليونانيَّة: Recherche et renversement de la prétendue fausse gnose: ελεγχος και ανατροπη της ψευδονυμου γνωσεως أوسابيوس، **التاريخ الكنسيّ** ٥/٧: ١ (**الآباء اليونان** ٢٠: ٤٤٥): «ضدّ الغنوصيَّة الكاذبة وتدميرها» رج أوسابيوس القيصريّ، **التاريخ الكنسيّ**، المجلّد الثاني (ص ٣٩)، ترجمة اسكندر شديد، دار حرمون. في السريانيَّة ܠܘܩܒܠ ܗܪܣܝܣ: ضدّ الهراطقة. أي توبيخ وردّ على المعرفة الدجّالة ܡܟܣܢܘܬܐ ܘܣܘܚܦܐ ܕܝܕܥܬܐ D'autres sources (EUSEBE, *Hist. Eccl.*, 2/13; BASILE, *L'Esprit Saint*, 29/72) ont le titre:προς τος αιρεσεις; MAXIME le Confesseur (*PG*, t. IV, col. 176, 377) καθ αιρεσεων. Enfin, JEROME (*De viris illustribus* ch. 24, PL 23, 649): «Adversus haereses Valentini.

أسقف ليون بالهرطقة الغنوصيَّة. بدأ فحلَّل تعليم الولنطينيّين[٦]، ومزج تحليله بهجومات على هذه البدعة قبل أن يعود إلى بداياتها. بعد ذلك، ردَّ على الغنوصيَّة الولنطينيَّة والمرقيونيَّة[٧] ببراهين عقليَّة (الكتاب الثاني). وببراهين أخذها من تعليم الكنيسة حول الله والمسيح (الكتاب الثالث). وبأقوال الربِّ (الكتاب الرابع). وعالج الكتابُ الخامس بشكل شبه حصريّ موضوع قيامة الجسد التي ينكرها الغنوصيّون كلُّهم[٨].

أمّا نحن فنتعرَّف أوَّلاً إلى إيرينه. ونتوقَّف عند الكتاب الأوَّل الذي يعطينا الكثير من تاريخ الغنوصيَّة. أمّا ما يقدِّمه لنا، فيحمل قيمة لا تُضاهى ستكون أساسًا لمن جاء بعده.

١- إيرينه، سيرته ومؤلَّفاته

أ- إيرينه، أسقف ليون

أوَّل من كتب عن إيرينه، ترتليان في ردِّه على الولنطينيّين (**الينابيع المسيحيَّة**، ٢٨٠-٢٨١)، ثمَّ هيبوليت في **الأبحاث**[٩] (٦-٨). وكليمان الإسكندرانيّ **في الموشّيات** (٧: ١٨). ولكن يبقى المصدر الأهمّ أوسابيوس في كتابه **التاريخ الكنسيّ** (٥: ٣-٨؛ الينابيع المسيحيَّة ٤١، سنة ١٩٥٥، ص ٢٦-٣٨).

---

(٦) ولنطين. توفّي في أواسط القرن الثاني. أصله من مصر، امتدَّ تعليمه الغنوصيّ في إيطاليا وروما وفي الشرق. وكان له تلاميذ عديدون. R. BRAUN in *Dict. Critique de Théologie* (=*DCT*, Puf, Paris, 2002), p. 339; p. 496-497

(٧) مرقيون Marcion (٨٥-١٦٠ تقريبًا). تعليمه الغنوصيّ وصل إلى الغرب فردَّ عليه ترتليان (**الينابيع المسيحيّة** ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٩٩، ٤٥٦). *DTC*, p. 399. جاء تعليمه أكثر جذريَّة من تعليم ولنطين. رج بولس الفغالي، «مرقيون والتعامل مع الكتاب المقدَّس»، المسرّة، ٨٦(٢٠٠٠)، ص ٣٨٥-٤٠٨

(٨) J. QUASTEN, *Initiation aux Pères de l'Eglise*, I (Paris, Cerf, 1955), p. 331.

(٩) Elenchos

«أوصى الشهداء أنفسهم أيضًا بإيرينه، الذي كان آنذاك كاهنَ مسيحيّي ليون، أسقفَ رومة الذي تكلّمنا عنه للتوّ، مقدِّمين شهادات كثيرة في هذا الرجل، كما تشير إلى ذلك كلماتهم حرفيًّا، التي ههنا نصُّها:

«إنَّنا نصلّي من أجل أن تغتبط بالله بعدُ ودومًا، أيُّها الأب إيليتير[١٠] لقد كلَّفنا بتسليمك هذه الرسائل، أخانا ورفيقنا إيرينه، ونسألك أخذه في الاعتبار، غيورًا على عهد المسيح. لو كنّا نعلم أنَّ المركز يوفِّر العدالة لأحد ما، لكنّا قدَّمناه لك أوّلاً كاهنًا للكنيسة، وهو واقعه بالفعل»[١١].

بعد البدايات حتّى الكهنوت، نتعرَّف إلى الأسقف الذي يموت شهيدًا، في مدينة ليون، أولى المدن المسيحيَّة في فرنسا، سنة ٢٠٢.

أوّلاً: من إزمير إلى ليون

ذاك الذي وُلد في إزمير بين سنة ١٤٠ وسنة ١٦٠، يروي كيف استمع إلى عظات بوليكرب، أسقف المدينة الذي توفِّي سنة ١٦٧. ذاك ما يورده أوسابيوس القيصريّ في **التاريخ الكنسيّ** (٥/٢٠: ٥–٧، المجلّد الثاني، ص ٧٢–٧٣). وهي رسالة إلى صديقه فلورين:

«لقد رأيتُك بالفعل، حين كنتُ لا أزال طفلاً، في آسية الصغرى، قرب بوليكرب: كنتَ تتألّق في البلاط الإمبراطوريّ، وتجهد للفوز بصيت حسن قربه، لأنَّني أذكر أفضل أمور ذلك الزمن من الأحداث القريبة العهد. فالمعارف المكتسبة

---

(١٠) البابا Saint Eleuthère (١٧٥–١٨٩)

(١١) **التاريخ الكنسيّ**، المجلّد الثاني (حاشية ٥)، ص ٣٣. بعد أوسابيوس، خفَّ الاهتمام بإيرينه، لأنَّ الهرطقة الغنوصيَّة أخذت تتبخَّر شيئًا فشيئًا. ولكن ذكره إبيفان (**ردّ على الهراطقة**، ٣١–٣٦)، باسيل (**الروح القدس** ٧٢)، كيرلّس الأورشليميّ (**الفقاهة** ١٧)، تيودوريه، مكسيم المعترف، بروكوب أسقف غزّه، أناستاز السينائيّ، يوحنّا الدمشقيّ... نشير هنا إلى أنَّ أوسابيوس أضاف من عنديّاته، لكي تبدو صورة إيرينه جميلة، بشكل تقريظ، فضخَّم الأمور بعض الشيء

P. NAUTIN, *Lettres et écrivains chrétiens des IIe et IIIe s.*, p. 33-104. Voir L. REGNAULT, "Irenée de Lyon", *Dict. de Spir.*, t. VII (Paris, 1971), col. 1923.

منذ الطفولة، تنمو بالفعل مع النفس وتتَّحد بها، بحيث أستطيع أن أعيِّن الموضع الذي كان يجلس فيه بوليكرب المغبوط ليتكلَّم: كيف كان يدخل ويخرج، طريقة عيشه، مظهره الجسديّ، الأحاديث التي كان يلقيها أمام الجمع، كيف كان يروي علاقاته بيوحنّا، وبالآخرين الذين رأوا الربّ، كيف كان يستعيد كلماتهم والأمور التي سمعهم يقولونها في شأن الربّ، معجزاته، تعليمه. كيف كان بوليكرب، بعدما تلقّى كلَّ ذلك من شهود عيان، كلمة الحياة، يروي ذلك وفق الكتابات المقدَّسة. هذه الأمور سمعتُها إنا أيضًا بعناية. برحمة الله التي حلَّت عليّ، وسجَّلتها، لا على ورقة، بل في قلبي، وقلَّبتها دومًا بأمانة، بنعمة الله...».

جمع إيرينه هذا التعليم، فدلَّ مؤلِّفه على تيّارَيْ المعرفة في حياته من أجل الإيمان: التقليد والكتاب المقدَّس. أمّا الكتاب فهو بين يديه. وأمّا التقليد، فيراه من خلال بوليكرب الذي أقيم أسقفًا بيد الرسل (الردّ ٣/٣: ٤). ويذكر إيرينه يوحنّا كلَّ مرَّة يتحدَّث عن بوليكرب، وذلك في عودة إلى التسلسل الرسوليّ والتقليد (١/١٠: ١-٢؛ ٣/٣: ١؛ ٣٢/٤: ١-٢). فكفالة يوحنّا والرسل لتفاسير بابياس وتعاليم الشيوخ، تبيِّن المناخ الذي عاش فيه إيرينه، وكيف عمل على نقل التقليد بالاحترام والإكرام.

بعد تلك الحقبة البوليكربيَّة، غاب إيرينه عن أنظارنا، لنجده سنة ١٧٧، في ليون. ويبدو أنَّه مرَّ في رومة، وتعاطى مع المثقَّفين هناك، في وسط مسيحيّ ويونانيّ (٣/٣: ٢).

ثانيًا: الأسقف والشهيد

إذًا، وصل إيرينه إلى ليون، وكان الأسقفَ فيها بعدَ بوتين[١٢]. تألَّفت أبرشيَّته من بضع مئات، ربَّما من بضعة آلاف. كما نعرف عدد الشهداء الذين ماتوا: ثمانية وأربعون.

---

(١٢) Saint Pothin, Premier évêque de Lyon, Mort martyr avec d'autres dont sainte Blandine en 177.

لبث إيرينه في ليون، يقوم بعمل الأسقف وينكبّ بشكلٍ خاصّ على كتبه. فمواجهةُ الغنوصيّة، دفعَته إلى كتابة **الردّ على الهراطقة**. بعد ذلك، دوَّن في تعليم كتيّبًا دعاه: **تبيان الكرازة الرسوليَّة**. وحاول أن يرافق فلورين مواطنه، والكاهن في رومة، في تطوُّره الروحيّ. انفصل عن الكنيسة مع كاهن آخر اسمه بلاستوس. والوثنيّون أيضًا سبَّبوا للأسقف المتاعب، فكتب مقالاً ضروريًّا حول العلوم، يردُّ فيه عليهم. قال أوسابيوس: «إنَّما علاوة على مؤلَّفات إيرينه التي ذُكرت ورسائله، نملك أيضًا منه كتابًا ضدَّ اليونانيّين، مختصرًا جدًّا ومن الأكثر ضرورة، عنوانه «**في العلم**» (المجلّد الثاني، ص ٨٥). وحُفظ منه "تحادثات مختلفة" شأنه شأن كلّ أسقف في أبرشيَّته».

أمّا القضيَّة الكبرى التي شغلت نهاية حياته، فهي النزاع الأربع عشريّ[١٣]. استلهم مسيحيّون كرونولوجيّا الآلام كما قدَّمها يوحنّا، فعيَّدوا الفصح في الرابع عشر من نيزان (آذار– نيسان)، سواء وقع العيد يوم أحد أو يومًا من أيّام الأسبوع، وذلك بحسب الكلندار العبريّ، وبالتالي كانوا يتوقَّفون في ذاك اليوم، عن الصيام والتوبة. وانتشرت هذه العادة في آسية الصغرى (تركيّا الحاليّة). حاولت هذه العادة أن تنتقل إلى رومة بواسطة الكاهن بلاستوس، فهدَّد البابا فكتور الأوَّل (١٨٩–١٩٩) هذه البدعة بالحرم. في هذا الإطار تدخَّل إيرينه.

روى أوسابيوس في الكتاب الخامس من **تاريخه** (ف ٢٣)، كيف كاد البابا فيكتور «يحذف جماعات آسيا... من الوحدة الجامعة» (المجلّد الثاني، ص ٨١). حينئذٍ نصحه الأساقفة «بالاهتمام بالسلام، وبالاتّحاد بالقريب، وبالمحبَّة». ويواصل أوسابيوس كلامه:

(١٣) F. E. BRTHTAM, "The quartodeciman question", *Journal of Theological Studies*, 15(1924), p. 254-270; C.C. RICHARDSON, "The Quartodeciman and the synoptic chronology" in *Harvard Theological Review*, 23(1940), p. 177-190; C. MOHRMANN, "Le conflit pascal au IIe siècle", *Vigiliae christianae*, 16(1962), p. 154-171; M. RICHARD, "La question pascale au IIe siècle", *L'Orient Syrien*, 6(1961), p. 179-212.

«وكان بينهم إيرينه، كاتبًا باسم الإخوة الذين كان يقودهم في بلاد غالية[١٤]: فهو يثبت أوّلاً أنَّ من واجب الاحتفال يوم الأحد فقط، بسرِّ قيامة الربّ. ثمَّ يحضُّ فيكتور، بطريقة لائقة جدًّا، على عدم حذف كنائس لله بكاملها» (ص ٨١). وينهي أوسابيوس كلامه في نهاية الفصل الرابع والعشرين من الكتاب الخامس: «وكان إيرينه يحمل اسمه حقًّا، لأنَّه كان صانع سلام باسمه كما بمسلكه. هكذا كان يحضُّ ويفاوض من أجل سلام الكنائس» (ص ٨٣).

ب– كتابان اثنان

في إطار عمل أبرشيّ، اهتمَّ إيرينه بالردِّ على التنظيرات الغنوصيَّة وما فيها من تفلُّتات. فكتب الكثير عن هرطقات عرفها، ولكنَّ العدد الكبير ضاع، فبقي فقط مؤلَّفان: الأوَّل، **تبيان التعليم الرسوليّ**[١٥]. والثاني، **الردّ على الهرطقات**.

أوَّلاً: تبيان التعليم الرسوليّ

حدَّثنا أوسابيوس القيصريّ عن هذا الكتاب. قال إنَّ إيرينه دوَّن كتابًا آخر أهداه إلى أخٍ اسمه مرقيان من أجل إثبات الكرازة الرسوليَّة (المجلَّد الثاني، ص ٨٥). ولكن اعتُبر هذا الكتابُ ضائعًا. غير أنَّه في سنة ١٩٠٤، كُشف هذا المؤلَّف في ترجمة أرمنيَّة. نُشر مع ترجمة ألمانيَّة سنة١٩٠٧[١٦]. سنة ١٩١٩، نُشر مع ترجمتين إنكليزيَّة وفرنسيَّة[١٧].

---

(١٤) Gaule أو ما يقابل تقريبًا فرنسا الحاليَّة. لهذا يُدعى مطران ليون حتّى اليوم Primat des Gaules

(١٥) επιδειξις του αποστολικου κηρυγματος Demonstration de l'enseignement apostolique

(١٦) K. TER-MEKERTISCHIAN et E. TER-MINASSIANTZ, *Des hl. Irenäus Schrift zum Erweise der Apostolischen Verkändigung in armenischer Version entdeckt*, TU 31, Leipzig, 1907.

(١٧) *Patrologia Orientalis*, t. 12, fasc 5, n 61, Brepols. Dernier triage 1992, tr. En anglais par S.G. WILSON; tr. en français L. –M. FROIDEVAUX. En 1952, J. M. SMITH, *Proof of the Apostolic Preaching*, Londres ; en 1959 SC 62(Paris, Cerf), publie la traduction française : *Démonstration de la tradition apostolique*.

ظنَّ بعضهم أنَّنا أمام فقاهة[١٨]، ولكنَّنا في الواقع أمام مقال «دفاعيّ». أمّا **التبيان** فينقسم قسمين. بعد ملاحظات قصيرة تبيِّن الأسباب التي دفعت إيرينه إلى الكتابة (ف ١–٣)، درس القسمُ الأوَّل (ف ٤–٤٢) المضمون الجوهريّ للإيمان المسيحيّ، فتطرَّق إلى الأقانيم الثلاثة، الآب والابن والروح القدس. إلى الخلق وسقطة الإنسان، إلى التجسُّد والفداء، إلى تدبير الله في البشريَّة، منذ آدم حتّى المسيح.

وإليك المقطع: «أعرف، يا عزيزي مرقيان، اهتمامك بكلِّ ما يلامس التقوى تجاه الله، التي تبقى الطريق الوحيدة، التي توجِّه الإنسان إلى الحياة الأبديَّة: من أجل هذا، أقاسمك فرحك، وأصلّي لكي يجعلك تعلُّقُك المتين بالإيمان، مرضيًّا لله خالقك. فكم أعطانا لكي نبقى دومًا معًا، لكي نساعد بعضنا بعضًا، لكي نخفِّف عن اهتمامات الحياة الدنيا بتحادثات يوميَّة حول مواضيع مفيدة» (**الباترولوجيّا**، ص ٧٥٦).

وينتهي المطلع: «ولكنَّ ذاك (مصير الهراطقة) لن يكون مصيرنا، إذا كانت قاعدة الإيمان عندنا غير متبدِّلة، وإذا حافظنا على وصايا الله وآمنّا به، وخفناه لأنَّه السيِّد، واحببناه لأنَّه الأب، فالإيمان يقود إلى العمل. قال أشعيا: «إن لم تؤمنوا لن تفهموا» (أش ٧: ٩). والحقيقة تقود إلى الإيمان. فبين الإيمان والحقيقة، هناك علاقة مؤسَّسة على واقع الأمور، لكي نؤمن بالكائنات كما هي. وإذ نؤمن بواقع الكائنات الثابت، نراعي تجاهها ثبات اعتقادنا. وبما أنَّ قضيَّة خلاصنا ترتبط بالإيمان، فمن العدل والضروريّ أن نجعل كلَّ اهتمامنا في الدفاع عن الإيمان، فيكون لنا الفهمُ الحقيقيّ للأمور» (ص ٧٥٧–٧٥٨).

ويقدِّم القسم الأوَّل ملخَّص الكرازة الرسوليَّة، فيقول: «هاك ما يؤكِّده إيمانُنا كما نقله إلينا الشيوخ، تلاميذ الرسل. فهو يدعونا أوّلاً لكي نتذكَّر أنَّنا نلنا العماد لغفران الخطايا، باسم الله الآب، وباسم يسوع المسيح، ابن الله، الذي تجسَّد

(١٨) Catéchèse. عدنا إلى الأصل κατεχεω التعليم والإفهام

ومات وقام، وفي الروح القدس. بالإيمان نعرف أنَّ هذه المعموديَّة هي ختمُ الحياة الأبديَّة والولادة الجديدة في الله بحيث لا نكون فقط أبناء بشر مائتين، بل أيضًا أبناء هذا الإله الأزليّ والخالد» (ص ٧٥٨).

أمّا القسم الثاني (ف ٤٢–٩٧) فحمل البراهين حول حقيقة الوحي المسيحيّ، انطلاقًا من نبوءات العهد القديم. ونحن نقرأ في ف ٨٦ ما يلي:

«إن كان الأنبياء سبقوا فأنبأوا أنَّ ابن الله تجلّى على الأرض، فهم أعلنوا في أيِّ موضع من الأرض يتجلّى، وكيف وبأيِّ شكل. وإذا كان الربُّ حقَّق في شخصه كلَّ هذه الإنباءات، فهذا يعني أنَّ إيماننا به يستند على أساس لا يتزعزع، وبالتالي أنَّ تقليد كرازتنا صحيح، وصحيحةٌ أيضًا شهادة الرسل الذين أُرسِلوا بيد الربِّ وبشَّروا في العالم كلِّه أنَّ ابن الله جاء ليقاسي الآلام فاحتملها لكي يُلغي الموت ويقيمنا» (ص ٧٩٤).

وفي الختام، يحثُّ الكاتب قرّاءه على حياة توافق الإيمان، ويحذِّرهم من الهرطقة، وشرِّها (ف ٩٨–١٠٠): «تلك هي، أيُّها الصديق العزيز، كرازة الحقيقة، وهي قاعدة خلاصنا. كما هي الطريق التي تقود إلى الحياة» (ص ٧٩٩).

ثانيًا: الردُّ على الهراطقة

دُوِّن هذا النصّ في اليونانيَّة، وآخر من قرأه فوتيوس، في القرن التاسع(١٩). ضاع الكتاب ولكن بقيت منه أجزاء تمثِّل في الكتاب الأوَّل قرابة تسعين في المئة، وفي الكتب الأربعة الباقية قرابة ثمانية في المئة. نُقل الكتاب إلى الأرمنيَّة فبقي منه الكتابان الرابع والخامس. وجدَ النصّ المونسنيور كارابات سنة ١٩٠٤ في يريفان، في المخطوط الذي ضمَّ «التبيان». تمَّت الترجمة في القرن السادس في القسطنطينيَّة وساعدت على نشر النصّ في سلسلة **الينابيع المسيحيَّة** (١٠١ بالنسبة إلى الكتاب الرابع، سنة ١٩٦٥، ١٥٣ بالنسبة إلى الكتاب الخامس، سنة

(١٩) PHOTIUS, *Bibliotheca*, 120

١٩٦٩)[٢٠]. ونقل «الردّ» أيضًا إلى السريانيَّة، فلم يبقَ من النصِّ سوى ثلاثة أجزاء[٢١].

وتبقى الترجمة اللاتينيَّة التي تعطينا النصَّ الكامل «**للردّ على الهراطقة**». نُقل النصُّ على ما يبدو في الربع الأخير من القرن الرابع. ورأى بعضهم أنَّ النقل تمَّ في أفريقيا الشماليَّة، ولكنَّ البراهين المقدَّمة ليست كافية. مخطوطات النصّ اللاتينيّ تسعة، وآخر مخطوط وُجد في سلمنكا (إسبانيا) سنة ١٩٤٨[٢٢]. والطبعة الأولى قام بها إرسموس سنة ١٥٢٦ في سويسرا[٢٣]. وتوالت الطبعات مع تحسينات متنامية بسبب اكتشافات مخطوطات جديدة. والأخيرة التي بين أيدينا هي عمل **الينابيع المسيحيَّة**[٢٤].

أمّا نحن، فنقدِّم هنا الكتاب الأوَّل من **الردّ على الهراطقة**، قبل أن نورد تعاليم بطليمس الغنوصيَّة. جاء هذا الكتاب في توطئة، وأربعة أقسام وخاتمة.

في القسم الأوَّل (١-٩) عرض إيرينه تعليم بطليمس، ذاك الذي حمل تعليم ولنطين إلى الغرب: كيف تكوَّن البليروما، أو الملء والكمال؟ ما الذي حصل في قلب البليروما من بلبلة قبل أن يعاد تكوينه؟ بدأ الغنوصيّون وشوَّهوا اللاهوت

---

(٢٠) Mgr Karapet découvrit le texte et le publia (note 16): *Irenäus, Gegen die Häretiker, Buch IV u, V in armenischer Version* (TU 35, 2) Leipzig, 1910. Voir Ch. RENOUX, *Irénée de Lyon, Nouveaux fragments arméniens de l'Adversus haereses et de l'Epideixis*, intr. trad. et notes (PO t.XXXIX, fasc 1), Turnhout, 1978.

(٢١) I. LEBON, *Severi Antiocheni Liber contra impium grammaticum* (syr+ tr lat. CSCO 101-102), 1933

نقرأ النصوص في ص ٥٧، ٢٧٨، ٢٨٣ في السريانيّ، ص ٤١، ٢٠٤، ٢٠٩ في اللاتينيّ.

(٢٢) A. M. OLIVAR, "Un manuscrito desconocido de San Ireneo, 'Adversus haereses', *Scriptorium*, 3(1948), p. 11-25.

(٢٣) A Bâle, chez Froben, Erasme dit qu'il s'est servi de trios manuscrits (*DS*, *op. cit.*, col. 1935-1936)

(٢٤) A. ROUSSEAU, B. HEMMERDINGER, L. DOUTRELEAU, CH. MERCIER, F. SAGNARD, SC 263-264 (livre I), 293-294 (livre II), 210-211 (livre III), 100 (2 vol. Livre IV), 152-153 (livre V).

الثالوثيّ، مشيرين إلى الآب والمسيح والروح القدس والمخلِّص، بحيث يكتشفون ترتيب الأقانيم الثلاثة ويربطون الأرض بالسماء دون أيِّ مسافة. كلُّ شيء يتمُّ في مسيرة ضروريَّة تفرض نفسها على الله.

إذًا، ذاك هو (١) النتاج الذي يقولون عنه إنَّه تمَّ في قلب البليروما، (٢) ومغامرة هذا الإيّون الذي سقط، «هوى»، وكاد يهلك كما في مادَّة واسعة، بسبب بحثه عن الآب، والتجمُّع السداسيّ الذي هو في الوقت عينه تخم[٢٥]، صليب، فادي، محرّر، متاخم، موجّه. (٣) والولادة اللاحقة لولادة الإيّونات، للمسيح الأوَّل وللروح القدس الذي صدر من الآب على أثر توبته، وأخيرًا «فبركة»[٢٦] مسيحٍ ثانٍ يدعونه المخلِّص، فيتشارك فيه الجميع»[٢٧].

كما شوَّهوا اللاهوت، فعلوا بالكتاب المقدَّس، فكان لهم تفسير خاصّ بهم، يوجزه إيرينه كما يلي:

قالوا: «لا شكَّ في أنَّ هذا لا يُقال بوضوح في الكتب المقدَّسة، لأنَّ «الجميع لا يفهمون» (مت ١٩: ١١) غنوصتهم gnose. غير أنَّ المخلِّص بيَّن ذلك سرًّا، بواسطة الأمثال، لأجل الذين يسعهم الفهم. فالثلاثون إيّونًا أشير إليهم، كما قلنا، بالثلاثين سنة (لو ٣: ٢٣) التي فيها لم يصنع المخلِّص شيئًا، علانية، وبمثل العمّال في الكرم (مت ٢٠: ١–٧). وإذا صدَّقنا قولهم، فبولس سمّى الإيّونات بجلاء، ومرّات عديدة، كما حافظ على تراتبيّتها حين قال: "في كلِّ أجيال دهر الدهور" (أف ٣: ٢١). ونحن أيضًا حين نقول في الإفخارستيّا "إلى دهر الدهور" نشير إلى

---

(٢٥) Limite في اليونانيَّة ορος ونُقل اللفظ كما هو إلى اللاتينيَّة: borne, pierre servant de limite

(٢٦) حافظنا على اللفظ اللاتينيّ الذي يدلُّ على عمل الفنّان والصانع faber في اليونانيَّة κατασκευη (préparation, construction d'un port et d'un navire)

(٢٧) SC 264 (Paris 1979) p. 48-51. من هذا الكتاب نأخذ في ما يلي من المقال، فنكتفي بذكر الصفحة التي نأخذ منها.

هذه الإيّونات. وفي كلِّ موضع يُسمّى "الدهر" أو "الدهور"، يريدون أن يكون الكلام عن الإيّونات» (ص ٥٠–٥١).

ويواصل إيرينه الكلام عن تفسير الغنوصيّين للنصوص المقدَّسة:

«ذاك هو تعليمهم الذي لم يكرز به الأنبياء، و لم يعلِّمه الربّ، ولا نقلَه الرسل، والذي يفتخرون بأنَّهم نالوا عنه معرفة تفوق معرفة سائر البشر. يستندون إلى نصوص غريبة عن الكتب المقدَّسة، ويعملون (كما يُقال) على نسج حبالٍ بالرمل، ويجهدون لكي يكيِّفوا كلَّ هذا مع أقوالهم بشكل ملموس، تارة بواسطة أمثال الربّ، وطورًا بواسطة نبوءات الأنبياء، وأخيرًا بواسطة أقوال الرسل، لئلاّ تظهر خدعتُهم بدون شهادة. يَقلبون ترتيب الكتب المقدَّسة وتسلسلها، ويمزِّقون، قدر استطاعتهم، أعضاء الحقيقة. ينقلون، يحوِّلون، يحوِّلون الشيء إلى آخر فيُضلُّون عددًا من الناس بسراب ينتج عن أقوال الربّ بعد أن يركِّبوها خطأ.

«هذا يكون مثلَ صورة صالحة للملك نفّذها باجتهاد فنّانٌ ماهر بواسطة حجارة كريمة. وإذ أراد أحدهم أن يمحو سمات الرجل يبلبل ترتيب الحجارة بحيث يُبرز صورة كلب أو ثعلب، بعد أن "أصلحها". ثمَّ أعلن بوقاحة أنَّ هذه هي الصورة الصالحة للملك كما نفَّذها الفنّان الماهر. بدَّل الحجارة التي رتَّبها الفنّان الأوَّل ترتيبًا صائبًا ليرسم سمات الملك، فحوَّلها تحويلاً سيِّئًا إلى صورة كلب. وإذ بيَّن لمعان هذه الحجارة، وصل إلى تضليل البسطاء وإقناعهم بأنَّ صورة الثعلب هذه المشينة، هي الوجه الحقيقيّ للملك. هكذا يفعل هؤلاء الناس: يخيطون روايات العجائز (١تم ٤: ٧)، فينتزعون من هنا وهناك نصوصًا وأقوالاً وأمثالاً ويعتبرون أنَّ هذا يتوافق مع أقوال الله...

«وإليك الآن النصوص التي يحاولون تطبيقها على الأحداث التي حصلت خارج البليروما. يقولون: جاء الربّ إلى حاشه (وآلامه) في أزمنة العالم الأخيرة (١بط ١: ٢٠) ليدلَّ على الحاش الذي حصل لآخر الإيّونات، وليبيِّن، انطلاقًا من نهايته، نهاية إنتاج الإيّونات. والصبيَّة بنت الاثني عشر عامًا، بنت رئيس المجمع،

التي وقف الربُّ بقربها وأيقظها من بين الأموات (لو ٨: ٤١–٤٢)، كانت (كما يشرحون) نمط(٢٨) أشاموت(٢٩): تحدَّر المسيح فوقها فكوَّنها وأعادها إلى وعي النور الذي تخلّى عنها. أن يكون المخلِّص تراءى لأشاموت، ساعة كان خارج البليروما، وبعدُ سِقطًا، ذاك ما أكَّده بولس (كما يقولون) في الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين بما يلي: "ظهر لي آخرًا أنا أيضًا كأنّي سقط" (١كو ١٥: ٨). فمجيء المخلِّص إلى أشاموت يحيط به رفاق من عمره، قد كشفه أيضًا بولس حين قال: «يجب على المرأة أن تغطّي رأسها من أجل الملائكة» (١كو ١١: ١٠). وحين جاء المخلِّص إليها، تغطَّت أشاموت بحجاب، احترامًا. فعرَّف بها موسى حين غطّى وجهه بحجاب (خر ٣٤: ٣٣–٣٥؛ ٢كو ٣: ١٣). أمّا الآلام التي تحمَّلها أشاموت، فدلَّ الربُّ عليها (كما يقولون)، فقال على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟» (مت ٢٧: ٤٦؛ مز ٢٢: ٢)، بحيث بيَّن أنَّ "حكمة" تخلّى عنها النور، فأوقفها «تخم» في اندفاعها إلى الأمام. وعرَّف حزن هذه "الحكمة" عينها حين قال: "نفسي حزينة حتّى الموت" (مت ٢٦: ٣٨). (كما عرَّف) خوفَها حين قال: "إن أمكن يا أبيّ، فلتعبُر عنّي هذه الكأس!" (مت ٢٦: ٣٩)، وضيقَها حين قال: "ماذا أقول؟ لا أعرف" (يو ١٢: ٢٧)(٣٠).

«دلَّ الربُّ (كما يعلِّمون) هكذا على ثلاثة أنواع من الرجال: الهيوليّ(٣١). حين أجاب ذاك الذي قال له: "أتبعك". أجابه: "إنَّ ابن الإنسان لا يجد أين يُسند

---

(٢٨) τυπος، Type

(٢٩) αχαμωθ أي الاسم في العبريَّة משה في السريانيَّة: ܚܡ

(٣٠) ص ١١٦–١٢١ (الردّ ١/٨: ٢). نلاحظ كيف قرأ الغنوصيّون خبر قيامة ابنة يائيرس. في الإنجيل، نسمع صوت يسوع: يا صبيَّة قومي (مر ٥: ٤١) أو نراه يأخذ بيدها ويقيمها (مت ٩: ٢٥). أمّا الغنوصيّون فمزجوا بهذا الخبر ما فعله النبيّ إيليّا حين شفى ابن الأرملة: تمدَّد على الصبيّ (١مل ١٧: ٢١). ونلاحظ أيضًا إخراج النصوص من مواضعها وتفسيرها تفسيرًا يخضع للنظرات الغنوصيَّة: بولس الرسول، الربّ والمخلِّص...

(٣١) hylique. υλικον من الهيولى أو المادَّة الأولى

رأسه" (مت ٨: ١٩-٢٠). ونفسانيّ[٣٢]، حين أجاب ذاك الذي قال له: "أتبعك، ولكن دعني أوّلاً أذهب وأدفن أبي" (لو ٩: ٥٧-٥٨). أجابه: "من وضع يده على المحراث ونظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت السماوات" (لو ٩: ٦١-٦٢). قالوا عن هذا إنَّه المتوسِّط[٣٣]. هو مثل ذاك الذي أقرَّ أنَّه قام بواجبات "البرّ" العديدة، ولكنَّه رفض بعد ذلك أن يتبع المخلِّص لأن الغنى انتصر عليه فمنعه من الكمال (مت ١٩: ١٦-٢٢). عن ذلك يقولون أيضًا إنَّه من النسل النفسانيّ. أمّا الروحانيّ[٣٤]، فالربُّ دلَّ عليه حين قال: "أُتركِ الموتى يدفنوا موتاهم وأنت فامضِ وبشِّرْ بملكوت الله" (مت ٨: ٢٢؛ لو ٩: ٦٠). كما حين قال لزكّا العشّار: "أسرع وانزل، فإنّي اليوم أقيم في بيتك" (لو ١٩: ٥). هذان الرجلان (كما أعلنوا) ينتميان إلى النسل الروحانيّ.

«ومثل الخمير الذي خبّأته امرأة في ثلاثة أكيال دقيق (مت ١٣: ٣٣؛ لو ١٣: ٢٠-٢١) يدلُّ، في نظرهم، على ثلاثة أنسال، فيعلِّمون: المرأة هي حكمة[٣٥]، وثلاثة أكيال الدقيق هي ثلاثة أنسال البشر: الروحانيّ، النفسانيّ، الترابيّ[٣٦]. أمّا الدقيق فهو المخلِّص نفسه. وتحدَّث بولس أيضًا بألفاظ دقيقة عن الترابيّ والنفسانيّ والروحانيّ. فقال في موضع ما: "كما يكون الترابيّ كذلك يكون الترابيّون أيضًا" (١كور ١٥: ٤٨). وفي موضع آخر: "النفسانيّ لا يدرك ما هو للروح" (١كور ٢: ١٤). وفي موضع آخر أيضًا: "الروحانيّ يحكم في كلِّ شيء" (١كو ٢: ١٥).

(٣٢) psychique. المرتبط بالنفس والحياة. في اللاتينيَّة animale من animus النفس. في اليونانيّة ψυχικη.

(٣٣) أو الوساطيّ Intermédiaire .medium في اللاتينيَّة. μεσων في اليونانيَّة. الذي يقف في الوسط. تحاشينا لفظ «وسيط» الذي يرتبط بلفظ médiateur

(٣٤) spirituel. في اللاتينيَّة .spiritale وفي اليونانيَّة πνευματικον بالنسبة إلى πνευμα الروح

(٣٥) σωφια. دخل اللفظ في الليتورجيّا: صوفيا.

(٣٦) في اليونانيَّة χοικους من χοος، تلّة التراب. تركوا لفظ «الهيولي».

والعبارة "النفسانيّ الذي لا يُدرك ما هو للروح" يشير بحسبهم إلى الباري[٣٧] الذي كان نفسانيًّا فما عرف "الأمّ"[٣٨] التي هي روحانيَّة، ولا عرف زرع الأمّ، ولا إيّونات البليروما. وقال بولس أيضًا إنَّ المخلِّص أخذ البواكير المزمع أن يخلِّصها. قال: "إذا كانت البواكير مقدَّسة، فالعجين أيضًا" (روم ١١: ١٦). فالبواكر، كما يعلِّمون، هي العنصر الروحانيّ والعجين نحن، أي الكنيسة الفانية. ويقولون: هذا العجين أخذه المخلِّص ورفعه معه، لأنَّه كان له خميرًا»[٣٩].

٢- تعاليم بطليمس

قبل نقل كلام إيرينه، نتعرَّف بعض الشيء إلى بطليمس. إنَّه عالِم غنوصيّ عاش في النصف الأوَّل من القرن الثاني. كان الممثِّل الأكبر لمدرسة ولنطين الإيطاليَّة، ورفيق هرقليون في الفرع الغربيّ للغنوصيَّة. كتب **الرسالة إلى فلورا**[٤٠] التي تعالج مركز الشريعة الموسويَّة. ففيها قسمٌ أصله إلهيّ وآخر موسويّ، وثالثٌ هو عمل شيوخ الشعب اليهوديّ[٤١]. القسم الأوَّل يتضمَّن الشريعة النقيَّة، التي لا عيب فيها ولا شرّ. هي الوصايا العشر. هذا القسم من الشريعة الموسويَّة، هو ذاك الذي جاء المسيح ليكمِّله لا لينقضه. القسم الثاني هو الشريعة التي أفسدها اللابرّ ανομια مثلاً شريعة المِثل التي تقول: «سنّ بسن وعين بعين». هذه نقضها المخلِّص. والقسم الثالث هو الشريعة الطقوسيَّة التي روَّضها المخلِّص[٤٢].

(٣٧) Démiurge. δημιουργος أساسًا من يقوم بعمل يدويّ εργον من أجل الشعب δημος فاقترحنا الباري.

(٣٨) La Mère μητερα.

(٣٩) ص ١٢٠-١٢٥ (١/٨: ٣). نلاحظ وجود العنصر الأنثويّ: الأمّ في المعنى المطلق التي ولدت الباري، الذي هو إله العهد القديم.

(٤٠) بولس الفغالي، «الرسالة إلى فلورا والكتابات الغنوصيَّة»، **المشرق** ٧٦(ك٢- حزيران ٢٠٠٢)، ص ٢٠١-٢٢٢. نشير إلى أنَّ هذا النصّ وُجد كلّه في EPIPHANE, *Haer.* I, 33, 3-8.

(٤١) G. FILORAMO, “Ptolémée, gnostique”, *Dict. Enc. du Christianisme Ancien* (*DECA*), p. 2142

(٤٢) J. QUASTEN, *Initiation*, v. I, p. 298: J. E. MÉNARD, “Ptolémée-Gnostique”, *Catholocisme*, t. XI, col. 268.

أ- مطلع إنجيل يوحنّا

وترك بطليمس أيضًا تفسيرًا سريعًا **لمطلع إنجيل يوحنّا**. نورده هنا كما ورد في **الردّ على الهراطقة** (١/٨: ٥). جاء في صيغة الجمع، ولكنَّ كاتبه بطليمس فسَّر النصَّ بالطريقة الأليغوريَّة، الاستعاريَّة، بحيث يكتشف فيه الإيّونات الثمانية الأولى في البليروما الولنطينيَّة:

«ويعلِّمون أيضًا أنَّ يوحنّا، تلميذ الربّ، علّم الثمانية(٤٣) الأولى، وهذه أقوالهم. أراد يوحنّا، تلميذ الربّ، أن يعرض تكوين(٤٤) كلِّ شيء، أي الطريقة التي بها أدرك الآب كلَّ شيء، فوضع في الأساس "المبدأ"(٤٥)، هو المولود الأوَّل من الله، الذي دعاه "الابن" (يو ١: ٣٤، ٣٩؛ ٣: ١٨). و"الله المونوجين"(٤٦) (يو ١: ١٨)، الذي فيه أصدر الآب كلَّ شيء عن طريق الزرع(٤٧).

«بواسطة هذا المبدأ(٤٨)، قال يوحنّا، أصدر (الآب) اللوغس وفيه كلّ جوهر الإيّونات التي كوَّنها اللوغس فيما بعد. بما أنَّ يوحنّا تكلَّم عن التكوين الأوَّل، فبحقّ بدأ تعليمه بالمبدأ أو الابن، وباللوغس، مبيِّنًا: "في البدء كان اللوغس، وهذا اللوغس كان في البدء لدى الله، واللوغس كان الله" (يو ١: ١-٢).

«بدأ فميَّز ثلاثة ألفاظ: الله، البدء (أو: المبدأ)، اللوغس. ثمَّ ضمَّهم الواحد إلى الآخر. وهكذا بيَّن من جهة إصدار(٤٩) كلٍّ من اللفظين، أي الابن واللوغس، ومن جهة أخرى الوحدة(٥٠) فيما بينهما، وفي الوقت عينه مع الآب. فالبدء هو

---

(٤٣) مجموعة الثمانية Ogdoade ογδοας

(٤٤) genèse γενεσιν

(٤٥) αρχη أو بدء.

(٤٦) monogène :μονογενης المولود الوحيد.

(٤٧) كما في الزواج σρερματικως seminaliter séminale

(٤٨) في التفسير العاديّ، يرتبط «البدء» αρχη بالزمن، في إكمال ما ورد في بداية سفر التكوين (١: ١): «في البدء خلق...». أمّا هنا، فالبدء صار «الرأس»، الأوَّل الذي منه صدر اللوغس.

(٤٩) προβοληv émanation

(٥٠) ενωσιν l'unité

(في الآب)، ومن الآب. واللوغس هو في البدء ومن البدء. إذًا، حسنًا قال يوحنّا: "في البدء كان الكلمة": فاللوغس كان في الابن. "وكان اللوغس لدى الله": هي نتيجة بسيطة، لأنَّ ما وُلد من الله هو الله. "هذا اللوغس كان في البدء لدى الله". تكشف هذه الجملة نظام الإصدار: "كلُّ شيء صُنع بواسطته، وبدونه ما صُنع شيء" (يو ١: ٣). فاللوغس كان السببَ في تكوين الإيّونات التي جاءت بعده، وفي ولادتها.

«وتابع يوحنّا: "ما صُنع فيه كان حياة" (يو ١: ٣-٤). وهكذا دلَّ على تزاوج[٥١]، فقال: كلُّ شيء صُنع بواسطته فقط. أمّا الحياة[٥٢] فصُنعت فيه. فهذه التي صُنعت فيه، هي أكثر حميميَّة ممّا صُنع فقط بواسطته: فهي فيه وبه تثمر. فأضاف يوحنّا: "والحياة كانت نور[٥٣] الناس" (يو ١: ١٤). وإذ قال هنا "الناس"، دلَّ بهذا الاسم عينه، على "الكنيسة"، لكي يبيِّن، في استعمال اسم واحد، شركة التزاوج: فمن اللوغس والحياة، يَخرج الإنسانُ والكنيسة.

دعا يوحنّا الحياة "نور الناس"، لأنَّ الناس استناروا بها أي تكوَّنوا وظهروا. وهذا أيضًا ما قال بولس: "كلُّ ما ظهر هو نور" (أف ٥: ١٣). إذًا، بما أنَّ الحياة كوَّنت الإنسانَ والكنيسة وولدتهما، دُعيت نورهما، وهكذا بيَّن يوحنّا بهذه الأقوال وأوضح في ما أوضح، الرباعيّ[٥٤] الثاني: اللوغس والحياة، الإنسان والكنيسة. ولكنَّه أشار أيضًا إلى الرباعيّ الأوَّل: تكلَّم عن «المخلِّص»، وقال إنَّ كلَّ ما هو خارج البليروما تكوَّن بواسطته، كما قال إنَّ هذا المخلِّص هو ثمرة البليروما. ودعاه النورَ، ذاك الذي يُشرق في الظلمة، وما أدركته الظلمات (يو ١: ٥). فمع أنَّه نسَّق مع نتاجات الحاش، إلاَّ أنَّه لبث مجهولاً لديهم. هذا المخلِّص دعاه يوحنّا أيضًا "الابن"، "الحقّ"، "الحياة"، "اللوغس الذي صار بشرًا". قال: "رأينا مجده، ومجدُه

(٥١) syzygie: اثنان يكون معًا تحت نير واحد ζευγος كما في الزواج.

(٥٢) صارت اسم علم. Zωη Vie

(٥٣) φως lumière

(٥٤) مجموعة مؤلَّفة من أربعة τετραδα

كان مثل مجد المونوجين، وهو مجد أعطاه الآب له، مجد مملوء "نعمة" و"حقًا".

«ذاك ما قال يوحنّا: "واللوغس صار بشرًا، وسكن بيننا. رأينا مجده مثل مجد ابن ناله الابن الوحيد (مونوجين) من الآب، مملوء نعمة وحقًّا" (يو ١: ١٤). إذًا بيَّن يوحنّا أيضًا، بدقّة، الرباعيّ الأوَّل: الآب والنعمة، المونوجين والحقّ. وهكذا تحدَّث عن الثمانيّ الأوَّل، أم جميع الإيّونات. قال: الآب والنعمة، المونوجين والحقّ، اللوغس والحياة، الإنسان والكنيسة. ذاك ما قاله بطليمس»[٥٥].

وكان بطليمس صاحب نهج تركَّز عليه الملخَّص الكبير الذي أورده إيرينه (١/١: ١–٨: ٤)، والذي تبدو أهمِّيَّته رئيسيَّة لدراسة الغنوصيَّة الولنطينيَّة وفهمها.

ب– النهج البطالسيّ

توزَّع عرض النهج البطالسيّ على ثلاثة أجزاء، فعالج الطريقة التي بها تكوَّنت البليروما المؤلَّفة من ثلاثين إيّونًا، والدراما التي حصلت في قلب هذه البليروما، وسلسلة الأحداث التي حصلت خارج البليروما كردَّة فعل على الدراما التي حصلت في قلب البليروما. أمّا البنية الإيريناويَّة فجاءت كما يلي: في مرحلة أولى، يورد إيرينه الأحداث في عريها الوضعيّ. في مرحلة ثانية يورد النصوص الكتابيَّة التي وجدها عند الغنوصيين وفيها حاولوا أن يجدوا سندًا لنظريّاتهم. يرى المؤمن هذا النهج المصطنع والمزيَّف، من جهة. ومن جهة ثانية، يفهم كيف أُخذ النصُّ الكتابيّ وجُعل في غير محلِّه. أمّا الهدف، فنزْعُ قناع الهرطقة والردّ عليها. ونبدأ

(٥٥) ص ١٢٨–١٣٧ (١/٨: ٥). نتذكَّر هنا أنَّ هرقليون فسَّر هو أيضًا لا المطلع فقط، بل إنجيل يوحنّا كلّه. وصل إلينا مقاطع عديدة من هذا التفسير في كتاب الموشّيات *Stromate* IV, 7، وفي مختارات نبويَّة *Eclogae propheticae* 25, 1 لكليمان الإسكندرانيّ، كما في تفسير يوحنّا لأوريجان (خصوصًا الكتاب الثالث عشر). في قلب تعليم هرقليون، نجد الميثة (السطرة) الولنطينيّة، ميثة الروح الذي سقط، وعبر المسيح وعى من جديد أصله. أراد هرقليون أن يكتشف هذه الميثة في إنجيل يوحنّا. *DECA*, p. 1133-1134.

بإيراد النصّ البطالسيّ حول تشكيل البليروما(٥٦).

أوّلاً: تكوين البليروما

ويبدأ إيرينه فيقدِّم تحت عنوان: «تكوين(٥٧) ثلاثين إيّونًا». جاء نصّ بطليمس، في صيغة الجمع (قالوا)، لا في صيغة المفرد (قال)، لأنَّ بطليمس يمثِّل في نظره الأتباع العديدين لولنطين.

«قالوا: وُجد في الأعالي التي لا يمكن النظر إليها ولا تسميتها، إيّون كامل، سابقٌ للكلّ. ودعوا هذا الإيّون "البدء الأوَّل"، "الأب الأوَّل"(٥٨)، "اللجّ" هو لا يمكن أن يُفهَم ولا أن يُرى. أزليّ وغير مولود. كان في راحة عميقة وطمأنينة خلال الدهور الواسعة. معه وُجد "الذهن"(٥٩) الذي يدعونه أيضًا "النعمة" والصُماتة"(٦٠). في يوم من الأيّام، فكَّر هذا اللجّ بأن يُصدر انطلاقًا من ذاته بدء كلّ شيء. هذا الإصدار الذي فكَّر فيه، وضعَه بشكل زرع في حشا رفيقته الصُماتة. وحين تلقَّت هذه الرفيقة الزرع حبلت وولدت "العقل"(٦١)، الشبيه والمساوي بذاك الذي أصدره، وهو قادر وحده أن يدركَ عظمة الآب. هذا العقل يُدعونه أيضًا "مونوجين"، "ابن"، "بدء" كلّ شيء. معه أُصدرت "الحقيقة". ذاك هو الرباعيّ

(٥٦) SC 263, p. 116-117.. ظنَّ بعض الدارسين أنَّ إيرينه يقدِّم عرضًا عقائديًّا A. SAGNARD, *La Gnose valentinienne et le témoignage de Saint Irénée*, Paris, 1947, p. 142
بل هدفُ إيرينه دفاعيّ وهجوميّ، وهذا ما لاحظناه منذ بداية مقالنا.

(٥٧) genése

(٥٨) Pro-père προπατερα Pro-principe προαρχην

(٥٩) εννοια Réflexion, pensée

(٦٠) الصماتة (صمتٌ خاص) σιγην النعمة χαρις «الصماتة» هو إيّون أنثى. أمّا «التخم» οροϛ فإيّون ذكر. وذلك من أجل التزاوج.

(٦١) νουν في اللاتينيَّة حافظ الناقل على اللفظ nun في الفرنسيَّة intellect

كان مثل مجد المونوجين، وهو مجد أعطاه الآب له، مجد مملوء "نعمة" و"حقًا".

«ذاك ما قال يوحنّا: "واللوغس صار بشرًا، وسكن بيننا. رأينا مجده مثل مجد ابن ناله الابن الوحيد (مونوجين) من الآب، مملوء نعمة وحقًّا" (يو ١: ١٤). إذًا بيَّن يوحنّا أيضًا، بدقَّة، الرباعيّ الأوَّل: الآب والنعمة، المونوجين والحقّ. وهكذا تحدَّث عن الثمانيّ الأوَّل، أم جميع الإيّونات. قال: الآب والنعمة، المونوجين والحقّ، اللوغس والحياة، الإنسان والكنيسة. ذاك ما قاله بطليمس»[٥٥].

وكان بطليمس صاحب نهج تركَّز عليه الملخَّص الكبير الذي أورده إيرينه (١/١: ١–٨: ٤)، والذي تبدو أهمِّيَّته رئيسيَّة لدراسة الغنوصيَّة الولنطينيَّة وفهمها.

ب– النهج البطالسيّ

توزَّع عرض النهج البطالسيّ على ثلاثة أجزاء، فعالج الطريقة التي بها تكوَّنت البليروما المؤلَّفة من ثلاثين إيّونًا، والدراما التي حصلت في قلب هذه البليروما، وسلسلة الأحداث التي حصلت خارج البليروما كردَّة فعل على الدراما التي حصلت في قلب البليروما. أمّا البنية الإيريناويَّة فجاءت كما يلي: في مرحلة أولى، يورد إيرينه الأحداث في عريها الوضعيّ. في مرحلة ثانية يورد النصوص الكتابيَّة التي وجدها عند الغنوصيين وفيها حاولوا أن يجدوا سندًا لنظريّاتهم. يرى المؤمن هذا النهج المصطنع والمزيَّف، من جهة. ومن جهة ثانية، يفهم كيف أُخذ النصُّ الكتابيّ وجُعل في غير محلِّه. أمّا الهدف، فنزْعُ قناع الهرطقة والردّ عليها. ونبدأ

(٥٥) ص ١٢٨–١٣٧ (١/٨: ٥). نتذكَّر هنا أنَّ هرقليون فسَّر هو أيضًا لا المطلع فقط، بل إنجيل يوحنّا كلّه. وصل إلينا مقاطع عديدة من هذا التفسير في كتاب الموشّيات *Stromate* IV, 7، وفي مختارات نبويَّة *Eclogae propheticae* 25, 1 لكليمان الإسكندرانيّ، كما في تفسير يوحنّا لأوريجان (خصوصًا الكتاب الثالث عشر). في قلب تعليم هرقليون، نجد الميثة (السطرة) الولنطينيّة، ميثة الروح الذي سقط، وعبر المسيح وعى من جديد أصله. أراد هرقليون أن يكتشف هذه الميثة في إنجيل يوحنّا. *DECA*, p. 1133-1134.

بإيراد النصّ البطالسيّ حول تشكيل البليروما(٥٦).

أوّلاً: تكوين البليروما

ويبدأ إيرينه فيقدِّم تحت عنوان: «تكوين(٥٧) ثلاثين إيّونًا». جاء نصّ بطليمس، في صيغة الجمع (قالوا)، لا في صيغة المفرد (قال)، لأنَّ بطليمس يمثِّل في نظره الأتباع العديدين لولنطين.

«قالوا: وُجد في الأعالي التي لا يمكن النظر إليها ولا تسميتها، إيّون كامل، سابقٌ للكلّ. ودعوا هذا الإيّون "البدء الأوّل"، "الأب الأوّل"(٥٨)، "اللجّ" هو لا يمكن أن يُفهَم ولا أن يُرى. أزليّ وغير مولود. كان في راحة عميقة وطمأنينة خلال الدهور الواسعة. معه وُجد "الذهن"(٥٩) الذي يدعونه أيضًا "النعمة" والصُماتة"(٦٠). في يوم من الأيّام، فكَّر هذا اللجّ بأن يُصدر انطلاقًا من ذاته بدء كلَّ شيء. هذا الإصدار الذي فكّر فيه، وضعَه بشكل زرع في حشا رفيقته الصُماتة. وحين تلقَّت هذه الرفيقة الزرع حبلت وولدت "العقل"(٦١)، الشبيه والمساوي بذاك الذي أصدره، وهو قادر وحده أن يدركَ عظمة الآب. هذا العقل يُدعونه أيضًا "مونوجين"، "ابن"، "بدء" كلّ شيء. معه أُصدرت "الحقيقة". ذاك هو الرباعيّ

---

(٥٦) SC 263, p. 116-117.. ظنَّ بعض الدارسين أنَّ إيرينه يقدِّم عرضًا عقائديًّا A. SAGNARD, *La Gnose valentinienne et le témoignage de Saint Irénée*, Paris, 1947, p. 142
بل هدفُ إيرينه دفاعيّ وهجوميّ، وهذا ما لاحظناه منذ بداية مقالنا.

(٥٧) genése

(٥٨) Pro-père προπατερα Pro-principe προαρχην

(٥٩) εννοια Réflexion, pensée

(٦٠) الصماتة (صمتٌ خاص) σιγην النعمة χαρις «الصماتة» هو إيّون أنثى. أمّا «التخم» οροϛ فإيّون ذكر. وذلك من أجل التزاوج.

(٦١) νουν في اللاتينيَّة حافظ الناقل على اللفظ nun في الفرنسيَّة intellect

الفيثاغوريّ البدئيّ والأساسيّ الذي يدعونه أيضًا أصل(٦٢) كلِّ شيء. هو اللجّ والصُماتة(٦٣)، ثمّ العقل والحقيقة. وإذ وعى المونوجين السبب الذي لأجله أصدر، أصدر بدوره "لوغس" و"حياة"(٦٤)، أبًا لجميع الذين يأتون بعده، كبدء كلّ البليروما وتصويرها(٦٥). من لوغس وحياة، بدورهما، أُصدر بحسب التزاوج "الإنسان" و"الكنيسة"(٦٦) ذاك هو الثُمانيّ الأساسيّ، الأصل(٦٧) والجوهر في كلّ شيء. ويُدعى عندهم بأربعة أسماء: اللجّ، العقل، اللوغس والإنسان. كلٌّ واحد من هؤلاء هو ذكر وأنثى: أوّلاً، الأب الأوّل اتّحد، بحسب التزاوج، بالفكر(٦٨) الذي يدعونه أيضًا نعمة وصماتة، ثمَّ المونوجين أو العقل (اتَّحد) بالحقيقة. ثمَّ اللوغس بالحياة، وأخيرًا الإنسان بالكنيسة(٦٩).

«فجميع هذه الإيّونات التي أرسلت من أجل مجد الآب، أرادت بدورها أن تمجِّد الآب بشيء من عندها، فصنعت إصدارًا في التزاوج. فالكلمة والحياة، وبعد أن أصدرا الإنسان والكنيسة، أصدرا عشرة إيّونات أخرى التي يقولون أسماءها

---

(٦٢) racine في اللاتينيَّة radix. في اليونانيَّة αρχη أي البدء. نلاحظ تداخل الفكر الفيثاغوريّ بما هو فلسفة دينيَّة وتعليم خلاص A. MOTTE, "Pythagorisme" in *Dict. des Religions*, Puf, Paris, 1993, p. 1643-1645

(٦٣) في تزاوج بين الذكر (اللجّ βυθος) والأنثى (الصماتة، σιγη).

(٦٤) في تزاوج συξυγια اللوغس λογος والحياة ζωη، الذكر والأنثى، تكون الأبوَّة πατερα التي تضمّ معها الأمومة بالضرورة.

(٦٥) بحسب اليونانيّ μορφωσιν من μορφη الصورة. في اللاتينيَّة formatio. تركنا لفظ تكوين الذي يقابل genèse، γενεσις

(٦٦) Hominem في اللاتينيَّة. في اليونانيَّة ανθρωπον هو العنصر الذكر تجاه الكنيسة، العنصر الأنثى εκκλησια

(٦٧) ριξαν هذا ما يقابل الأصل حرفيًّا. رج حاشية ٦٢.

(٦٨) Pensée بحسب اللاتينيّة Cogitatio. في اليونانيَّة εννοια (الذهن) هي العنصر الأنثويّ. في النقل اللاتينيّ، جعل المترجم عبارة تفسيريَّة بعد εννοια قال Ennoae, id est cogitationi suae، وذلك ليُبرز معنى εννοια.

(٦٩) الرد ١/١: ١، **الينابيع المسيحيَّة**، ٢٦٤، ص ٢٨-٣٣.

بوتيوس وميكسيس..[٧٠]. تلك هي (كما يقولون) الإيّونات العشرة التي أصدرتها الكلمة والحياة. والإنسان أيضًا، مع الكنيسة، أصدر اثني عشر إيّونًا أعطوها الأسماء التالية: البارقليط والايمان، الأبديّ والرجاء، الأموميّ والمحبَّة، الفرادة والجماعة، الكنسيّ والتطوُّب، القصد والحكمة»[٧١] (١/١: ٢، ص ٣٢-٣٣).

وإذ أراد الغنوصيّون أن يساندوا نظرتهم، حول هذا العدد «ثلاثين» الذي يرمز إلى الملء والكمال (البليروما)، عادوا إلى نصّين كتابيّين. الأوّل يشير إلى أنَّ يسوع بدأ رسالته العلنيّة وهو في الثلاثين من عمره (لو ٣: ٢٣). والثاني يورد مختلف الساعات التي فيها أرسل ربُّ البيت عمّالاً إلى الكرم (مت ٢٠: ١-٧). ١+٣+٦+٩+١١= ٣٠. ما هذا الخيال في التفسير! ذاك هو موقف إيرينه الذي قال (١/١: ٣، ص ٣٢-٣٥):

«تلك هي إيّونات ضلالهم الثلاثون، المغطّاة بالصماتة واللامعروفة: بليروما لامنظورة وروحانيَّة مع قسمتها المثلَّثة إلى اثني عشاريّ، وعشاريّ وثُمانيّ. لهذا يقولون إنَّ المخلِّص (يرفضون أن يدعوه الربّ) عاش ثلاثين سنة دون أن يفعل شيئًا، علانية، فكشف هنا سرَّ هذه الإيّونات. ويقولون أيضًا: مَثَلُ العمّال الذين أُرسلوا إلى الكرم، يشير بوضوح إلى هؤلاء الثلاثين إيّونًا. فبعض العمّال أُرسلوا في الساعة الأولى، وآخرون في الثالثة، وآخرون في السادسة، وآخرون في التاسعة، وآخرون أخيرًا في الحادية عشرة. فإذا جعلنا معًا هذه الساعات المختلفة، يكون المجموع ثلاثين: ١+٣+٦+٩+١١=٣٠. ويعتبرون أنَّ هذه الساعات تدلُّ على الإيّونات[٧٢]. هاكها تلك الأسرار العظيمة، المدهشة، الخفيَّة، المثمرة، ولا نقول شيئًا عن سائر أقوال الكتاب المقدَّس التي كيَّفوها مع ضلالهم ووفَّقوها».

(٧٠) βυθιος ما هو عميق، رج βυθος; μιξις المزيج...

(٧١) نقلنا الكلمات اليونانيَّة إلى العربيَّة παρακλητος και πιστις

(٧٢) نلاحظ استعمال الغنوصيّين للأعداد من أجل الوصول إلى نهجهم الفكريّ. أمّا الطريقة فمصطنعة ومتفلّتة.

ثانيًا: اضطراب في البليروما وإصلاح

ضاع التناسق والوئام في البليروما. فالمونوجين أو العقل، الذي خرج مباشرة من الآب وكان قريبًا منه، استطاع وحده أن يشاهده، في المعنى المستيكيّ للكلمة. ومُنعت المشاهدة معنى جذريًّا عن سائر الإيّونات الذين يتوقون إليها. وتنامت هذه الرغبة بقدر الابتعاد عن الآب. ذاك ما حصل للإيّون الأنثى «الحكمة» (سوفيا). خرجت من ترتيبها وكادت تزول في لامحدوديَّة «اللجّ» البدئيّ لو لم يوقفها «التخم» أو «الصليب». وانتزع «الهوى» من الحكمة فعادت إلى الراحة. كلُّ هذا يأتي في عنوان: اندفاع «الحكمة» وتدخُّل «التخم» (١/٢: ١-٤):

«إذًا، كما يقولون، ما عرف الآبَ الأوَّل إلاَّ المونوجين وحده أو العقل الذي خرج منه. أمّا بالنسبة إلى سائر الإيّونات، فكان لامنظورًا ولا مدركًا. فالعقل (في نظرهم) وحده يلتذّ برؤية الآب وينعم بمشاهدة عظمته الواسعة. ففكَّر بأن يُشرك الإيّونات الأخرى أيضًا في عظمة الآب، فكشف لهم وُسع هذه العظمة، وعلَّمهم أنَّه أزليّ، لا يُفهَم ولا يدركه النظر. ولكنَّ "الصُماتة" منعته، بمشيئة الآب، لأنَّها أرادت أن تجلب كلَّ الإيّونات لكي يفكِّروا ويرغبوا في البحث عن أبيهما الأوَّل. وهكذا رغبت الإيّونات معًا رغبة هادئة في أن ترى مبدأ زرعها وتكتشف الجذر الأزليّ.

«غير أنَّ آخر الإيّونات وأفتاها في الاثني عشاريّ الذي أرسله الإنسان والكنيسة، عنيتُ به "الحكمة"، قفز بعنف وسيطر عليه هوى خارج العناق مع "زوجه" "القصد"[٧٣]. تولَّد هذا الهوى في جوار العقل والحقيقة[٧٤]، ولكنَّه تركَّز[٧٥] في هذا الإيّون الذي تبدَّل: كان ذلك وقاحة، بذريعة الحبّ، لأنَّه أراد

---

(٧٣) Θελητος يرتبط بالفعل θελω أراد، قصد. أمّا «الهوى» فهو παθος .pathos ما يشعر به الإنسان.

(٧٤) زوجان يقيمان قرب الآب وينعمان بمشاهدته. أمّا الرغبة الجامحة برؤية الآب، فولدت في الإيّونين الخارجين من العقل والحقيقة، وهما اللوغس والحياة، وراحت هذه الرغبة تتنامى.

(٧٥) الفعل .απεσκηψε se concentrer أمّا الاسم αποσκηψις فهو لفظ طبّيّ يعني تركيز الأمزجة humeurs في الجسم، بحسب هيبوكراط، أشهر أطبّاء العالم القديم (٤٦٠-٣٧٧ ق.م). Voir F. SAGNARD, *op. cit.*, P. 258

(كما يقولون) أن يفهم عظمة الآب. وبما أنَّه لم يقدر، ولأنَّه هاجم المستحيل، وجد نفسه في حالة من الصراع العنيف جدًّا بسبب عظمة اللجّ ولاإدراكيَّة الآب وحبِّه له. وإذ كان يتمدَّد دومًا إلى الأمام، كاد في النهاية أن يغرق في حلاوة الآب ويذوب في الجوهر الكونيّ، لو لم يلتقِ القدرة التي تثبِّت الإيّونات وتحفظها خارج العظمة اللاموصوفة. دعوا هذه القدرة «تخم». فيها أُوقف الإيّون وثُبِّت. فعاد إلى نفسه بصعوبة، وتيقَّن بعد الأن أنَّ الآب لا يُدرَك. فتخلّى بعد أن أصابته الدهشة عن الميل(٧٦) السابق مع الهوى الذي حصل فيه.

«وبعض هؤلاء الهراطقة تخيَّلوا بالأحرى الهوى واهتداء الحكمة؛ بما أنَّها قامت بمهمَّة مستحيلة، لا تتحقَّق، ولدَتْ (كما يقولون) جوهرًا لا شكل الله، كما امرأة تلد. وحين تأمَّلتْه، حزنت أوَّلاً من لاكمال ولادته. ثمَّ خافت أن تَغيب هذه الثمرة. حينئذٍ خرجت من ذاتها وتضايقت، وبحثت عن سبب الحدث وعن الطريقة التي بها تُخبّئ ما وُلد منها. فانغمست في أهوائها، وارتفعت إلى "الاهتداء"، وحاولت أن تعود إلى الآب. ولكن بعد جهد قليل ضعفَت وتوسَّلت إلى الآب. وانضمَّ إلى صلاتها الإيّونات الأخرى، ولاسيَّما العقل. فمن كلِّ هذا (كما يقولون) استَخرَج جوهرُ المادَّة أصله الأوَّل، أي من الحزن والخوف والذهول.

«حينئذٍ أصدر الآب بوساطة المونوجين، فضلاً عن ذلك، "التخم" الذي سبق وتحدَّثنا عنه. أصدره بحسب صورته الخاصَّة، أي بلا زوج ولا رفيقة(٧٧)، أرادوا (الغنوصيّون) تارة أن تكون الصماتة له رفيقة. وطورًا أن تكون فوق التمييز بين الذكر والأنثى. وأعطى التخم أيضًا أسماء "الصليب"، "الفادي"، "المحرِّر"، "المحدِّد"،

(٧٦) Intention. في اليونانيَّة ενθυμησις يتألَّف من الأداة εν في اليونانيَّة والفعل θυμω نضع شيئًا في فكرنا (رغبة، عاطفة، ميل، نيَّة). تركت الحكمة ميلها كما يترك الإنسان لباسه. واتَّخذ ενθυμησις جسمًا، فصار واقعًا مستقلاً، بل شخصًا.

(٧٧) Sans couple α–συξυγον بلا زواج ولا رفيقة α–θηλυντον. عادة، كلُّ ذكر معه أنثى والعكس بالعكس. أمّا «الصماتة» فهي وحدها. وهي أنثى σιγη أتراها تتَّحد بالآب؟

"الموجِّه"(٧٨). بهذا التخم (يقولون) تنقَّت الحكمة، تثبَّتت، أُدخلت في تزاوجها. فحين انفصل عنها ميلُها مع الهوى الذي حلَّ فيه، لبثت هي نفسها داخل البليروما. أمّا ميلها مع البدء المتَّحد به، فانفصل، "صُلِب"، طُرِد من البليروما بواسطة "التخم". هذا الميل هو جوهر روحانيّ، لأنَّه الاندفاع الطبيعيّ في الإيّون. ولكنَّه جوهر لا شكل له ولا وجهة، لأنَّ الحكمة لم تدرك شيئًا. لهذا يقولون: هذا الجوهر ثمرة ضعيفة، أنثى» (ص ٣٦-٤٥).

* * *

في إطار هذا الاضطراب والإصلاح، أمرَ أبو الكلّ فأصدر العقلُ أيضًا زوجين جديدين وإيّونين: «المسيح» و«الروح القدس». قام دورُهما بأن يقدِّما للإيّونات «معرفة» (أو: غنوصة) الآب، أو بأن يكشفا بأنَّ الآب لا يمكن فهمه ولا إدراكه: هما لا يقدران أن يُدركا منه شيئًا، خارج المونوجين الذي هو شكله المنظور المفهوم. وإذ تُشفى الإيّونات من الاضطراب الباطل وتدخل في الراحة التامَّة، يتشارك الإيّونات في أفضل ما عندهم، لكي يقدِّموا لمجد الآب، إيّونًا أخيرًا، «المخلِّص»، وهو ثمرة مشتركة في البليروما، فترافقه جوقة من الملائكة. هكذا تنتهي نهايةً حسنة الدراما التي حصلت في قلب البليروما(٧٩). هذا ما نقرأ في ١/٢: ٥-٦:

«بعد أن نُفيَ هذا الميل من بليروما الإيّونات، وعادت أمُّه إلى التزاوج، أصدر المونوجين أيضًا زوجين آخرين، بحسب عناية الآب، لئلا يخضع بعد الآن، إيّونٌ واحد لهوى مماثل: هما "المسيح" و"الروح القدس". أُصدرا من أجل ثبات البليروما وتمتينها. فيهما (كما يقولون) أعيد ترتيب الإيّونات، والمسيح علَّمهم طبيعة

(٧٨) الصليب σταυρον الفادي λυτρωτην رج A. ORBE, La teologia del Espiritu sancto (Estudios Valentinianos, vol IV), Rome, 1966, p. 599-616.

(٧٩) يمكن أن يكون العنوان: إصدار «المسيح» و«الروح القدس» و«المخلِّص» πνευμα, χριστον, σωτηρ.

التزاوج...[٨٠] ونشر في ما بينهم معرفة الآب فكشف لهم أنَّ أحدًا لا يقدر أن يفهم الآب ولا أن يدركه، ولا أن يراه ولا أن يسمعه، إلاّ عبر المونوجين وحده. وسبب الاستمراريَّة الأبديَّة للإيّونات، هو اللامدرَك في الآب. وسبب ولادتهم وتكوينهم، هو المدرَك فيه، أي الابن. ذاك ما قام فيهم الابنُ الذي أُصدر حديثًا.

«أمّا الروح القدس، فبعد أن ساوى الإيّونات جميعها، علَّمهم الشكر وأدخل الراحة الحقَّة. وهكذا (كما يقولون) تمَّت المساواة في الشكل وفي الفكر، فصاروا كلُّهم عقولاً، كلُّهم لواغسًا (لوغس في صيغة الجمع)، كلُّهم أناسًا، كلُّهم مسحاء. وكذا نقول بالنسبة إلى الإيّونات الإنثوات: صرن كلُّهنَّ حقيقات، كلُّهنَّ حيوات، كلُّهن أرواحًا[٨١]، كلّهنَّ كنائس.

«وحين ينال الإيّونات الثبات والراحة التامَّة (كما يقولون)، يُنشدون بفرح كبير الآب الأوَّل، ويشاركون في الوقت عينه بالابتهاج الواسع. ومن أجل هذا الخير، وفي إرادة واحدة وفكر واحد، في كلِّ البليروما الإيّونات، بالاتِّفاق مع المسيح والروح القدس، وبموافقة الآب، يحمل كلُّ إيّون أحلى ما عنده وزهرة جوهره، من أجل المشاركة. وينسجون كلَّ هذا في تناسق، وفي وحدة تامَّة، إكرامًا للجّ ولمجده، يصنعون إصدارًا هو الجمال التامّ ونجمة البليروما: إنَّه الثمر الكامل «يسوع» الذي يُدعى أيضًا «المخلِّص» وأيضًا المسيح «اللوغس»، باسم أبويه (المسيح والروح)، وأيضًا «الكلّ»، لأنَّه يصدر عن الكلّ. وفي الوقت عينه يصدر من أجله حرّاسٌ شخصيّون هم ملائكة من نسله» (ص ٤٤-٤٩).

---

(٨٠) سقط هنا خمس كلمات لا يمكن قراءتها. حاول العلماء فلم يجدوا حلاً. فوضعوها بين عاكفين، واعتبروا أنَّ المعنى يكون مرضيًا بدونها. فالمسيح يقوم بعملين: أوَّلاً، يعلِّم الإيّونات طبيعة التزاوج، فتبقى متواضعة في أماكنها. ولا تثب بشكل فوضويّ (كما حاولت الحكمة أن تفعل)، فتنفصل عن زوجها متذرِّعة بأنَّها تمضي في طلب الآب. ثانيًا، والمسيح يحمل إلى الإيّونات معرفة الآب فيكشف لهم أنَّه لا يُفهَم ولا يُدرَك. وهذا يعني أنَّه يستحيل على الإيّون أن يقترب من الآب ليراه مباشرة وفي ذاته.

(٨١) نتذكَّر أنَّ الروح في العالم الشرقيّ هو في صيغة المؤنَّث.

بعد أن عرض إيرينه الفكر البطالسيّ، جمع بعض النصوص الكتابيَّة التي فيها يعتبر الغنوصيّون أنَّهم يكتشفون، من وراء حجاب «الأسرار»، إشارة إلى الإيونات وتحوُّلاتها. بعد سلسلة من النصوص المتعلِّقة بالبليروما وانقسامها في الاثني عشاريّ والعُشاريّ والثُمانيّ[٨٢] (لو ٣: ٢٣؛ مت ٢٠: ١-٧؛ لو ٢: ٤٢؛ مت ١٠: ٢؛ مت ٥: ١٨)، ترد نصوص أخرى في علاقة مباشرة مع «حاش» الإيّون الثاني عشر في الاثني عشاريّ: جحود يهوذا، الرسول الثاني عشر (مت ١٠: ٤). الآلام التي احتملها يسوع في الشهر الثاني عشر (لو ٤: ١٩؛ أش ٦١: ٢). شفاء النازفة بيد المخلِّص بعد اثني عشر عامًا من العذاب (مت ٩: ٢٠). بعد ذلك جاءت نصوص تتعلَّق «بالمخلِّص» على أنَّه خرج من «جميع» الإيّونات (لو ٢: ٢٣؛ خر ١٣: ٢؛ كو ٣: ١١؛ رو ١١: ٣٦؛ كو ٢: ٩؛ أف ٤: ٢٧). أخيرًا كانت نصوص متعلِّقة ب«التخم» و«الصليب»: الصليب الذي يثبّت (لو ١٤: ٢٧؛ مر ١٠: ٢١). التخم الذي يفصل (مت ١٠: ٣٤؛ مت ٣: ١٢؛ ١كور ١: ١٨؛ غل ٦: ١٤). وفي الختام، يفضح إيرينه مرّة أخرى التآويل الغنوصيَّة، التي تشدُّ النصوص الكتابيَّة لتكيِّفها مع نهج لا علاقة له بها[٨٣]. ونورد نصّ إيرينه:

«إذًا، ذاك هو النتاج الذي يقولون إنَّه تمَّ في قلب البليروما. والمغامرة السيّئة لهذا الإيّون الذي وقع في الهوى وكاد يهلك، كما في مادَّة واسعة، بسبب بحثه

---

(٨٢) Duodécade, Décade, Ogdoade

(٨٣) التكرار حاضر في هذه النصوص والإيرادات الكتابيَّة. لا شكَّ في أنَّ الغنوصيّين يكرِّرون الآيات الكتابيَّة عينها. ولكنَّ إيرينه، المأخوذ بالعمل الرعائيّ في أبرشيَّته، دوَّن كتابه، لا مثل عالم ملتصق بمكتبه، بل مثل راعٍ دوَّن كتابه في فترة طويلة من الزمن. يومًا بعد يوم، وشهرًا بعد شهر، كان أسقف ليون يرسل المواد إلى «صديقه». بدأ فأرسل الكتابين الأوَّلين، ثمَّ الثالث، ثمَّ الرابع، ثمَّ الخامس. ذاك ما أشار إليه في مقدِّمة كلِّ كتاب. أمّا الهدف فبسيط: الكشف والردّ. كشفَ إيرينه فصوَّر تعليم الهراطقة الغريب وتكاثر شيعهم. وردَّ عليهم فقدَّم وحدة التعليم الكاثوليكيّ والتفسير المتماسك للكتاب المقدَّس. ولمّا رأى إيرينه كثرة الموادّ، حاول أن يقسم «الردّ» إلى خمسة كتب. *DS, op. cit*, col 1933. وقال هو نفسه في مقدِّمة الكتاب الأوَّل (**الينابيع المسيحيَّة**، ٦٤): «أنت لا تطلب منّا نحن العائشين لدى القلطيّين Celtes، ونعالج أمورنا في لهجة بربريَّة (= لايونانيَّة)، فنّ الخطابة الذي لم نتعلَّمه، ولا مهارة الكتابة التي لم نتمرَّس فيها، ولا أناقة الكلمات ولا فن الإقناع الذي نجهل» (**التوطئة**، ٣، ص ٢٥).

في الآب. والتجمُّع السداسيّ لذاك الذي هو في الوقت عينه، التخم، الصليب، الفادي، المحرِّر، الموجِّه. والولادة التالية لولادة الإيّونين، المسيح والروح القدس، اللذين أصدرهما الآب بعد أن ندم (تك ٦: ٦). وأخيرًا، "فبركة" المسيح الثاني الذي يدعونه أيضًا "المخلِّص" وذلك بالمشاركة والمساهمة.

«لا شكّ في أنَّ كلَّ هذا لم يُقَل في الكتب المقدَّسة بوضوح، لأنَّ الجميع (الناس) لا يفهمون غنوصتهم...

«فإصدار الاثني عشاريّ من الإيّونات، بانَ في أنَّ الربّ تجادل مع علماء الشريعة وهو ابن اثني عشر عامًا. كما في اختياره للرسل الذين كان عددهم اثني عشر. أمّا الثمانية عشر إيّونًا الآخرين، فظهروا في أنَّ الربّ، بعد قيامته من بين الأموات، عاش اثني عشر شهرًا (كما يقولون) مع تلاميذه. والحرفان الأوَّلان في اسم يسوع أي الياء (=١٠) والحاء (=٨)، يدلاّن بوضوح على الثمانية عشر إيّونًا. ويدلّ أيضًا على العشرة إيّونات (كما يقولون) حرف الياء (= ١٠) الذي هو الحرف الأوّل في اسمه. لهذا قال المخلِّص: "لا تسقط ياء واحدة ولا حرف واحد من الشريعة حتّى يتمَّ كلُّ شيء" (مت ٥: ١٨).

«والحاش الذي حصل في الإيّون الثاني عشر يدلُّ عليه (كما يقولون) جحودُ يهوذا الذي كان الرسول الثاني عشر، وأنَّ الربَّ تألَّم حاشه في الشهر الثاني عشر: هم يريدون أن يكون كرزَ سنة واحدة بعد عماده. وهذا السرّ تجلّى أيضًا بوضوح في شفاء النازفة. فبعد اثني عشر عامًا من العذاب شُفيَت بمجيء المخلِّص بعد أن لمست طرف ثوبه. لهذا قال المخلِّص: "من لمسني؟" وهكذا علَّم تلاميذه السرَّ الذي حصل وسط الإيّونات، وشفاءَ الإيّون الذي وقع في الهوى. فالتي تعذَّبت هكذا اثني عشر عامًا، كانت تلك القدرة: تحرَّرت فسال جوهرها في اللامحدود، كما يقولون، ولو لم تلمس ثوب الابن، أي الحقيقة التي تخصّ الرباعيّ الأوَّل والتي دلَّ عليها طرفُ الثوب، لكانت ذابت في الجوهر الكونيّ. ولكنَّها توقَّفت، وتخلَّصت من هواها، لأنَّ ديناميَّة الابن (التي هي التخم، كما يقولون) شفت الحكمة وأبعدت عنها الهوى.

«أن يكون المخلِّص الذي خرج من الجميع هو "الكلّ"، فهذا ما يدلُّ (كما يقولون) عليه الكلام: "كلُّ ذكر فاتح رحم..." (لو ٢: ٢٣). وبما أنَّ هذا المخلِّص هو الكلّ، فقد فتح حشا ميل الإيّون الذي وقع في الهوى، حين نُفيَ من البليروما. وهذا الميل يدعونه أيضًا الثُماني الثاني، وعنه نتحدَّث فيما بعد. وبحسب ما يقولون، فبولس أيضًا رأى هذا السرّ حين قال: "هو الكلّ" (كو ٣: ١١). وأيضًا: "كلُّ شيء له، ومنه كلُّ شيء" (رو ١١: ٣٦). وأيضًا: "فيه يسكن ملء الألوهيَّة" (كو ٢: ٩). فالكلام "يَجمع كلَّ شيء في المسيح" (أف ١: ١٠)، يفسِّرونه أيضًا بهذا الشكل، كما سائر الكلمات المشابهة.

«وكذلك أيضًا بالنسبة إلى تخمهم الذي يدعونه بأسماء أخرى كثيرة، فيقولون إنَّ له نشاطين اثنين: واحد يثبِّت، والآخر يفصل. حين يَثبت ويَمتُن فهو "الصليب". وحين ينفصل ويحرَّر فهو "التخم". بيَّن المخلِّص (كما يقولون) هذين النشاطين بما يلي. أوَّلاً، النشاط المثبت حين قال: "من لا يحمل صليبه ويتبعني، لا يقدر أن يكون لي تلميذًا" (لو ١٤: ٢٧؛ مت ١٠: ٣٨). ثمَّ المحرِّر، حين يقول: "اتبعني، حاملاً صليبك" (مر ١٠: ٢١). ثمَّ ما يحرِّر، حين يقول: "ما جئت لأحمل السلام، بل السيف" (مت ١٠: ٣٤). واعتبروا أنَّ يوحنّا (المعمِّد) بيَّن هذا الشيء عينه حين قال: "المذراة في يده لكي ينقّي بيدره، فيجمع الحنطة في أهرائه، أمّا التبن فيحرقه في نار لا تطفأ" (مت ٣: ١٢؛ لو ٣: ١٧). هذا النصّ يُبرز عمل "التخم"، لأنَّ المذراة، بحسب تفسيرهم، هي الصليب الذي يُحرق كلّ عناصر الهيولى، كما النار تحرق التبن. ولكن ينقّي المخلَّصين كما المذراة تنقّي الحنطة. وبولس الرسول أيضًا يشير إلى هذا الصليب حين يقول: "لوغس (كلام) الصليب عند الهالكين جهالة، أمّا للمخلَّصين فهو قدرة الله" (١كو ١: ١٨) وأيضًا: "أنا لا أفتخر بشيء، إلاّ بصليب المسيح. فيه صُلب العالم من أجلي وأنا من أجل العالم"» (غل ٦: ١٤) (ص ٤٨-٦١).

الخاتمة

في نهاية مقالنا حول تعاليم بطليمس كما نقرأها في مؤلَّف إيرينه، **الردّ على الهراطقة**، لا يسعنا إلاّ أن نورد الخاتمة التي جعلها أسقف ليون في نهاية كتابه. قال:

«انظروا من أيِّ آباء ومن أيِّ أجداد خرج تلاميذ ولنطين، كما كشفتْ عنهم تعاليمُهم الخاصَّة ونهوجهم. وجب علينا أن نقدِّم البرهان الواضح وبالتالي أن نُبرز تعاليمهم في وضح النهار. بهذه الطريقة، قد يتوب بعضٌ منهم، وإذ يعودون إلى الإله الواحد، خالق الكون وصانعه، يخلُصون. أمّا الآخرون، فلا يعودون يؤخذون بمكرهم وببراهينهم المصطنعة، ولا يعودون يعتقدون أنَّهم ينالون منهم معرفة سرٍّ أعظم وأسمى. ويتعلَّمون حسنًا منّا أيَّ شرٍّ يعلِّمه هؤلاء الناس، فيهزأون بكرازتهم. وأخيرًا، يُشفقون على هؤلاء الذين ما زالوا غرقى روايات تعيسة وواهية، ويفتخرون حين يحسبون أنفسهم أفضل من الآخرين بفضل هذه «الغنوصة»، أو بالأحرى بفضل هذا الجهل. ذاك ما فعلنا: نزعنا القناع عنهم: فحين عرَّفنا بهم، انتصرنا عليهم» (ص ٣٨٦-٣٨٩).

أمّا الجواب الأخير فإبراز وحدة الإيمان في الكنيسة، تجاه تنوُّع النهوج الضالَّة، والعمل، والحفاظ على قاعدة الحقّ.



الفصل الخامس
كليمان الإسكندرانيّ ومقتطفات تيودوتيّة

وُلد تيطس فلافيوس كليمان حوالي سنة ١٥٠، من أبوين وثنيّين يبدو أنّه وُلد في أثينة، وهناك نال تربية أولى. لا نعرف شيئًا عن تاريخ اهتدائه ولا عن الظروف. ولكن حين صار مسيحيًّا، قام بأسفار طويلة في إيطالية الجنوبيّة، في سورية ولبنان وفلسطين. أمّا الهدف فالبحث عن التعليم لدى المعلّمين الكبار، كما قال في الموشّيات[١]: «كان له امتياز بأن يسمع أشخاصًا قدّيسين ومشهورين حقًّا». أمّا الحدث الذي كان حاسمًا في توجُّهه العقليّ، فهو سَفَرٌ قاده إلى الإسكندريّة. وما قاله بانتين كان له الأثر الكبير عليه. فأقام في الإسكندريّة فصارت موطنه الثاني. قال: «حين وصلتُ إلى (المعلّم) الأخير، (لكنّه الأوّل على مستوى القيمة والقدر)، الذي اكتشفته في مصر، وجدتُ الراحة. كان هو النحلة الحقيقيّة (كما في صقلّيّة) التي تلحس أزهار حقل الأنبياء والرسل، فيولّد في نفوس سامعيه علمًا لا يموت...

سار كليمان وراء بانتين، ثمّ ساعده وخلفَه في المدرسة الفقاهيّة حوالي سنة ٢٠٠. خلال اضطهاد سبستيمُس سويريوس، أجبر على ترك مصر، فمضى إلى كبادوكية، وهناك مات قبل سنة ٢١٥ بقليل[٢].

ترك هذا المفكّر الكبير عددًا من المؤلّفات. مثل «الإرشاد إلى اليونانيّين» داعيًا إيّاهم للاهتداء إلى المسيح[٣]، «المربّي»[٤] الذي يواصل ما قاله في الإرشاد،

(*) هذا المقال ورد في المشرق ٨١ (٢٠٠٧) ص ١٨٥-٢١٠.

(١) CLEMENT, *Les Stomates, I, 1, 11.* Voir SC, 30

(٢) J. QUASTEN, *Initiation aux Péres de l'Eglise,* 2, Paris, 1956, p. 12.

(٣) *La Protreptique* (προτρεπτικος προς ελληνας), Sc, 2, Paris, 1991.

(٤) *Le Pédagogue* (Paidagôgos), Sc, 70, 108, 158.

ويتوجّه إلى الذين اعتنقوا المسيحيّة، «الموشّيات» التي تدرس العلاقة بين الديانة المسيحيّة والعلوم الدنيويّة ولا سيّما الفلسفة اليونانيّة. أمّا الكتاب الذي نحن في صدده، فيقدّم إيرادات من الكتب الغنوصيّة[٥]. وخصوصًا من كتابات مُؤلِّف غنوصيّ في مدرسة ولنطين[٦]. قدّمها كليمان ثمّ علّق عليها. لهذا بدا من الصعب أن نميّز مقتطفات تيودوت من كلمات كليمان نفسها.

قبل أن نقدّم النصّ وننقل القسم الأوّل منه إلى العربيّة (١-٢٨) نتوقّف عند تعليم ولنطين بشكل عامّ، ونترك الكلام عن مقتطفات تيودوت إلى القسم الثالث.

١- تعليم ولنطين

أ- ولنطين والولنطينيّة

نتذكّر أوّلاً أنّ ولنطين هو معلّم في الإسكندريّة. علّم في رومة في السنوات ١٣٨-١٥٨. هو غنوصيّ مسيحيّ في الدرجة الأولى. والانطلاقُ ثنويّةٌ قادته إلى الفصل بين الخلق والفداء، وإلى الفصل بين العالم المحسوس الذي تسيطر عليه القوة

---

(٥) *« Excerpta e Theodoto »,* Édités par O. STAHLIN, GCS, 17(1909), P. 103-133 ; R. P. CASEY, « *The Excerpta ex Theodoto of Clement of Alexandria*, with translation and notes (Studies and Documents, 1), London, 1934 ; F. SAGNARD, *Extraits de Théodote*, texte grec, tr. et notes, SC 23, Paris, 1948. Voir comme étude: A. J. FESTUGIERE, « Notes sur les Extraits de Théodote de Clément d'Alexandrie et sur les fragments de Valentin" in *Vigiliae Christianae*, 3(1949), p. 193-207.

(٦) F. M. SAGNARD, *La gnose valentinienne et le témoignage de Saint Irénée*, Paris, 1947; B. LAYTON (éd.), *The Rediscovery of Gnosticism, vol I, The School of Valentinus*, Leiden, 1980.
بولس الفغالي، «الغنوصيّة أو العرفان»، في **المسرّة**، ٨٧(٢٠٠١)، ص ٦٦٥-٦٩١. نشير هنا إلى أنّ إيرينه كرّس الكتاب الأوّل من مؤلّفه الذي يردّ فيه على الهراطقة *Adversus Haereses* للكلام عن ولنطين وتلاميذه، ومنهم بطليمس ومرقس الساحر.. SC 263, 264

الشـرّيـرة أو المحدودة، والعـالم الـروحـيّ الـذي هـو مجال الـلـه المتسـامـي «واللامعروف». من هذا الإله تصدر نفوس البشر. هي من جوهر روحيّ ولكنّها تُسجَن في عالم الأرض. ومنه أيضًا ينطلق المخلِّص الذي يقود نفوس المختارين، نفوس الذين يمتلكون «الغنوصة» أو «العرفة» (المعرفة الباطنيّة) إلى العالم العلويّ. ونفهم هذه الثنويّة في انطلاق من نظرة قلقة إلى مسألة الشرّ، إلى أصله وسبب حصوله. كما تتوخّى أن تخلِّص النفس البشريّة من كلِّ مسؤوليّة شخصيّة. تلك هي سمة(٧).

والسمة الثانية لدى ولنطين وجماعته، هي معرفة مميَّزة تنتقل بواسطة تقليد سرّيّ يكشف أسرار العالم العلويّ. والسمة الثالثة، تنظير يستكشف بليروما (أو ملء) الألوهة، ويتساءل حول الإيّونات(٨) (أو: كنه الأمور) التي تكوِّنه بشكل يصل بنا إلى الميتولوجيّا. والسمة الرابعة كلام عن الباري(٩) الذي خلق الكون. والكون هنا هو موطن النفس والشرّ الذي لا بدّ من تخليصه بأسرع وقت ممكن.

هذه الغنوصيّة المسيحيّة التي انطلق منها ولنطين تغذّت بالفلسفة الأفلاطونيّة والتقاليد الميتولوجيّة. فالملء أو بليروما(١٠) يتكوَّن من سلسلة إيّونات صدرت عن

---

(٧) R. BRAUN, "Gnose", in *Dict. Critique de Théologie*, Jean-Yves LACOSTE (dir.), Paris, 2002, p. 496-497 ; J. RIES, « Gnosticisme (Les recherches sur ») in *Dict. des Religions* (= D. R.), POUPARD dir, p. 769-776 ; ici p. 774-775. R. MET WILSON, *Gnose et Nouveau Testament* (tr.) Tournai, 1969 ; R. M. GRANT, *La gnose et les origines chrétiennes*, Paris, 1964.

(٨) αιων, éon حافظنا على الكلمة اليونانيّة المستعملة في لغات العالم العمليّة. هي أوسع من لفظ «دهر» كما في عبارة «دهر الدهور» تعني لدى الحياة، الزمن، الأبديّة، العالم. تقابل اللاتينيّة aevum δμηιουργος

(٩) δμηιουργος, δεμιυργε: يعمل من أجل الشعب δημος ثمّ صار المعنى الفلسفيّ: خالق الكون. فاقترحنا لفظًا واحدًا: الباري.

(١٠) πληρωμα الملء. في المسيحيّة: ملء الله. وفي العالم الغنوصيّ، هو إيّونات (ميتولوجيّة) خرجت من الأب الأوّل، وكوَّنت معه الكون الحقيقيّ في التناغم والوحدة والنور – تجاه الظلمة والتبدُّل والانقسام وغياب النظام في العالم الملموس (يتميّز بالنقص). رج V. MACDERMOT, "The Concept of Pleroma in Gnosticism" dans M. KRAUSE (éd.), *Gnosis and Gnosticism Nag Hammadi Studies*, 17, Leiden, 1981, p. 76-81.

الأب الأوّل أو بيتوس Βυθος (اللجة) ومن الإلاهة مجالسته[١١]. ينضمّ الإيّون إلى المجالسة فيكوِّنان زوجين أو منايرين. ويأتي واحدٌ من عنصريّ المنايرة الأخيرة، واسمه صوفيا[١٢]. هي ترغب بأن تلد في ذاتها فتنتج ثمرًا ناقصًا لدى الكون الأدنى الذي ليس هو بعدُ العالم الأرضيّ. حينئذٍ يحمي الملء نفسه من نتاج هذه السقطة بحاجز هو قبّة السماوات. أمّا صوفيا فيخلِّصها عريسها، المخلِّص أو المسيح، ويعيدها إلى الملء. أمّا هواها فينفصل عنها ويصبح صوفيا سفليّة. ويسوع الذي هو الثمرة التامّة للبليروما، والذي أُرسل ليخلِّص الأمّ (صوفيا) السفليّة، فيحوِّل الندامة إلى معرفة. ويصدر عن تيهان صوفيا ثلاثة عناصر: هواها يُنتج العنصر المادّيّ. ندامتها العنصر النفسيّ. وشفاؤها يعطي العنصر الروحيّ[١٣].

عندئذٍ تميِّز الولنطينيّة ثلاثة أنواع من الناس: الإنسان الهيوليّ أو المادّيّ، المعدّ في طبيعته إلى الدمار. الإنسان الروحيّ المخلَّص في طبيعته. أمّا النفسيّ فينجو نجاة متوسِّطة، شأنه شأن الباري، بقدر ما تكون الأعمال صالحة. هذه الفئات الثلاث تقابل الأقسام المثلَّثة في الواقع: بليروما، الوسط، العالم. فلا كنه للقسمة الثانية، بل هي تقف بين الملء الإلهيّ والعالم المادّيّ[١٤].

---

(١١) Paréche: qui siege à côté وفي اللغة الميتولوجيّة، هي إلاهة بقرب الإله. والاثنان يكوِّنان «ثنائيًّا» syzygie أو «منايرة» لأنّ الاثنين يكونان تحت نير واحد.

(١٢) Sophia هي في العالم الغنوصيّ، الإيّون الأخير في البليروما. تحرِّكها الرغبة فتكون في أصل سقوط يقود إلى انتشار الكون الأدنى من عند الباري، وخلق العالم المادّيّ.

(١٣) Materiel, psychique, spirituel

(١٤) J. M. SEVRIN, “Valentinisme”, in *DR*, p. 2099.

هنا نلاحظ الفرق بين ولنطين وباسيليد بامتداداته الفلسفيّة. فتصوّره للكائن تصوُّرٌ سلبيّ: والإله «اللامعروف» يصبح عنده الإله «اللاموجود» يُنتج زرعًا (هو الشواش الأوّلاني) يتضمّن في ذاته التطوُّر المقبل. وانطبعت الإسكاتولوجيّا (النهاية) عنده بالتشاؤم، لأنّ كلّ شيء على الأرض يعود إلى حالة من النسيان الكونيّ. يُصبح في اللاوجود

J. DORESSE, “La gnose” dans *Histoire des Religions*, II, Paris, “La Pléiade», 1972, p. 364-429; H. CH. PUECH, *En quête de la gnose*, 2 vol, Paris, 1978.

ب- عودة إلى المصادر

نتوقَّف عند ثماني نقاط نقرأها بشكل خاصّ في إطار بطليمس، أحد تلامذة ولنطين، لما في عرضه من وضوح وفي نظرته من اتّساع وإيرينه، (الردّ على الهراطقة، ١/١-٨: ٤).

الألوهة اللامحدودة، المتسامية، تبدو لنا «بليروما» مكوَّنة من قوّات في تراتبيّة. هي إيّونات تصدر على التوالي من مصدرها زوجين زوجين، (ثنائيّة أو منايرة، حاشية ١١) في تراتبيّة متناقصة، هي بالنسبة إلينا التعبير عن الألوهة. هذه المنايرات تصوَّر بحسب النمط الذكر والأنثى. هي تعبِّر بواسطة العنصر المؤنَّث، عن صفة ملازمة للعنصر الذكر. وبهذا الشكل هما واحد: فالحياة ملازمة للكلمة (لوغوس). ونشاط اللوغوس هو فعل حيّ، محيي، على مستوى الخلق كما على مستوى الخلاص. هذا مع العلم أنّ الخلق مرتَّب بالنسبة إلى الخلاص. والرباط العميق بين اللوغوس والحياة هو حدس أساسيّ قرأه الولنطينيّون في إنجيل يوحنّا واستعملوه استعمالاً دائمًا. هذا ما نكتشفه بشكل واضح في شرح هرقليون لنصّ المرأة السامريّة (يو ٤: ١ي). إنّ «المونوجانيس»[١٥] (الابن الوحيد) الذي هو عقل، يرتبط من هذا القبيل برباط وثيق مع الحقيقة. وهذه الحقيقة تقيم في الفكر[١٦] وتكون له أداة تعبير: «أنا هو الحقيقة» (أو: الحقّ)، قال الابن في شكله البشريّ، في يسوع. وقوّة أخرى (أو فكرة البليروما الإلهيّ) هي الإنسان الإنسان، الإنسان في المطلق (قال يسوع عن نفسه إنّه «ابن الإنسان»). أمّا العنصر الأنثويّ فهو الكنيسة أو الاختيار. هذا يعني، في فكر الله، أنّ الإنسان كُوِّن ليكون المختار (المختار الولنطينيّ: الكنيسة البنفماتيّة، المرتبطة بالبنفما أو الروح). أمّا الربّ الذي هو ينبوع هذه الإصدارات، فيتّحد عادة بالفكر (ينبوع العرفة أو المعرفة الباطنيّة). أمّا النعمة فهي معرفة متدرِّجين وهي موهبة مجّانيّة من عند الآب، الذي يُدعى أيضًا التسامي اللامحدود، ويرتبط بالصمت (السرّ لدى الغنوصيّين).

---

(١٥) μονογενης في اليونانيّة.

(١٦) νους: intelligence, esprit, pensée وهو يعني أيضًا النفس والقلب.

وهكذا يُنتظر، في مبدأ الألوهة ذاتها، أربع «منايرات»، فنكون أمام الرقم ثمانية، مبدأ كلِّ شيء وأصله. تجاه الآب الذي هو اللجة، الفكر الذي هو صمت ونعمة. تجاه الابن الوحيد (مونوجانيس) الذي هو عقل، تكون الحقيقة. تجاه اللوغوس، الحياة. تجاه الإنسان، الكنيسة.

والابن أيضًا هو أيضًا مبدأ (الكائنات التي تتبعه). هو يحمل هذا الاسم، مع أنّه يتوجّه دومًا إلى الآب ويتّحد به. ويحمل اللوغوس الألوهة إلى الخارج (ويكشفها)، وبالتالي يُشرف على تنظيم العوالم: العالم الإلهيّ أوّلاً (ملء الإيّونات)، ثمّ عالم الخلق: «كلُّ شيء خلق به»، كما قال يوحنّا. أمّا الإيّونات فهي إصدارات عاقلة، وانعكاسات طاهرة، روحيّة (بنفماتيّة)، تتداخل بعضها ببعض، وتذوب في وحدة يضيئها المحيط الإلهيّ.

والحكمة، أبعد إصدار من الآب، أرادت أن «تدرك»، أن «تفهم» لا محدوديّتها، كما يدركها الابن. لهذا كان «الهوى» (ولادة الشرّ) بلبلة، وفي النهاية، استبعاد هذا «الفكر» مع مزيج الهوى. ويتبلور هذا «الفكر» في الخارج. منه ينتج عالمنا الخارج من الشرّ.

وما العمل لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه؟ يَنتج إصدار جديد من الآب بواسطة الابن: هو إصدار المسيح العلويّ الذي يدخل تحت نير واحد مع الروح القدس. وهذا اللوغوس الجديد يعيد التوازن إلى البليروما بواسطة «تعليم العرفة»، فيُوجد الحكمة الخارجيّة (تكوين في ما يخصّ الجوهر). والبنفما تنسِّق الإيّونات، تسوّيها، توحِّدها.

عند ولنطين بشكل خاصّ، لا يصدر المسيح عن الآب، بل عن الحكمة الخارجيّة، ويعود بذاته إلى البليروما. وهذا ما نجده أيضًا في المقتطفات التيودوتيّة.

الإيّونات المتناغمة تكوِّن مزيجًا متناسقًا عن جوهرها، فتنتج «ثمرة البليروما المشتركة»، المخلِّص، الذي تتركَّز فيه كلُّ القوى الإلهيّة، بحيث يحقّ له أن يحمل أسماءها: لوغوس، ابن، مونوجانيس، حياة، حقيقة، الإنسان أو ابن الإنسان،

وأيضًا مسيح أو بنفما («ناموس البنوّة الإسميّة»)، وهكذا يبدو ككوكب (أو: شمس) البليروما. كوكبُ نور يضيء في الحكمة على كلِّ عناصر الهوى المستبعَدَة من البليروما، ليجعل منها جوهر عالمنا. اسم العلم عنده: المخلِّص. ولكنَّه يُدعى أيضًا «يسوع» (يسوع العلويّ الذي ما زال خفيًّا).

يبدأ المخلِّص فيمارس عمله في الحكمة. فيعطيها «تكوينًا حسب الغنوصيّة» يعطيها المعرفة، ويشفيها من أهوائها (هي الخوف، الحزن، الحيرة، القلق). تستعدّ للاهتداء، فيحوِّل المخلِّص هذه الأهواء إلى «مادّة» خفيّة. الأهواء تعطي العنصر «الهيولي» أو العناصر المادّيّة الأربعة: الحيوانات، أرواح الشرّ، نفوس الوثنيّين، نفوس الأشرار. أمّا «الاهتداء» فيتحوَّل إلى جوهر «نفسيّ» بسيخيانيّ[١٧] وأوّلاً إلى «الباري»: هو الخالق في بداية سفر التكوين، إله العهد القديم. صاحب شريعة الخوف، الناقصة، المليئة بالظلم. هو إله اليهود وإله المسيحيّين العاديّين (البسيخيانيّين). وضع يده على المادّة، ونظَّم العالم، فجعل من الكائنات البسيخيانيّة والهيوليّة، «اليمين» و«الشمال». هو يجهل كلَّ شيء عن العالم الرفيع (كما المسيحيّ العاديّ لا يعرف المختار الولنطينيّ)، ويحسب نفسه وحده الله. ولكنْ تحرِّكه الحكمة دون علمه، كما يحرِّكه المخلِّص الذي هو الباري الحقيقيّ.

في هذا الإطار «الهيوليّ» والفاسد الذي سوف يدمَّر في يوم من الأيّام، عبرت زروع «بنفماتيّة»، بعد أن أتت من الحكمة التي هي خارج البليروما. بما أنّها صدرت من إيّون في البليروما، فطبيعتها بنفماتيّة في العمق. وحين يظهر المخلِّص – النور (إيبيفانيا: ظهور إلهيّ) يحيط به ملائكة من طبيعته (طبيعة الذكر)، وقد جاء ليكوِّنهم، عندئذٍ يحصل انفجار مفاجئ، «ولادة» زروع بنفماتيّة تتضمّنها الحكمة (زروع مؤنَّثة). فيكون كلٌّ منها إنسانًا ولنطينيًّا: وهكذا فالحكمة هي الأمّ. تُشرف على أسرار العرفة، وتكون وسيطة لها. ويكون مستودع هذه الزروع في الباري، من دون أن يعلم بها.

(١٧) psychique من لفظ «ψυχη» في اليونانيّة. كما كان «بنفما» (πνευμα) مقابلاً للروح.

أخذ الباري «طينًا»، فكوَّن الإنسان الأوّل. ثمّ من «نسمته» جعله «نفسًا حيّة»، «بسيخيانيّة». وينتقل الزرع البنفماتيّ في نسمته دون أن يدري، فيطبع بطابعه بعض «المختارين»: ملوك، كهنة، أنبياء، قبل أن يتكوَّن الولنطينيّون. هذه الجواهر الثلاثة، الهيوليّة، البسيخيانيّة، البنفماتيّة، خُلقت أوّلاً في مرحلة خفيّة. ثمّ أحاط بها عنصرٌ رابع، هيوليّ (الثياب من جلد في تك ٣: ٢١). هو اللحم المنظور. وبالاتّفاق مع هذه الطبائع الثلاث، وُجدت الأعراق الثلاثة على الأرض: العرق الهيوليّ مع قايين، العرق البسيخيانيّ مع هابيل، العرق البنفماتيّ مع شيت. الهيوليّون هالكون. البنفماتيّون خالصون. والبسيخيانيّون يستطيعون أن يخلصوا بالإيمان والأعمال. ولكنّهم في أيّ حال، لا يدخلون إلى البليروما. فجوهر البليروما ليس فيهم كما في البنفماتيّين الذين هم في طبيعتهم مخلَّصون.

عزم المخلِّص العلويّ (يسوع الذي هو ثمرة البليروما) أن ينزل بيننا «ليجمع» كما في زمن الحصاد، الزروع المشتّتة ليقودها إلى البليروما. ما الذي يأخذ؟ من الواضح أنّ الهيوليّ مستبعَد، وهو معدٌّ للدمار. إذًا، يأخذ «لباس» الزرع النفماتيّ، كباكورةٍ ما سوف يخلّص: فالكنيسة (مجموعة الزروع «المختارة») هي «جسد المسيح». ويأخذ أيضًا، أقلّه كما يقول بطليمس وهرقليون، جوهرًا بسيخيانيًّا، المسيح البسيخيانيّ الآتي من الباري (ابن الباريّ البسيخيانيّ)، لأنّ هذا الجوهر هو أيضًا أهل لبعض «خلاص». وأخيرًا، بما أنّ كلّ هذه العناصر هي خفيّة، فالباري صنع «بفنّ رفيع» عنصرًا بسيخيانيًّا هو جسده المنظور والقابل للألم.

وحين تكونُ كلُّ الزروع الولنطينيّة أصدِرت في العالم، بحيث يتمّ العدد الكامل «للمختارين»، حينئذٍ يكون «الانقضاء النهائيّ». فالمخلِّص والأمّ (العريس والعروس في الإنجيل) يكونان معًا. فيصعدان في البليروما الذي يقود إلى جوقة الأزواج المؤلَّفين من «لوغوس» و«بنفما»: فكلّ ولنطينيّ (جوهر أنثى) اتّحد بملاكه (جوهر ذكر). ذاك هو بالنسبة إلى المختار، «تقبُّل اللوغوس الكامل».

ويحمل الولنطينيّ أيضًا معه نفسه أو «بسيخي» كأنّها «ثوب العرس». ولكنّه يتركها بدوره ليدخل بشكل بنفما طاهرة وعاقلة[١٨]، داخل البليروما. لا يستطيع البسيخيانيّون أن يدخلوا. ولكن بقيادة الباري، يحلّون محلّ المخلِّص والأمّ، في السماء الثامنة، فوق السابعة (حيث الباري) وعلى أبواب البليروما. وتحرق النارُ كلَّ العنصر الهيوليّ من مادّة وأرواح شرّ.

٢- مقتطفات من تيودوت[١٩]

١) الزرع البنفماتيّ في يسوع

١- قال يسوع: «أيّها الآب، استودع روحي[٢٠] بين يديك» (لو ٢٣: ٤٦)
قال تيودوت (٢): أصدرت الحكمة[٢١] من أجل لوغوس[٢٢] عنصرًا لحميًّا[٢٣].
الزرع البنفماتيّ: حينئذٍ نزل المخلّص بعد أن التحف بهذا الزرع.

(١٨) العقل νοηρον apparenté au νους

(١٩) مقتطفات من مؤلّفات تيودوت والمدرسة المدعوّة «الشرقيّة» في زمن ولنطين. نشير هنا إلى المدرسة «الإيطاليّة» التي افترقت في أمور عديدة عن الشرقيّة كما سبق وذكرنا
Εκ του θεοδου και της ανατολικης.
نأخذ فقط القسم الأوّل (١-٢٨). هو يبدأ مع فعل «قال» .φησι ويهتمّ بمفهوم πνευμα في الجسد المسيح. ونجد المحاولات التالية: المخلّص = لوغوس (مغلّف بالزروع). المخلّص = .πνευμα ويساوي «كلّ الزرع البنفماتيّ». ويساوي «المختارين» أي الولنطينيّين. ويساوي «الكنيسة» التي هي مجموعة «المختارين». وأخيرًا، جسد المسيح الذي هو الكنيسة، كما في أف ٤: ١٥. وهكذا نكون أمام تعليم ولنطين الأساسيّ حول الزرع. رج «الغنوصة الولنطينيّة» (حاشية ٦) الفصل الحادي عشر.

(٢٠) .pneuma هي علاقة مباشرة بين البنفما والزرع البنفماتيّ؛ إنّها في العمق طبيعة واحدة. الجوهر الإلهيّ.

(٢١) .sophia هي البنفما التي سقطت من عالم القوى الإلهيّة («بليروما» «الإيّونات»). إنّها وسيط «المختارين» البنفماتيّين (الولنطينيّين) والنموذج الأوّل لهم.

(٢٢) نقرأ هنا «لوغوس» و«مخلّص». هما يدلاّن على الشخص الواحد (٢: ١؛ ٢: ٢). فاللوغوس يتجلّى مخلِّصًا. حسب تعاليم ولنطين، يركّز المخلّص في ذاته قوى البليروما، ويمتلك رباطًا خاصًّا مع كلٍّ من هذه القوى (وقد يحمل اسمها)، ولاسيّما مع اللوغوس منظّم هذه القوى. ودور اللوغوس في البليروما هو المثال والنموذج الأوّل لدور المخلّص في الكون.

(٢٣) .σαρκιον رج :σαρξ اللحم. يقابل البشريّ.

٢- من هنا يأتي أنّه في حاشه (آلامه) «سلّم» الحكمة(٢٤) للآب لكي يردَّها الآب. ولا يحتفظ به على الأرض أولئك الذين لهم سلطة الاستلاب(٢٥). وهكذا بالكلمة الواردة أعلاه، يسلِّم إلى أبيه إلى الزرع البنفماتيّ، كلَّ «المختارين»(٢٦).

٢) الزرع البنفماتيّ في آدم(٢٧)

١- ولكنَّ الولنطينيّين يقولون: حين يكوَّن «الجسد البسيخيانيّ»، يضع اللوغوس زرعًا ذكرًا في النفس (بسيخي) المختارة التي كانت نائمة. هذا الزرع هو فيض من العنصر الملائكيّ(٢٨)، وذلك لئلاّ يكون هناك نقص.

٢- عملُ هذا الزرع مثل خمير، يوحِّد ما بدا مقسَّمًا، أي النفس واللحم، اللذين أصدرتهما الحكمة لجزئين متميِّزين. ورقاد آدم (تك ٢: ٢١) هو نسيان النفس، التي تحفظها الحكمة البنفماتيّة لئلاّ تنحلّ. وهو زرع وضعه المخلِّص في النفس. كان هذا الزرع فيضًا من العنصر الذكر والملائكيّ. لهذا يقول المخلِّص: «تخلَّص أنت(٢٩) وخلِّص نفسك».

٣) دور المخلّص(٣٠)

١- حين جاء المخلِّص، أيقظ النفس وأشعل الشرارة: فكلمات الربّ هي ديناميّة(٣١)، قوّة. لهذا قال: «ليضئ نوركم أمام الناس» (مت ٥: ١٦).

---

(٢٤) Sagesse = Pneuma رج ١: ١.

(٢٥) هم الأراكين أو الرؤساء Αρχοντες.

(٢٦) تركنا الرقم ٣ الذي هو كلام لكليمان حول الزرع المختار.

(٢٧) أوّلاً، في هذه القطعة الثانية، تمييز بين ثلاثة عناصر: البنفماتيّ أو الوحي. البسيخيانيّ أو النفسيّ، البشريّ أو اللحميّ. والحكمة (البنفماتيّة) ترئس العنصرين الأخيرين اللذين أنتجتهما وأخرجتهما. ثانيًا، في مرحلة تكوين آدم اللامنظور، يُوضَع البنفما في البسيخيائيّ النائم.

(٢٨) الذكر يساوي الملاك.

(٢٩) أي الزرع البنفماتيّ الذي هو «الأنا» الحقيقيّ في عالم ولنطين.

(٣٠) يستيقظ البسيخيائيّ ويعي الشرارة البنفماتيّة التي فيه. حينئذ يشتعل البنفماتيّ ويزول العنصر الهيوليّ، الأرضي χοικος

(٣١) δυναμις

٢- وبعد قيامته، نفخ روحه في الرسل، وبنسمته طرد الطين كما الرماد، وفصلَه، ساعة أشعل الشرارة[٣٢] وأحياها[٣٣].

(٦) مطلع إنجيل يوحنّا والإيّونات[٣٤]

١- النصّ: «في البدء كانت الكلمة، والكلمة كانت لدى الله، والكلمة كانت الله» (يو ١: ١). أمّا الولنطينيّون فيفهمونه كما يلي. يقولون:

٢- المبدأ هو المونوجانيس[٣٥]، الذي يُدعى أيضًا الله، كما يقدِّمه لنا يوحنّا أيضًا في ولْيِ النفس بشكل صريح على أنَّه الله: الإله المونوجانيس الذي هو في حضن الآب. هو الذي أخبر عنه» (يو ١: ١٨).

٣- وهذا اللوغوس الذي هو «في المبدأ»، أي في المونوجانيس، في العقل (νους) الحقّ. لوغوس وحياة (ζωη). من هنا أصاب يوحنّا حين دعاه هو أيضًا الله، لأنَّه في الإله العقل[٣٦].

«ما صُنع فيه، اللوغوس، كان حياة (يو ١: ٣-٤) زوجته. لهذا قال الربّ: "أنا هو الحياة"[٣٧] (يو ١١: ٢٥).

---

(٣٢) حين ينفخ الروح القدس، تشتعل الشرارة البنفماتيّة وتضيء أمام الناس، ساعة يُلغى العنصر السفليّ والفاسد.

(٣٣) في ٤-٥ مع «مجد تابور» وتابور «الأردنّ» نقرأ نصًّا من كليمان، حول تماهي الابن مع المخلِّص. هذا الابن هو حاضر في كلّ مكان: هو على الأرض لدى أبيه، هو نور في العلاء ونور على الأرض. وهو أيضًا «ديناميّة» الآب. لذلك ارتعب التلاميذ من الصوت، فافترقوا عن اليهود الذين لم يتدرَّجوا، فما لفت انتباهَهم حضورُ الروح.

(٣٤) هي أوّل مغايرة بين الآب الذي هو الله، والابن الوحيد (مونوجانيس) الذي هو المبدأ. وهكذا يكون المسيح اللوغوس والحياة.

(٣٥) من هذا التماهي بين المبدأ Αρχη والابن، نقرأ الكثير في الأدب المسيحيّ الأوّل. رج كليمان الإسكندرانيّ في **الموشّيات**: «كما أنّ اللامولود واحد، وهو الإله القدير، المولود προγεννηθεν هو أيضًا واحد. به صُنع كلُّ شيء، وبدونه ما صُنع شيء. فالله حقًّا هو واحد، الذي كوَّن مبدأ كلِّ شيء». هذا يعني الابن البكر τον προτογονον Υιον

(٣٦) هنا يلتقي بطليمس مع تيودوت على الكلام في مستويين: لوغوس بالنسبة إلى البليروما، مخلِّص بالنسبة إلى ما هو خارج البليروما، أي لعالمنا الذي هو نور له. وهذا المخلِّص، كما قال بطليمس، هو ابن وحقيقة وحياة ولوغوس. رج «الغنوصة» ص ٣١٠-٣١٨.

(٣٧) شرح بطليمس الآيات الأولى في مطلع يوحنّا، قال: «بدأ يوحنّا فميَّز ثلاثًا: الله، المبدأ، اللوغوس. ثمّ وحَّدهم. من جهة، بيّن إصدار كلٍّ من الاثنين، الابن واللوغوس. ومن جهة ثانية، الوحدة بين الاثنين وفي الوقت عينه مع الآب. فالابن هو في الآب ويأتي من الآب. واللوغوس هو في المبدأ ويأتي من المبدأ».

٤- الغنوصة أو العرفة[٣٨]

١- كان الآب لامعروفًا[٣٩] فأراد أن يعرّف نفسه إلى الإيّونات: فعبْرَ فكره[٤٠] الخاصّ (إذ يعرف ذاته)، أصدر المونوجانيس، روح «المعرفة» (غنوسيس) في قلب المعرفة (غنوسيس). فالذي خرج من المعرفة (غنوسيس) أي من فكر الآب، صار أيضًا «معرفة»، أي الابن. لأنّ بالابن عُرف الآب[٤١].

٢- ولكنّ بنفما الحبّ (أغابي) امتزج مع بنفما المعرفة (غنوسيس)، على مثال الآب والابن، والفكر مع الحقيقة. خرج بنفما الحبّ هذا من الحقيقة كما خرجت المعرفة من الفكر.

٣- من جهة، ذاك الذي لبث الابن المونوجانيس في حضن الآب (يو ١: ١٨)، يشرحُ للإيّونات، بالمعرفة، فكر الآب، بما أنّه هو أيضًا صدر من حضن الآب.

من جهة ثانية، ذاك الذي رأيناه على الأرض، لا يُدعى بعد، عند الرسول، «مونوجانيس»، بل «مثل مونوجانيس»: ... مجده مثل مجد المونوجانيس»[٤٢].

---

(٣٨) Gnosis أو المعرفة الباطنيّة. تجاه الآب هناك الفكر. وتجاه المونوجانيس (الابن الوحيد)، الحقيقة. هذا يتفرّع من المعرفة gnose التي يمتلكها الآب في ذاته. والابن غنوصة يصدر عن الغنوصة، أو المعرفة، أي فكر الآب. هذه «الغنوصة»، الصادرة عن «الغنوصة»، تحاول أن تشير إلى مساواة في الجوهر بين الآب والابن، وإلى اتّجاه البنوّة التي تتمّ «بحسب المعرفة»: الابن هو التعبير المفهوم والمعقول عن الآب. ثمّ نكون على مستويين: البليروما (الواقع، الوحيد)، وعالمنا الذي هو «صورة» الأوّل، ولكنّه سراب وعبور. وكذا نقول عمّا في المسيح: هو الابن المونوجانيس في البليروما. وهو المسيح الذي ظهر على الأرض، وهو «يشبه المونوجانيس» (وبالتالي لا يتماهى معه).

(٣٩) αγηστος والفعل عرف: γνοσθηναι

(٤٠) Ενθυμησις في الفكر والقلب. قابل Εν–νοια: دخول في الفكر.

(٤١) رج مت ١١: ٢٧؛ لو ١٠: ٢٢؛ يو ١: ١٨؛ الابن «اسم»، «شكل»، «غنوصة». به يكشف الآب عن نفسه ويعرِّف بذاته. يعطي «شكلاً» للقطعة البنفماتيّة («الأنا» الولنطينيّ)، فيعلِّمه «بالغنوصة»، ويدخله في اسمه.

(٤٢) قالت جماعة ولنطينس: «رأينا مجده (كما قال يوحنّا)، وهذا المجد كان مثل مجد المونوجانيس Οια ην τη του μονογενους. فصحَّح أيريناوس: «في الواقع قال (يوحنّا) هذا: رأينا مجده، مجده مثل مونوجانيس آتٍ من عند الآب δοξαν ως μονογενους وامتلأ نعمة وحقًّا» (١: ١٤). هذهُ و هي مهمّة جدًّا: مثل. وهذا يفسِّر شرح كليمان في ٣ج (يسوع هو هو: البكر في الخلق، والمونوجانيس في البليروما) وفي ٤ (ذاك الذي نزل (الابن) ما انفصل عن ذلك الذي لبث (الآب)).

٥- دعَوا الباري «صورة»[٤٣] عن المونوجانيس. لهذا، فأعمال الصورة فاسدة. عن هذا يصدر أنّ الربّ الذي جعل بالموتى الذين أقامهم: «صورة» القيامة الروحيّة (البنفماتيّة)، ما أقامهم لافاسدين في لحمهم، بل على أنّهم سوف يموتون من جديد[٤٤].

١٦)- الحمامة أو بنفما

وظهرت الحمامة أيضًا مثل جسم[٤٥]. بعضهم (= المسيحيّون) يدعُونها الروح القدس ويدعوها المتشيعون لباسليد «الخادم» (دياقونوس، شمّاس). ويدعوها أهل ولنطين «روح فكر الآب»، الروح الذي نزل على بشريّة اللوغوس[٤٦].

١٧) يسوع والكنيسة (= الحكمة)[٤٧]

١- حسب الولنطينيّين، يسوع والكنيسة والحكمة، هم مزيج تامّ وقويّ من الأجساد[٤٨].

---

(٤٣) الباري δημιουργος صورة εικων

(٤٤) في ٨-١٥ نقرأ أقوال كليمان حول اللوغوس كما في يوحنّا (٨) عن درجات الإيمان. بين «المدعوّين» و«المختارين»، (٩) عن طبيعة الابن والأرواح السماويّة (١٠)، عن مشاهدة وجه الآب، الذي هو الابن (١١)، عن الابن الذي هو نور وحياة، وعن بشريّة المسيح (١٢-١٣)، عن الشياطين ونفوس البشر (١٤-١٥).

(٤٥) مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠؛ لو ٣: ٢٢؛ يو ١: ٣٢. نلاحظ أنّنا في عالم الصور والاستعارات.

(٤٦) في الأردنّ، تمّ الاتّحاد النموذجيّ بين لوغوس وبنفما. رج إيرينه في **الردّ على الهراطقة** (١/٧: ٢.

(٤٧) حسب الولنطينيّين، يسوع والكنيسة أو الحكمة (= المختارون) هم مزيج كامل من الأجسام.

(٤٨) هي عبارة خاصّة بالرواقيّين δι' ολου κρασις. لسنا أمام مزيج μιξις ولا أمام تزاوج συνχισις، بل تداخل تامّ، حيث العناصر تحافظ على ملكاتها الخاصّة، ويدخل الواحد في الآخر (لا أن يكون الواحد بجانب الآخر A. VERBEKE, *L'évolution de la doctrine de Pneuma du stoicisme à St Augustin*, Paris, 1945, p. 65-66.
أمّا كليمان (٧: ٢-٤) فيرى أنّ الروح القدس الذي هو ديناميّة الله، يقدّس النفس، دون أن يمتزج بجوهرها، بل يجعل الأجزاء بعضها قرب بعض على مستوى ديناميّة النفس (١٧: ٤)، كما الريح تمتزج بالريح (١٧: ٢) أو كما تمتزج فينا «بنفما» مع نفسنا (١٧: ٤). في القطعة ١٨، زار المخلّص، بعد قيامته، أبرار العهد القديم (مثل إبراهيم)، ونجّاهم لكي يحيوا في النور. ويواصل كليمان ردّه في ١٩-٢٠ عن اللوغوس الذي صار بشرًا. تجلّى الابن فتميّز عن الآب، وفي تجلّيه غطّى المدى كلّه من الآب إلى آخر خليقة في الكون.

٢١)- عناصر الذكور والإناث(٤٩)

١- النصّ: «خلقهم على صورة الله. خلقهم ذكرًا وأنثى» (تك ١: ٢٧). هذا ما يدلّ في رأي الولنطينيّين على أفضل إصدار للحكمة. فالذكور الذين يخرجون منها هم «الاختيار». والإناث هنّ مجموعة «المدعوّين». ويدعون الذكور «العناصر الملكيّة». والإناث هم، «الزرع الرفيع».

٢- هكذا أيضًا في وضع آدم. العنصر الذكر بقي فيه. أمّا كلُّ الزرع الأنثويّ الذي أُخذ منه، فصار حوّاء، التي منها جاءت الكائنات الأنثويّة، كما الذكور من آدم.

٣- وهكذا «تركّزت» العناصر الذكريّة مع اللوغوس. وتحوّلت العناصر الأنثويّة إلى رجال(٥٠)، فاتّحدت بالملائكة، ودخلت في البليروما. لهذا قيل: «تحوَّلت المرأة إلى رجل»، وكنيسة الأرض إلى ملائكة.

٢٢)- الملائكة الذكور

١- وحين يقول الرسول: «ما الذي يصنعه أولئك الذين يعتمدون من أجل الموتى(٥١)؟». قال تيودوت: يعتمد الملائكة من أجلنا نحن أجزاءهم.

---

(٤٩) الحكمة التي أصدرت المسيح (أفضل إصدار، ٣٣: ٣) هي في الوقت عينه ينبوع العنصر «الذكر» (الملائكة الذين هم من طبيعة المُخلِّص) والزرع البنفماتيّ، «الأنثى» (الولنطينيّين). انفصل العنصر الذكر عن الزرع الأنثى، كما أُخرجت حواء من آدم (بعد أن حافظ كلُّ عنصر الذكر، ٢١: ٢). تمّ هذا الفصلُ حين ترك المسيح (آدم الجديد) أمّه صوفيا (الحكمة، حوّاء الجديدة: أمّ «الأحياء») البنفماتيّين الولنطينيّين ليعود إلى الملء (٢٣: ٢؛ ٣٢: ٢). في هذه الحالة، «تصفية» الزروع مع المسيح بواسطة البليروما، يُفهَم عن الزروع الذكر. والزروع الأنثى هي لها انعكاس ونسخة جديدة. تتركّز العناصر الذكر (الملائكة) مع اللوغوس المخلّص ويرتبط مصيرهما بمصير المخلّص. أمّا العناصر الأنثى فلا تخلص إلاّ باتّحادها في الذكور وذوبانها فيها، كما الانعكاس في مبدأه.

(٥٠) نلاحظ ανηρ, ανδρος مع لفظ απανδρωθεντα

(٥١) هم يعمَّدون من أجلنا في الاسم (الإلهيّ) من أجل «الفداء». نجد هنا ثلاثة عناصر: «المعموديّة، الفداء، الاسم». هي تنطبق على التوالي على يسوع التاريخيّ، على الملائكة، على الولنطينيّين. فالملائكة الذكور («الأحياء») يعتمدون من أجل الولنطيّنيّين الذين هم في حالة «الموت» بسبب وجودهم على هذه الأرض. والمثال هو عماد يسوع: فالمخلّص يمثّل العنصر الذكر كلّه. هذا العماد يتمّ في الاسم (الابن، تعبير الألوهة، ديناميّة الآب، بنفما): هكذا تلقّى يسوع، في عماده، الاسمَ في شكل حمامة. وهذا العماد في الاسم، يُتمّ «الفداء» (لفظ ولنطينيّ تقنيّ). كان يسوع أوّل «المفديّين». وهذا «الفداء» أتاح له أن يُفلت من قوى هذا العالم المعادية، وأن يصعد إلى البليروما. رج ١كو ١٥: ٢٩. هو تلميح إلى عادة قديمة أوردها بولس الرسول.

٢- لأنّنا متنا، نحن الذين أدخلَنا الوجودُ على الأرض، إلى حالة الموت. غير أنّ «الذكور» أحياء، لأنّهم لم يشاركوا في الوجود على هذه الأرض.

٣- «إذا كان الموتى لا يقومون، لماذا نتقبَّل العماد»؟ (١كور ١٥: ٢٩). إذًا نقوم «متساوين مع الملائكة»(٥٢)، و«معادين» إلى «الذكور» في الوحدة، أعضاء مع الأعضاء.

٤- ويقولون: «الذين يعتمدون من أجل الموتى»، هم الملائكة الذين يعتمدون من أجلنا. وهكذا نمتلك نحن أيضًا الاسم (= الابن، ٢٦: ١) فلا يوقفُنا الحدّ ولا الصليب(٥٣)، ولا نُمنَع من الدخول في البليروما.

٥- لهذا، في «وضع الأيدي»، يقولون في النهاية: «من أجل الفداء الملائكيّ»(٥٤)، أي من أجل فداء امتلكه الملائكة أيضًا، بحيث إنّ الذي نال «الفداء» يجد نفسه معمَّدًا في الاسم (الإلهيّ) نفسه الذي فيه تعمَّد ملاكُه قبله(٥٥).

٦- في البدء، تعمَّد الملائكة في «فداء» الاسم، الذي نزل على يسوع، في شكل حمامة، وافتداه(٥٦).

---

(٥٢) ισαγγελοι رج لو ٢٠: ٣٦.

(٥٣) يتماهى الصليب مع الحدّ (أو التخر) .το ορο رج ٤٢: ١؛ إيرينه ١/٢: ٤؛ هيبوليت ٦/٣١: ٥. **الغنوصة**، ص ١٥٣-١٥٤.

(٥٤) هي العبارة الأخيرة في طقس تحدَّث عنه إيرينه (١/٢١: ٣) λυτρωσις αγγελικυς

(٥٥) بعد كلام عن عماد الملائكة ويسوع في الاسم، نصل إلى عماد الولنطينيّ والوحدة مع الملائكة. فالولنطينيّ يعتمد في الاسم مثل ملاكه، وبالتالي مثل يسوع. هذا العماد يوحِّد الولنطينيّ مع ملاكه. وفي القيامة، يصبح «الذكر» و«الأنثى» واحدًا، وهكذا نعود إلى حالة البداية. هنا نتذكَّر ما قاله مرقس الساحر حول عماد يسوع والاسم (**الغنوصة**، الفصل العاشر، ص ٣٥٨-٣٨٦). قال: «للاسم المنظور يسوع ستّة حروف، و«المدعوّون» يفهمونه. هو اسم خفيّ وإلهيّ، واحد كثير. لا يمكن التعبير عنه. إلتحف بالبشريّ، باللحم والدمّ، فنزل وصار في متناول إدراكنا.

(٥٦) نال يسوع الفداء في الاسم (الحمامة).

٢١)- عناصر الذكور والإناث(٤٩)

١- النصّ: «خلقهم على صورة الله. خلقهم ذكرًا وأنثى» (تك ١: ٢٧). هذا ما يدلّ في رأي الولنطينيّين على أفضل إصدار للحكمة. فالذكور الذين يخرجون منها هم «الاختيار». والإناث هنّ مجموعة «المدعوّين». ويدعون الذكور «العناصر الملكيّة». والإناث هم، «الزرع الرفيع».

٢- هكذا أيضًا في وضع آدم. العنصر الذكر بقي فيه. أمّا كلُّ الزرع الأنثويّ الذي أُخذ منه، فصار حوّاء، التي منها جاءت الكائنات الأنثويّة، كما الذكور من آدم.

٣- وهكذا «تركّزت» العناصر الذكريّة مع اللوغوس. وتحوّلت العناصر الأنثويّة إلى رجال(٥٠)، فاتّحدت بالملائكة، ودخلت في البليروما. لهذا قيل: «تحوَّلت المرأة إلى رجل»، وكنيسة الأرض إلى ملائكة.

٢٢)- الملائكة الذكور

١- وحين يقول الرسول: «ما الذي يصنعه أولئك الذين يعتمدون من أجل الموتى(٥١)؟». قال تيودوت: يعتمد الملائكة من أجلنا نحن أجزاءهم.

---

(٤٩) الحكمة التي أصدرت المسيح (أفضل إصدار، ٣٣: ٣) هي في الوقت عينه ينبوع العنصر «الذكر» (الملائكة الذين هم من طبيعة المُخلِّص) والزرع البنفماتيّ، «الأنثى» (الولنطينيّين). انفصل العنصر الذكر عن الزرع الأنثى، كما أُخرجت حواء من آدم (بعد أن حافظ كلُّ عنصر الذكر، ٢١: ٢). تمّ هذا الفصلُ حين ترك المسيح (آدم الجديد) أمَّه صوفيا (الحكمة، حوّاء الجديدة: أمّ «الأحياء») البنفماتيّين الولنطينيّين ليعود إلى الملء (٢٣: ٢؛ ٣٢: ٢). في هذه الحالة، «تصفية» الزروع مع المسيح بواسطة البليروما، يُفهَم عن الزروع الذكر. والزروع الأنثى هي لها انعكاس ونسخة جديدة. تتركّز العناصر الذكر (الملائكة) مع اللوغوس المخلّص ويرتبط مصيرهما بمصير المخلِّص. أمّا العناصر الأنثى فلا تخلص إلاّ باتحادها في الذكور وذوبانها فيها، كما الانعكاس في مبدأه.

(٥٠) نلاحظ ανηρ, ανδρος مع لفظ απανδρωθεντα

(٥١) هم يعمَّدون من أجلنا في الاسم (الإلهيّ) من أجل «الفداء». نجد هنا ثلاثة عناصر: «المعموديّة، الفداء، الاسم». هي تنطبق على التوالي على يسوع التاريخيّ، على الملائكة، على الولنطينيّين. فالملائكة الذكور («الأحياء») يعتمدون من أجل الولنطيّنيّين الذين هم في حالة «الموت» بسبب وجودهم على هذه الأرض. والمثال هو عماد يسوع: فالمخلِّص يمثّل العنصر الذكر كلَّه. هذا العماد يتمّ في الاسم (الابن، تعبير الألوهة، ديناميّة الآب، بنفما): هكذا تلقّى يسوع، في عماده، الاسمَ في شكل حمامة. وهذا العماد في الاسم، يُتمّ «الفداء» (لفظ ولنطينيّ تقنيّ). كان يسوع أوّل «المفديّين». وهذا «الفداء» أتاح له أن يُفلت من قوى هذا العالم المعادية، وأن يصعد إلى البليروما. رج ١كو ١٥: ٢٩. هو تلميح إلى عادة قديمة أوردها بولس الرسول.

٢- لأنّنا متنا، نحن الذين أدخلَنا الوجودُ على الأرض، إلى حالة الموت. غير أنّ «الذكور» أحياء، لأنّهم لم يشاركوا في الوجود على هذه الأرض.

٣- «إذا كان الموتى لا يقومون، لماذا نتقبَّل العماد»؟ (١كور ١٥: ٢٩). إذًا نقوم «متساوين مع الملائكة»(٥٢)، و«معادين» إلى «الذكور» في الوحدة، أعضاء مع الأعضاء.

٤- ويقولون: «الذين يعتمدون من أجل الموتى»، هم الملائكة الذين يعتمدون من أجلنا. وهكذا نمتلك نحن أيضًا الاسم (= الابن، ٢٦: ١) فلا يوقفُنا الحدّ ولا الصليب(٥٣)، ولا نُمنَع من الدخول في البليروما.

٥- لهذا، في «وضع الأيدي»، يقولون في النهاية: «من أجل الفداء الملائكيّ»(٥٤)، أي من أجل فداء امتلكه الملائكة أيضًا، بحيث إنّ الذي نال «الفداء» يجد نفسه معمَّدًا في الاسم (الإلهيّ) نفسه الذي فيه تعمَّد ملاكُه قبله(٥٥).

٦- في البدء، تعمَّد الملائكة في «فداء» الاسم، الذي نزل على يسوع، في شكل حمامة، وافتداه(٥٦).

---

(٥٢) ισαγγελοι رج لو ٢٠: ٣٦.

(٥٣) يتماهى الصليب مع الحدّ (أو التخر) .το ορο رج ٤٢: ١؛ إيرينه ١/٢: ٤؛ هيبوليت ٦/٣١: ٥. **الغنوصة**، ص ١٥٣-١٥٤.

(٥٤) هي العبارة الأخيرة في طقس تحدَّث عنه إيرينه (١/٢١: ٣) λυτρωσις αγγελικυς

(٥٥) بعد كلام عن عماد الملائكة ويسوع في الاسم، نصل إلى عماد الولنطينيّ والوحدة مع الملائكة. فالولنطينيّ يعتمد في الاسم مثل ملاكه، وبالتالي مثل يسوع. هذا العماد يوحِّد الولنطينيّ مع ملاكه. وفي القيامة، يصبح «الذكر» و«الأنثى» واحدًا، وهكذا نعود إلى حالة البداية. هنا نتذكَّر ما قاله مرقس الساحر حول عماد يسوع والاسم (**الغنوصة**، الفصل العاشر، ص ٣٥٨-٣٨٦). قال: «للاسم المنظور يسوع ستّة حروف، و«المدعوّون» يفهمونه. هو اسم خفيّ وإلهيّ، واحد كثير. لا يمكن التعبير عنه. إلتحف بالبشريّ، باللحم والدمّ، فنزل وصار في متناول إدراكنا.

(٥٦) نال يسوع الفداء في الاسم (الحمامة).

٧- فيسوع احتاج أيضًا إلى «فداء»(٥٧) لئلاّ يحتفظَ به فكر (εννοια) النقص (٢: ١) الذي فيه جُعل، «ويتقدَّم عبر الحكمة» كما يقول تيودوتس.

٢٣)- يسوع البارقليط، ثمرة الإيّونات(٥٨)

١- دعا متشيِّعو ولنطين يسوعَ البارقليط، لأنَّه جاء مليئًا بالإيونات حين خرج من الكلّ (= البليروما).

٢- ترك المسيح الحكمة التي أصدرته ودخل في البليروما، وطلب عونًا من أجل الحكمة التي تركها في الخارج. وإذ توافقت الإيّونات، أصدرِ يسوعُ على أنه البارقليط (المساعد) من أجل «الإيّون الذي تجاوز» (الأمر الإلهيّ).

في صورة البارقليط، صار بولس رسول القيامة:

٣- حالاً بعد حاش (آلام) الربّ، أُرسل هو أيضًا من أجل الكرازة. لهذا كرز بالمخلِّص في هذه أو تلك من وجهاته: وُلد، تألَّم، بسبب أهل الشمال (البسيخيانيّين) لأنَّهم استطاعوا أن يعرفوه على ذاك المستوى فخانوه. ثمّ على المستوى الروحيّ (البنفماتيّ) على أنّه صدر من «الروح القدس» ومن العذراء، كما عرفه ملائكة اليمين.

٢٤)- فيض الروح في الكنيسة كلِّها(٥٩)

١- يقول الولنطينيّون إنّ الروح (بنفما) الذي امتلكه كلُّ واحد من الأنبياء

(٥٧) رج ٣٥: ٢. إنّ يسوع يمتلك «الفداء» من حيث إنّه يخرج من البليروما، ولكنّنا نكون حينئذٍ أمام يسوع الرفيع والمخلّص العلويّ. نتذكَّر هنا تيّارين في المسيحيّة. الأوّل يقول إنّ الآب أقامَ ابنه من الموت. والآخر يقول إنّ المسيح قام. في الأوّل، بدا يسوع رأس الخليقة، رأس الراقدين. وفي الثاني، نرى فيه «ابن الله» في القدرة بقيامته من بين الأموات» (رو ١: ٤).

(٥٨) في ٢٣: ١-٢، ترك يسوع أمَّه الحكمة ودخل في البليروما. ثمّ صلّى المسيح، في «توافق تامّ» مع الإيّونات، فأصدر الإيّوناتُ يسوع ثمرتهم المشتركة، ليمضي إلى مساعدة الحكمة. لهذا دُعيَ «البارقليط». في ٢٣: ٣، بولس هو «صورة» أو «وجه» يسوع المخلِّص. أمّا في ٢٣: ٤-٥، فكلام كليمان حول المختارين الذين ينالون كلُّهم الميراث عينه والكمالَ عينه، أي مشاهدة الله.

(٥٩) كان الروح محفوظًا لبعض الأشخاص في العهد القديم. مع مرور يسوع، أفيض على كلِّ الكنيسة. هذا ما تدلّ عليه الأشفية والنبوءات. هي دعوة من الولنطينيّين لكي يرى المسيحيّون فيهم هذا «الروح» ويتعلَّقوا بتعاليمهم. ذاك هو تعليم الشيع في كلِّ زمان.

بشكل خاصّ من أجل خدمته، هذا الروح انصبَّ على كلٍّ من في الكنيسة. لهذا، تتمّ بواسطة الكنيسة، آيات الروح من أشفية ونبوءات[٦٠].

٢٥)- الكلمة والكلمات[٦١]

١- حدَّد المتشيِّعون لولنطين الملاك، لوغوس تسلّم مهمّة من «الذي هو» ويدعوه الإيّونات أيضًا باسم اللوغوس (الكلمة) ذاته: هم كلمات.

قال تيودوت: حلَّ الرسل محلّ علامات البروج: فكما أنّ الولادة تنظّم بصور البروج هذه، «كذلك الولادة الجديدة» ينظِّمها الرسل[٦٢].

٢٦)- يسوع وغلافه[٦٣]

١- الجزء المنظور من يسوع هو الحكمة وكنيسة الزروع الرفيعة التي التحف بها بواسطة العنصر اللحميّ، كما يقول تيودوت، والجزء اللامنظور هو الاسم الذي هو الابن مونوجانيس.

٢- ثمّ يقول (يسوع): «أنا هو الآب» (يو ١٠: ٧). فيعني بكلامه: «إلى الحدّ الذي أنا فيه، تأتون يا من أنتم من الزرع الرفيع».

٣- وحين يدخل هو أيضًا، يدخل الزرعُ معه في البليروما. «يُجمَع» ويُدخَل في «الباب»[٦٤].

---

(٦٠) في ٢٤: ٢ يردّ كليمان: الروح في العهد القديم، هو هو كما في العهد الجديد على مستوى الإلهام والألوهة. فلا مجال لرذل العهد القديم وربطه بإله سفليّ.

(٦١) تلك هي اللغة الولنطينيّة. الملاك يُدعى λογος. هذا يعني أنّه يشارك في طبيعة اللوغوس، المخلِّص. والإيّونات تُدعى λογοι (صيغة الجمع) أي كلمات. هي شريعة جماعيّة بحيث يحمل الواحد اسم الآخر.

(٦٢) صور الأبراج ζωδιος δεκαδυω (figurines) zodiaque تنظّم ولادة γενησις البشر، والرسل الاثنا عشر الولادة الجديدة. αναγεννησις

(٦٣) يسوع هو الاسم اللامنظور (الخفيّ) وغلافه هو الحكمة، الكنيسة. فالجزء المنظور في يسوع هو غلاف الزرع σπερματα التي تكوِّن الحكمة أو الكنيسة (البنفماتيّة). والقسم اللامنظور هو الاسم. Ονομα ويسوع هو «الباب». θυρα يجمع الزروع ليدخلها في البليروما معه، عابرًا الحدّ والتخم.

(٦٤) في ٢٧، يتحدَّث كليمان عن عظيم الكهنة ودخوله في قدس الأقداس. كذلك تتحرَّر النفس من الجسد فتدخل في عالم الروح.

٢٨)- الولادة الثالثة والرابعة(٦٥)

قال النصّ: «الله يجازي العصاة حتّى الجيل الثالث والجيل الرابع». قال تبّاع باسيليوس: هذا النصّ يعني «تجسّدات جديدة». ويقول تبّاع ولنطين: الأماكن «الثلاثة» تدلّ على الشمال (البسيخيانيّين)، و«الجيل الرابع»، يشير إلى زرعهم الخاصّ. وعبارة «يرحم آلاف» ينطبق على أهل اليمين (أي جماعة ولنطين)(٦٦).

٣- التعليم الولنطينيّ في هذه المقتطفات

أ- في القسم الأوّل

يسوع هو اللوغوس (والمخلِّص العلويّ). ارتدى الزروع (كما بلباس) البنفماتيّة التي أصدرتها الحكمة (صوفيا): هذه الزروع هي المختارون (الولنطينيّون) الذي يُدعَون أيضًا «الكنيسة» («اختيار»)، «بنفما» (روح)، «حكمة». الروح هو الذي أصدر هذه الزروع. أمّا النصّ الأساسيّ فهو: الكنيسة جسد المسيح.

هذه الزروع وضعها اللوغوس المخلِّص في النفس البسيخيانيّة خلال نومها، والنصّ الأساسيّ هو خلق آدم.

(٦٥) هو تفسير ولنطينيّ لنصّ من سفر التثنية ٥: ٩؛ رج عد ١٤: ١٨

(٦٦) في كلِّ هذا القسم تبعنا: مقتطفات تيودوتيّة Extraits de Théodote, p. 52-121 (حاشية ٥). أمّا تيودوت فما استطاع البحّاثة أن يكشفوا سرّه. ما نستطيع أن نعرف عنه، كما يقول عنه كليمان، هو أنّه من المدرسة الشرقيّة A. C. HAMMAN, "Théodote" in *Catholicisme*, t. 14, col 1002-1003. كلّ ما يقول هذا الباحث هو أنّه تلميذ ولنطين.

A. ORBE, "A proposito di Excerpta e Theodoto 54, 24", *Gregorianum*, 41(1960), p. 481-485.

ولاحظنا في إيراد هذه المقتطفات التداخل بين ما يقوله «تيودوت» وما يقوله كليمان في محاولة لتصحيح وإعادة قراءة، على ضوء النصوص الكتابيّة، دون الخضوع لأفكار مسبقة يفترضها الولنطينيّون. كما لاحظنا استعمال إنجيل يوحنّا بشكل كبير.

ورسالة يسوع الذي نزل ملتحفًا بالزروع البنفماتيّة، هو إيقاظ الطبيعة البسيخيانيّة ليجعلها تعي الزرع المختار الذي فيه، وبشكل الشرار البنفماتيّة. نقطة الانطلاق ما قاله يسوع: «ليضئ نوركم أمام الناس».

الإيّونات الأولى في البليروما هم: الآب (والفكر). الابن المونوجانيس (العقل) والحقيقة. الكلمة والحياة (يسوع الآتي من البليروما يكون هكذا المونوجانيس والحقيقة، اللوغوس والحياة).

إنّ «بنفما الغنوصة» (العرفة أو المعرفة الباطنيّة) يعبِّر عن ذاته في غنوصة (الابن، كاشف الآب). مُزج يسوعُ مع «بنفما الحبّ»، فما هو المونوجانيس (الابن الوحيد) في المعنى الحصريّ للكلمة، بل هو «مثل المونوجانيس».

والباري (صانع العالم) عمل أعمالاً قابلة للفساد (هيوليّة)، لأنَّه فقط «صورة» (المونوجانيس)، ومسيحُ الإنجيل صنع «قيامات» ليرسم «القيامة البنفماتيّة».

وماذا عن عماد يسوع؟ الحمامة (بنفما فكر الآب) نزلت على لحم (بنفماتي) اللوغوس، على بشريّته. فالحمامة التي هي الاسم تنزل عليه لكي «تفتديه». ويسوع المخلِّص الذي هو ثمرة البليروما (في توافق الإيّونات)، أُصدر بناء على صلاة المسيح: هذا المسيح أصدرته الحكمة خارج البليروما، ولكنّها تركته لكي تصعد إلى البليروما. ويسوع هو البارقليط الذي يكون بولس صورة عنه، لأنَّه رسول القيامة البنفماتيّة كما نقرأ في الرسالة الأولى إلى الكورنثيّين.

ب- في المقتطفات كلّها

نشير هنا إلى أنّ كليمان قدَّم مقتطفات جُعلت في أربعة أقسام. في الأوّل (١-٢٨) كلام عن يسوع، عن الزروع، عن العلاقات بين الزروع الولنطينيّة والملائكة. وينطلق القسم الثاني (٢٩-٤٢) من الزوجين الأوّلين، يمرّ في «صوفيا»، المسيح، الباري، يسوع وملائكته، ليصل إلى صعود الزروع مع يسوع، في رمز الصليب. في القسم الثالث (٤٣-٦٥) نتعرَّف إلى تكوين الحكمة

بيد يسوع وملائكته،، إلى تحوُّل الأهواء إلى جواهر البسيخيائيّة (هيوليّة)، إلى عمل الخلق لدى الباري، اللاعارف، وخلق الإنسان. والقسم الرابع والأخير (٦٦–٨٦) يتوقَّف عند تحوُّل الزرع الأنثويّ، عند المصير وقتل الملائكة الأخيار والأشرار، عند ولادة الإنسان في إطار الكواكب والولادة الجديدة بيد المخلِّص، عند المعموديّة والمعرفة وتقديس العناصر. وفي النهاية، يكون النصرُ على جميع القوى.

نقطة الانطلاق هي البليروما، الملء، الكلّ، والإيّونات كلّها. في الأصل «نكتشف» الآب في طبيعته «المتينة»، الثابتة (٣٠: ١). ومن يكشفه؟ الابن (٧: ١)، من خلال «الغنوصة»، المعرفة. ولكنّ يسوع في نزوله، خسر صفةَ «الابن الوحيد» في المعنى المطلق، وصار مثل الابن الوحيد، في خطّ شرح يو ١: ١٤: «أظهر مجده كمجد ابن وحيد».

والحكمة أصدرت المسيح، الذي سيترك الحكمة ويعود إلى البليروما. وبعد ذلك، يُصعد الحكمة معه (٢٣: ٢). ونقرأ في ٤٤: ١: «حين شاهدَتْه (= المخلِّص) الحكمةُ شبيهًا بالنور الذي تركها، عرفت وركضت إليه. ابتهجت وسجدت له».

والمسيح مسيحان. واحدٌ آتٍ من العلاء، كثمرة البليروما (٢٣: ٢) بعد أن توافقت إيّوناته، أو توافق الملءُ مع عمل المسيح (٤١: ٢)، وواحد جاء إلى الأرض. بالنسبة إلى البنفماتيّين (الروحيّين) هو من صدَرَ من الروح القدس ومن مريم العذراء. وبالنسبة إلى البسيخيانيّين هو مولود وعرضة للآلام. نلاحظ هنا كيف قُسم يسوع في طبيعتيه. أهل الروح يرون فيه ابن الله. وأهل «البسيخي» يرون فيه ابن الإنسان. فلا مكان للجمع بين الاثنين في وحدانيّة الأقنوم.

جاء المسيح من أجل مهمّة محدَّدة في العالم: يكوِّن الزرع الولنطينيّ. نقرأ في ٦٨: «حين كوَّننا المخلِّص صرنا أبناء الإنسان وخدر العرس (البليروما). اقتُلعنا من الأهواء، من القتال مع القوى، ودُمجنا في الحياة عبر ولادة جديدة: «نزل المخلِّص لكي يقتلعنا من الأهواء، ويتبنّانا في ذاته» (٦٧: ٤). وإذ يعتبر هذا التعليم أنّ

المخلِّص يحطِّم القدر والحتميّة، يعلن في كلامه عن قتال مع القوى: «ينتزعنا الربّ من هذا النزاع، ومن قتال القوى، فيحمل إلينا السلام، ويأخذنا من جهة معركة القوى والملائكة، حيث يكون البعضُ معنا والآخرون ضدّنا. البعض كخدّام الله، يصبحون جنودًا يقاتلون معنا. والآخرون يشبهون «اللصوص» (٧٢: ١–٢). ويتواصل الكلام على مستوى الولادة والولادة الجديدة: «ذاك الذي تلده الأمّ، يُقاد إلى الموت وفي العالم. وذاك الذي يلده المسيح، يتحوّل إلى الحياة. وهؤلاء المولودون يموتون عن العالم ويحيون لله، لكي يدمَر الموت بالموت، والفساد بالقيامة. لهجمات سائر القوى كلّها. فبالأسماء الثلاثة، يتخلَّص من مثلّث الفساد: ذاك الذي لبس صورة الأرضيّ، يلبس حينئذٍ صورة السماويّ (١كو ١٥: ٤٩)[٦٧].

كلّ هذا يقودنا إلى الكلام عن المعموديّة التي تُخرجنا من حتميّة ثقيلة على حياتنا (٧٤: ٢؛ ٧٥: ١). فالمسيح الذي حطّم ترتيب الكواكب، أمّن لنا النصر على قوى شرّيرة تستعمل هذه الكواكب (٧٢: ١؛ ٧٦: ٢: ٣). يبقى علينا أن «نلبس سلاح الربّ» لنقاوم «سهام العدوّ المحرقة» (٨٥: ٣). وهكذا يكون المسيح مثالنا.

رسميًّا، نرتبط بالمسيح بواسطة العماد (٧٦: ١؛ ٧٧: ١). هذه النقطة الآتية من الإيمان المسيحيّ، احتفظ بها تيودوت. وتُجمَع نتائجُ هذا العماد في وجهتين كبيرتين. الأولى، انفصال عن قوى الشرّ. ذاك هو الوجه السلبيّ. والوجه الإيجابيّ، اتّحاد بالمسيح وبحياته.

فالقوى تحارب الإنسان لكي تستعبده. ولكنّ المسيح ينجيّه. ذاك هو تعليم بولس الرسول (أف ٦: ١٢) بعد أن تبدَّلت طبيعته بالأسترولوجيا، وصار بشكل

(٦٧) ٨٠: ١–٣. هو يلتقي مع ٧٦: ٣: «أوصى المخلّص رسله: "امضوا واكرزوا. فمن آمن عمِّدوه باسم الآب والابن والروح القدس" (مر ١٦: ١٥؛ مت ٢٨: ١٩). ففي (الأقانيم الثلاثة) نُولَد من جديد ونتفوّق على سائر القوى كلّها». نشير إلى أنّ هذه الولادة الجديدة تكمل في الغنوصة، كما في ٨٠: ٢: «ليس الاغتسال وحده، بل الغنوصة أيضًا».

رؤية ترد في عدد من المنحولات. والمعموديّة التي توحِّدنا بالمسيح، تحذِّرنا من قبضة الشياطين. فالمعمَّد يدوس برجليه «العقارب والحيات...» (لو ١٠: ١٩) التي هي القوى الشّريرة (٧٦: ٢). هي «وحوش» تجربة يسوع في البرّيّة مع «الأركون» (الرئيس، ٨٥: ١). والمزمور تحدَّث عن شدق الأسد (٨٤). يعتمد الإنسان باسم الثالوث، فيتفوَّق على سائر القوى (٧٦: ٤). حينئذٍ يصبح سيّد (كيريوس) الأرواح النجسة التي ترتجف خوفًا أمامه (٧٧: ٣). ينطبع بالختم، بفضل الاسم الثالوثيّ، فيكون في مأمن من كلِّ قوّة أخرى (٨٠: ٣). يغطّيه سلاح الربّ، فيردّ سهام الشيطان (٨٥: ٣). وهو لا ينسى أنَّه «كفَرَ» بهذه القوى (٧٧: ١) حين نال العماد.

بعد طرد الشرّ الذي يقابل «الشفاء من الأهواء» في العالم الغنوصيّ، نكتشف الوجه الإيجابيّ: ننفتح على حياة جديدة، نُولَد من جديد، ندخل في حياة المسيح اللوغوس. و«التكوين» الغنوصيّ يحوِّل الزرع الأنثى إلى عنصر ذكر، إلى لوغوس. وهكذا يحمل المؤمن في داخله «سمة المسيح» (أي «اسم الله») و«صورة الروح»، (التشبُّه بالبنفما): الصورة البنفماتيّة تنطبع باللوغوس. هي ولادة تحوّل الزرع المؤنَّث، الذي لا شكل له، ولا حدود ولا وجه، إلى زرع «مكوَّن» كامل، أي عنصر ذكر. والروح الذي بدأ وألغى قوى الشرّ، يعمل في عناصر المعموديّة فيقدِّسها. وكما أنّه يفعل في «الخبز» وفي «الزيت»، بحيث يصبح هذان العنصران «ديناميّة» بقوّة الاسم، كذلك يفعل في المياه التي تصبح ماءً مطهِّرًا من الشياطين وعمادًا، وذلك بالتقديس. وهكذا يصوِّر المعمَّد بالدرهم الذي حملوه إلى الربّ (مت ٢٢: ٢٠). ما سأل يسوع من أين جاء، بل رأى فيه صورة مطبوعة. والمؤمن يحمل طابع المسيح (٨٦: ٣) أي اسم الله. ويحمل أيضًا صورة هي الروح.

وهكذا تنتهي الدورة. انطلقت من البليروما، فانحدرت في العالم، وفي النهاية يعود المؤمن (الولنطينيّ) إلى البليروما، إلى الملء، ساعة يصبح المسيح كلاً في الكلّ.

الخاتمة

قدَّم لنا كليمان الإسكندرانيّ مقتطفات من تيودوت، عرّفتنا بعض الشيء إلى تعليم ولنطين. وبعده أورد أوريجان تفسير هرقليون لإنجيل يوحنّا. وهكذا تعرَّفنا إلى تيّارات فكريّة ضاعت مجمل آثارها في الكنيسة الأولى، لأنّها اعتُبرت خارجة عن التعليم المستقيم. ذاك كان وضع التعليم الغنوصيّ، الذي لم يبقَ في اليونانيّة، لغته الأصليّة، بل انتقل إلى القبطيّة واختفى في رمال نجع حمادي. غير أنّ هذه النصوص مهمّة، لا لأنَّها تضيف شيئًا على الأسفار القانونيّة، بل لأنَّها تعطينا فكرة عن تيّار فلسفيّ حاول أن يأخذ الديانة الجديدة إلى جانبه. كما تصوِّر عادات وتقاليد في حياة الكنيسة الأولى.

وإذا أردنا أن نقول كلمة في هذه «المقتطفات التيودوتيّة» بشكل خاصّ، وفي الغنوصيّة بشكل عامّ، نحدّدها انطلاقًا من فكر تلفيقيّ. ونفهمها تحويل المسيحيّة إلى تيّار هلّينيّ. لقد صارت الديانة الجديدة فلسفة دينيّة. قيل في الغنوصيّة إنّها فكر دينيّ وُلد في الإسكندريّة ساعة اتّصلت المسيحيّة بالعالمين اليهوديّ والوثنيّ. عاد أفلاطون إلى الظهور عبر فيلون فيلسوف الإسكندريّة. بعد ذلك، لا نعجب إن سبق الغنوصيّون الكنيسة الرسميّة، ففسّروا الكتب المقدَّسة في خطِّهم الفكريّ، وألبسوا التعليم الجديد لباسًا شوّهه في النهاية. وإن كان من غموض في هذه النصوص الغنوصيّة، فلأنَّها أرادت أن تجمع فكر الهند والتغلُّب على الأهواء، إلى فلسفة أفلاطون ونظرة الرواقيّين إلى الكون والفلك، في إطار يبدو مسيحيًّا في الخارج، ولكنّه ابتعد عن الدين القويم فنُبذ وكاد يضيع. يبقى أنّ الغنوصيّة، تلك المعرفة الباطنيّة، هي محطّة في تاريخ الفكر البشريّ. هي لم تمت، بل عرفت أكثر من قيامة على مرّ العصور في عدد من التيّارات الدينيّة، ما زالت حاضرة حتّى اليوم، وهي تعتبر أنّها تمتلك الحقيقة الأخيرة تجاه كنائس تتوقَّف عند مقاربات خارجيّة ومحدودة. إنّها ديانة القلب التي تساعدنا على ممارسة ديانتنا، وتدعونا للالتحاق بمن سبقنا في البحث عن معرفة خفيّة محفوظة للنخبة. فإن كنتَ من النخبة تلتحق بها!!



القسم الثالث

فـي نجـع حمـادي

نقدّم في هذا القسم مقدمة وكتابين:

١ – مكتبة نجع حمادي والعالم الغنوصي

٢ – إنجيل مريم. قدّم تعليمًا في المعرفة الحقّة، حيث تفوّقت الأنثى (مريم) على الرجل (سمعان بطرس)

٣ – إنجيل يهوذا. شدّد على معرفة باطنية تتعارض مع المعرفة التي حملتها إلينا الأناجيل.

الفصل السادس

مكتبة نجع حمّادي والعالم الغنوصيّ

حدثان هامّان عرفتهما الدراسات البيبليّة والبدايات المسيحيّة في نهاية النصف الأوّل من القرن العشرين، اكتشاف مخطوطات قمران على بعد ١٢ كلم إلى الشمال من أريحا، في ربيع سنة ١٩٤٧. وفي أيلول سنة ١٩٤٧، بدأت التقارير عن أبحاث يقوم بها جان دوريس[١] وامتدَّت حتّى كانون الثاني ١٩٥٠. هي زيارات إلى نجع حماديّ، تلك القرية التي تبعد ١٢٧ كلم إلى شمال الأقصر (الكرنك القديم)[٢]. كانت زيارات إلى نجع حمّادي من قبل أناس اهتمّوا بالكوديسات[٣] أو المجموعات، تنظّمت لأخذ العلم بما في هذه المخطوطات، بحسب ما كتب جان دوريس إلى أكادميّة بلجيكا الملكيّة[٤]. وفي سنة ١٩٥٩، زار روبرت نورث[٥] الموقع، ولكنّه ما أضاف الكثير على المعلومات الأولى. وزيارات ٣ آذار و٢٣ نيسان سنة ١٩٦٦، حملت أمورًا بسيطة[٦]. وجاءت حرب الستّة أيّام، فمنعت الباحثين من زيارة الأماكن من حزيران ١٩٦٧ إلى بداية

---

(١) Jean Doresse

(٢) من أجل نظرة أولى M. de MERODE, "Nag Hammadi" in *Dict. Enc. de la Bible*, Brepols, 1987 (=DEB), p. 885-888.

(٣) Codex, Codices ونقول في العربيّة: كودكس، كوديسات.

(٤) J. DORESSE, "Sur les traces des papyrus gnostiques: Recherches à Chénoboskion", Académie royale de Belgique: *Bulletin de la Classe des Lettres et des Sciences morales et politiques*, 5ème Série, 36(1950), p. 433.

(٥) R. NORTH, "Report from Palestine" especially the section "Is Chenoboskion Worth Visiting?" *Catholic Biblical Quarterly*, 21(1959), p. 494.

(٦) J. M. ROBINSON, *American Schools of Oriental Research: Newsletter 4* for 1965-1966(April 1966). Pour ces informations, voir J. M. ROBINSON, "From the cliff to Cairo" in *Colloque international sur les textes de Nag Hammadi* (Québec 22-25 aout 1968) édité par B. BARC, Peeters, 1981, p. 21-58 (ici p. 21-22) (cite CITNH)

تشرين الثاني ١٩٧٤. تواصلت الزيارات وقدّمت معلومات جديدة عن هذا الكنز الأدبيّ الثمين. سنة ١٩٨٧، زرتُ الصعيد المصريّ، وألقيت حديثًا في نجع حمّادي. وأوّل ما طلبتُ أن نرى موقع برديّات نجع حمّادي. فقيل لي: هي رمال جُعلت عليها محطّة تحويل كهربائيّة. أمّا المخطوطات فتركت المكان.

كُشفت المخطوطات في سنة ١٩٤٥. ولم تصبح في متناول الدارسين إلاّ بعد عشر سنوات أي سنة ١٩٥٦. وراح العمل على قدم وساق مع المؤتمرات والنصوص المنشورة. كما انطلقت الدراسات لتعرف علاقات التيّارات الغنوصيّة مع التيّارات الدينيّة في القرون الأولى: ماذا أخذت من المسيحيّة، من العالم الوثنيّ؟ ما كان موقعها بالنسبة إلى الفكر اليهوديّ؟ ونبدأ بالحديث عن تاريخ الاكتشاف.

١- تاريخ نجع حمّادي

عُرف تاريخ نجع حمّادي والمخطوطات، بعد ثلاثين سنة على الاكتشاف. قبِلَ محمَّد علي السمّان أن يروي ما حصل مع الظروف التي رافقت العثور على تلك الجرّة ذات اللون الأحمر، وطولها متر واحد: مضى ليبحث عن سماد طبيعيّ، السبخ، في جبل قريب من قريته، فخرج صدفة من تحت التراب، تلك الجرّة. أراد أن يكسرها في البداية، ولكنَّه تردَّد. فقد يكون فيها روح شرّير، بعض السحر. ولكنَّه في النهاية، كسرها علَّه يجد فيها بعض الذهب. فما وجد سوى دزّينة من الكتب المجلّدة في غلافات جلد بنّي. فحملها إلى بيته، في القصر.

ما اهتمّ محمَّد لما فيها، فرماها على تلّة من القشّ يستعملها لإشعال النار من أجل الحاجات البيتيّة. واستعملت بعضَها أمُّه، أمُّ أحمد. ولكن في إطار جوّ من الأخذ بالثأر، وجد محمَّد نفسه في هذا المناخ. قُتل أبوه، فقتل هو وإخوته، بعد بضعة أسابيع أحمد إسماعيل، القاتل، حين مرَّ في المنطقة. فخاف محمَّد من ملاحقات الشرطة، فسلَّم «الكنز» إلى القمُّص باسيليوس عبد المسيح (توفّي سنة ١٩٧٠).

دُهش القمُّص بأصالة هذه المخطوطات، فأرسل نسخة منها إلى المؤرِّخ المصري راغب، وهذا بدوره اكتشف قيمتها الكبيرة، فأوصلها إلى القاهرة.

وهناك باعها في السوق السوداء. ولكن ما عتمت الحكومة المصريّة أن لاحظت الأمر، فمنعت تبعثر المخطوطات وهروبها خارج الحدود. جُعلت هذه الوثائق في المتحف القبطيّ في القاهرة، وانتظرت بعض الوقت لكي يعرف بها العلماء والباحثون. غير أنَّ واحدًا من هذه الكوديسات، واسمه اليوم كودكس يونغ، على اسم ذاك الذي اشتراه، أفلت من أرضه وبيع في الولايات المتَّحدة، إلى أفراد، جامعي مخطوطات. وسمع مؤرِّخ هولنديّ جيل كويسبال(٧) الذي كانت لي مناسبة اللقاء به، في مؤتمر أوكسفورد حول آباء الكنيسة، سنة ١٩٧٩. سمع بوجود هذه المخطوطات السرّيّة وعزم على شرائها بواسطة مؤسّسة يونغ، في زوريخ، من أعمال سويسرا.

تفحَّص كويسبال هذا الكودكس، ولاحظ سريعًا أنَّ بعض الوريقات فُقدت. فانطلق إلى مصر لكي يجمعها. مضى إلى المتحف القبطيّ، في القاهرة، سنة ١٩٥٥، ليأخذ صورًا عن هذه النصوص. عند ذلك أدرك القيمة الحقيقيّة لهذه الصفحات التي في يده. هو كودكس من ٥٢ مخطوطًا كُشف قبل ذاك الوقت بعشر سنوات، في نجع حمّادي.

كما عرف هذا المؤرِّخ من محمَّد علي السمّان أنَّ بعض الصفحات ضاعت، أُحرقت، أو رُميت أرضًا. وبالرغم من ذلك، أحسَّ أنَّه وضع يده على كنز عجيب: ترجمات قبطيّة لنصوص فلسفيّة ودينيّة قديمة. دوِّنت في الأصل، في اليونانيّة، ووصلت أجزاء منها في بداية القرن العشرين.

سنة ١٩٥٢، وصل إلى المتحف القبطيّ في القاهرة، ١٢ كودكسًا ونصف الكودكس. وهناك جزء كبير محفوظ في صندوق مقفَل في زوريخ ولكن كيف حطَّت بها الرحال؟ سلِّم القسمُ الأوَّل إلى القمّص باسيليوس عبد المسيح. فأرسله

(٧) Gilles Quispel

راغب إلى المتحف القبطيّ. وهناك درسه العالم في الكتابات المصريّة، جان دوريس. عندئذٍ أطلّت الحاجة إلى البحث عن القسم الثاني. هذا انتقل إلى يدي أحد الخارجين على القانون، بهيج عليّ، من قرية السمّان. باعه إلى فوسيون تانو[٨]، وهو طالب الأشياء القديمة. حاولت الحكومة المصريّة أن تشتريه، فقال تانو إنَّه في يد جامعة آثار إيطاليّة، الآنسة داتاري[٩]، المقيمة في العاصمة المصريّة. وحين أعلنت المخطوطات ثروة وطنيّة، عادت مجموعة دواتاري إلى المتحف القبطيّ في القاهرة[١٠]. والقسم الأخير بيع في السوق السوداء. اشتراه ألبار عيد الباحث عن الآثار. رفض أن يسلِّم الكودكس الأوّل إلى سلطات بلاده، وأخرجه من مصر. ما استطاع أن يبيعه في الولايات المتّحدة، فجعله في صندوق خاصّ في بلجيكا. بعد موته، واصلت امرأته بيع الكتب إلى أن وصل إلى يد جيل كويسبال فاقتناه بواسطة مؤسَّسة يونغ في زوريخ، فكان هديّة إلى كارل-غوستاف يونغ، المحلِّل النفسيّ، في عيد ميلاده.

كانت «الجرّة» التي ضمَّت هذه المخطوطات، عند سفح جبل الطريق، قرب دير قديم، أسَّسه باخوم، أبو الرهبان (فباوو، اليوم، فاو جبليّ) في امتداد قرية القصر السيّد (كينوبوسكيون[١١]، الدير الصغير) في قضاء نجع حمّادي.

وتاريخ المخطوطات يعود إلى القسم الأوَّل من القرن الرابع. وطُرح السؤال حول العلاقة الدقيقة بين رهبان الدير ومخطوطات نجع حمّادي. كلّ ما نعرفه هو أن تيودور الذي خلف باخوم، أمر بترجمة رسالة العيد لأثناز سنة ٣٦٧، إلى اللغة القبطيّة. هذه الرسالة[١٢] (رقم ٣٩) كانت محطّة حاسمة في قانون العهد الجديد،

---

(٨) Phocion Tano

(٩) Mademoiselle Dattari

(١٠) من أجل خبر موسَّع، رج .*CITNH*, p. 28ss

(١١) Chénoboskion راجع قنّوبين في لبنان.

(١٢) بولس الفغالي، «الكنيسة المصريّة في رسائل العيد لأثناسيوس الإسكندرانيّ»، **المشرق**، ٧٦(٢٠٠٢)، ص ٤١٧-٤٤٢.

فشجبت كتب الهرطقة. عندئذٍ دُمِّرت الكتب الغنوصيّة. فخبِّئت مخطوطات نجع حمّادي في ذلك الوقت. وهي تعود في أصلها إلى القرن الثاني، وبعضها إلى القرن الثالث.

دُوِّنت هذه المخطوطات في اللغة القبطيّة، في اللهجة الصعيديّة، مع لطائف أخميميّة. وحُفظت بشكل مدهش، بحيث إنّه لم يتلف جزئيًّا سوى ٢٠٠ صفحة من الصفحات الألف التي تؤلِّف النصوص كلَّها. ولفظ «مكتبة» يوافق أكثر ما يوافق للدلالة على هذه الكوديسات. فنحن أمام مجموعة من المؤلَّفات، أُعدَّت على ما يبدو، للاستعمال في الجماعة. نُسخت ونُسخت بعد، فانتقلت من مركز إلى مركز، كما كان الأمرُ في القديم. وترك أحدُ الناسخين هذه الحاشية الصغيرة، بين نصّين، في الكودكس السادس: «ذاك هو المقال الأوّل الذي كتبتُ (أو: نسختُ). وهناك مقالات عديدة وصلت إليَّ، ولكنّني ما نسختُها، لأنّني ظننتُ أنّها وصلت إليك». وبعض هذه المؤلَّفات بعددها الخمسة والأربعين، التي تتضمَّنها الكوديسات الثلاثة عشر، توجَد في نسختين، بل في ثلاثة، تطول أو تقصر بحسب النسّاخ.

إن كانت النصوص الأصليّة أُلِّفت في اليونانيّة، في النصف الثاني من القرن الثاني، ونسخت في القرن الرابع، فنحن نجد أمرًا فريدًا في «كرتون» جلدة الكودكس السابع: وثائق إداريّة تعود إلى سنة ٣٣٣–٣٤٨.

حاول بعضهم أن يقارب بين الجماعة «الغنوصيّة» صاحبة هذه الكتب، وبين الجماعات المسيحيّة القريبة من فباوو أو خناسق، حيث اعتاد باخوم أن يجتذب الجموع. هذا ولاسيّما أنّنا وجدنا في جلدة الكودكس السابع جزءًا من رسالة مُوجَّهة إلى أبّا باخوم من فباوو. وفي جلدة الكودكس الأوّل، كانت وثيقة تذكر اسم الدير(١٣). ويبدو أنّ امتداد الرهبنة الباخوميّة على منطقة الصعيد، جعل وثائق

(١٣) Chenobios [keia] et Dios [polis] parva

نجع حمّادي في خطر، وهي بعيدة عن التعليم القويم. فخبِّئت حوالي القرن الخامس.

٢- المجموعات الغنوصيّة

دُرست مخطوطات نجع حمّادي، ونُشرت في الإنكليزيّة والألمانيّة والفرنسيّة... ولا يزال العمل جاريًا في دراستها، ولاسيّما عبر المؤتمرات وأوّلها في مسّينه، في إيطاليا[١٤]. ثمّ في جامعة لافال (كيباك في كندا). وهكذا تبيَّن أنّها السلسلة الأخيرة من النصوص الغنوصيّة. هذا يعني أنّ هناك مجموعات سبقتها. وكان مؤتمر ثالث في لوفان الجديدة (١١-١٤ آذار ١٩٨٠). نُشرت أعماله سنة ١٩٨٢، بعنوان: الغنوصيّة والعالم الهلّنستيّ[١٥]. وتتوالى المؤتمرات إلى أيّامنا[١٦].

---

(١٤) A. ORBE (ed), *The Origins of Gnosticism*, Leyde, 1965; S. PETREMENT, "Le Colloque de Messine et le problème du gnosticisme" in *Revue de Métaphysique et de Morale*, n. 72, 1967.
يبدو أنّ الوثيقة الأخيرة في حوار مسّينه، أدخلت غموضًا وبلبلة حول أصول الغنوصيّة. فقد مُزجت بظواهر أخرى قريبة منه ولكنّها مميَّزة عنه. ونما خطر الغموض حين اكتشف الباحثون اهتمام الغنوصيّة بالهرماسيّة (نسبة إلى الإله هرمس، تعليم خفيّ مغلق إغلاقًا تامًّا). ويُذكر في هذا المجال Hermès Trismegiste الذي يتضمّن عددًا من النصوص المغلقة على العامّة، لا على المتدرِّجين. أمّا الاسم فيعني تموت المعظّم ثلاث مرّات. نُسب إليه أدبٌ فلسفيّ Thot le trois fois grand ودينيّ يعود إلى العالمين المصريّ واليونانيّ، ومقالات أسترولوجيّة وسحريّة وخيمياويّة. Alchimiste رج A. J. FESTUGIERE, *La révélation d'Hermès Trismégiste*, Texte établi et traduit, Paris, 1954-1960. Voir P. HADOT, "Le Gnosticisme" in *Enc Universalis*, t. 10, p. 535-539; ici p. 538.

(١٥) حاشية ٦، CITNH نظَّم هذا اللقاء مختبرُ التاريخ الدينيّ في جامعة اللاهوت، في لوفان، فكان خاتمة شهر التقى فيه الباحثون الكنديّون والأوروبيّون في مشروع كنديّ لنشر مكتبة نجع حمّادي القبطيّة.

(١٦) نذكر سنة ٢٠٠٣، المؤتمر السابع Etudes Canadiennes en Etudes religieuses. Regards canadiens et brésiliens sur les textes de Nag Hammadi وسنة ٢٠٠٤ المؤتمر الثاني الدوليّ «إرث وحضارة» Les papyrus coptes de Nag Hammadi, un patrimoine culturel et religieux oublié. Patrimonio y Cultura نشير إلى لائحة بالدراسات. بدأت منذ سنة ١٩٤٨. الجزء الأوّل في لايدن سنة ١٩٧١ يتضمّن سنة ١٩٤٨-١٩٦٩. ثمّ الجزء الثاني، يضمّ سنة ١٩٧٠-١٩٨٢ ويتواصل العمل في مجلّة *Novum Testamentum*.

* المجموعة الأولى نجدها في لندن. في المتحف البريطانيّ[١٧] عنوان النصّ: **الإيمان الحكمة**. هو عنوان رقٍّ من ١٧٨ وريقة (٣٥٦ صفحة) اقتناه حوالي سنة ١٧٥٠ عالم[١٨] لدى مكتبة في لندن. تضمّن أربعة أقسام. في القسم الأوّل (ص ١–١١٤أ) حوارات بين يسوع ومريم المجدليّة والتلاميذ، في إطار تفسير **مزامير داود وموشّحات سليمان** بالنظر إلى سقوط الحكمة (سوفيا) وتوبتها. أمّا سوفيا فهي كنه[١٩] من عالم الإيّونات الذي سقط من الملء (بليروما) إلى هذا العالم. ويتواصل الحوار في القسم الثاني، فيعالج (١١٥أ– ٢٣٣أ) تخليص سوفيا ونتائج هذا التخليص حول طبيعة الخطيئة والتوبة، انطلاقًا من تفاسير لأقوال (لوغيا)[٢٠] يسوع. وانطبعت الحوارات في القسم الأخير بطابع إسكاتولوجيّ واضح جدًّا: كشف يسوع هنا أسرار الكون الكواكبيّ، أورد الأسماء التي لا توصف: أب الأنوار، الإيّونات. رتّب الطقوس التعزيميّة التي تتيح للتلاميذ بأن يقتنوا الحكمة.

* المجموعة الثانية في أوكسفورد[٢١]. كشفها في مصر، في منتصف القرن الثامن عشر، رحّالة من إيكوسا، اسمه جامس بروتس[٢٢]. هي ناقصة. وفي حالة يُرثى لها. تتضمّن مؤلّفين اثنين.

---

(١٧) العنوان: Br. Mus Addit 5114 pistis sophia

(١٨) A. Askew من هنا الاسم العلميّ .Codex Askewianus نُقل إلى الفرنسيّة وطُبع سنة ١٨٩٥ E. AMÉLINEAU, *La Pistis Sophia*, وأعيدت طباعته في Editions Arché سنة ١٩٧٦
Voir M. TARDIEU, *Introduction à la littérature gnostique*, t. I, Paris, 1986, p. 65-82.

(١٩) Entité: واقع مجرَّد يتصوَّره العقل. ثمّ éon هي كلمة يونانيّة αιων: دهر، حافظنا عليها في العربيّة. لدى النيوأفلاطونيّين ولدى الغنوصيّين، الإيّون قوّة أزليّة تصدر عن الكائن الإلهيّ فتمكّنه من العمل في الأشياء. ثمّ plérome من اليونانيّة πληρωμα هو إلهيّ في كثرته ووحدته. يشتمل الكائنات اللامنظورة والمتسامية. هو مصدرها، وغاية عودتها إلى موضع الراحة، إلى حالة الخلاص.

(٢٠) Logion (sing). Logia (plur.) هي أقوال الربّ التي تتضمّن لطائف الوحي والمواعيد (أع ٧: ٣٨؛ روم ٣: ٢؛ عب ٥: ٢). تحدّث أوسابيوس في **التاريخ الكنسيّ** (٣/٣٩: ١٥) عن شرح لأقوال الربّ قام به بابياس.

(٢١) LGQ Oxford Bodl. Bruc. TARDIEU, Introd., p. 83-97.a

(٢٢) James Bruce. Ecossais.

– **كتاب المقال التدرُّجيّ الكبير**. يشتمل وصفات وكلمات عبور تساعدُ المختار على عبور عوالم الكواكب. انطلق فيها الكاتب من تفاسير رسوم تخطيطيّة، وأسماء سحريّة، وتمازج مجموعات مصوِّتيّة، فحاول أن ينسخ هندسة المدى الإلهيّ ومصوِّتيَّته.

– **الطوبوغرافيا السماويّة**. هذا المؤلَّف الذي يرسم الأماكن، والذي فقد بداية النصّ ونهايته، جاء قريبًا من رؤى مدرسة أفلوطين التي عاصرها. قدَّم سلسلة متواصلة من أدعية ليتورجيّة، يعرض خلالها تراتبيّة («أعماق»). المبدأ الأوَّل، الذي يصوَّر موجودًا ولاموجودًا، هو أبعد من الجواهر وينبوع الجواهر: ناكرٌ لكلِّ مقولة قرابة وفكر ولغة وعدد. وفي الوقت عينه، يقال إنَّه أب عقل، بارئ أوَّل وبارئ ثانٍ. هو في الوقت عينه، خارج السلسلات التي تصدر عنه، وداخلها، لأنّ هو الذي يؤسِّسها ويحرِّكها، ويكتنزها. ولأنَّها من ذاته «إيمان ورجاء، حبّ وحقيقة»[٢٣].

* المجموعة الثالثة، في برلين[٢٤]. اقتنى وثيقة برلين سنة ١٨٩٦، كارل شميدت، في القاهرة. وهي تتضمَّن ثلاثة مؤلَّفات.

– **الإنجيل بحسب مريم**. هو تفسير وتوسُّع في بعض الفرائض الإنجيليّة. وُجدت أجزاء من الأصل اليونانيّ في برديّة ريلاندس ٤٦٣.

– **كتاب الأسرار (كتاب) يوحنّا**. يقدِّم هذا المؤلَّف عرضًا كاملاً للتعليم الغنوصيّ: العالم العلويّ (الأب، الأمّ، الابن). العالم السفليّ (الباري، الدوائر،

(٢٣) نشر C. SCHMIDT نصوص أوكسفورد ولندن (برلين ١٨٩٢، كوبنهاغن ١٩٢٥). وجمع في كتاب واحد ترجمته، لايبزيغ ١٩٠٥. وجاءت لطبعة الثالثة في .Berlin, 1962 بيد W. C. TILL,

(٢٤) Berlin, P. BERON, 8502

نُشرت برديّة برلين وترجمت بيد W. C. TILL في برلين سنة ١٩٥٥. وفي طبعة ثانية سنة ١٩٧٢، بيد. H. M. SCHENKE وكانت طبعة فرنسيّة بيد M. TARDIEU الجزء الأوَّل، *Sources Gnostiques et Manichéennes*. Voir R. باريس، ١٩٨٤، في مجموعة KUNTZMANN et J.-D. DUBOIS, Nag Hammadi, Evangile selon Thomas, Textes gnostiques aux origins du Christianisme, *Cahiers Evangiles*, suppl. au n. 58, Paris, 1987.

جسم الإنسان). المجازاة والعودة. وُجدت من هذا المؤلّف ثلاثةُ نسخات أخرى في وثائق نجع حمّادي: الكودكس ٣: ١ (قريب من نصّ برلين). الكودكس ٢: ١ والكودكس ٤: ١ (هما نسختان موسّعتان).

– **حكمة يسوع.** كيَّف هذا المؤلَّف رسالة أوغنوستس (كودكس ٣: ٣؛ ٥: ١) والفنّ الأدبيّ للإيحاءات في أسلوب مباشر. وُجد جزء من الأصل اليونانيّ لهذا النصّ في برديّة بهلنسة (١٠٨١). وفي بردية نجع حمّادي (٣: ٤)، وُجدت نسخة قبطيّة ثانية.

– **عمل بطرس.** تورد هذه الوثيقة خبرًا شعبيًّا حول كرازة الرسول: أفلتت ابنة الرسول (بمرض الفالج) من يد طالب يدها، الذي اهتدى إلى الإيمان ومات.

* مجموعة القاهرة الآتية من نجع حمّادي[٢٥] تتضمّن نصوصًا عديدة، جدّ مهمّة من أجل تاريخ المسيحيّة الأولى والفلسفة. نذكر بعضًا منها فنعطي نموذجًا عن الأفكار التي فيها. ونكتفي بالكودكس الأوّل والكودكس الثاني..

(٢٥) Le Caire, P. Cairo Mus Copt. 11851, 10544-55; 10589-90; 11597, 11640. Les papyrus du Caire ont été publiés en fac- similés sous le titre: *Nag Hammadi Codices* (10 vol. The Nag Hammadi Library, San Francisco, 1977).

نلاحظ هنا لائحة بالأعلام والأماكن في نهاية الكتاب ١٩٨٧ B. LAYTON, *The Gnostic Scriptures: A New Translatio with Annotations*, Doubleday, ترافق هذا الكتاب مع نصوص وردت عند جامعي النصوص الغنوصيّة من الآباء. Voir J. M. ROBINSON, "The Coptic Gnostic Library Today", *New Testament Studies*, 14(1968), p. 383-401; M. TARDIEU, "Le Congrès de Yale sur le gnosticisme", *Etudes Augustiniennes*, 24(1978), p. 188-209.

وبدأت جامعة لافال – كيباك في نشر النصوص مع الترجمة إلى الفرنسيّة والشروح، منذ سنة ١٩٧٧، نذكر مثلاً *Lettres de Pierre à Philippe et Authentikos Logos* (éd S. E. MENARD); Protennoia Trimorphe (éd. Y. JANSSENS), *Hermès en Haute-Egypte* (éd. J. P. MAHE, 1981); *Hypostase des Archontes* (éd. B. BARC, 1981); *Noréa* (éd. M. ROBERGE, 1981)...

ثمّ إنّ المجلس العلميّ الفرنسيّ (مختبر ١٥٢) بدأ ينشر هذه النصوص ويترجمها، ويتوسَّع في شروحها في مجموعة: *Sources gnostiques et manichéennes*

* **الكودكس الأوّل**. دُعيَ أيضًا كودكس يونغ، لأنَّه كان في وقت من الأوقات، في حوزة يونغ، الذي اهتمّ بالغنوصة(٢٦) عن قرب، ولاسيّما في وجهات اللاهوت الأنثويّة، وتدخّلَ في تلك الجدالات التي طالت.

– ١/١ **أبوكريفون** (كتاب سرّيّ) **يعقوب** (ص ١–١٦). يتضمَّن وحي يسوع إلى يعقوب بعد القيامة، مع أقوال (لوغيا) تتوازى مع ما في الأناجيل الإزائيّة. هي أقوال حول شروط الانخطاف.

يبدو النصّ رسالة من يعقوب إلى شخص آخر (لا نستطيع قراءة الاسم بسبب تلف في النصّ). رسم الكاتب رؤيةً فيها يتوسَّع يسوع في أقوال مختلفة. مُنحت الرؤية أوّلاً إلى الاثني عشر، ثمّ سرًّا، إلى يعقوب وبطرس. ولكن في النهاية، بدا يعقوب وحده فاهمًا لما حصل. «لا تتركوا الملكوت إلى التلف. فهو يشبه غصن نخيل سقطت ثماره حواليه...» (٧: ٢٢–٢٣).

– ٢/١ **إنجيل الحقيقة** (ص ١٦–٤٣). نقرأ هنا تعليمًا يقدِّمه شخص لا يُذكر اسمه. قد يكون ولنطين. نحن أمام تأمُّل إنجيليّ يستلهم الغنوصة الولنطينيّة (وُجد مقطع في اللهجة الصعيديّة في ١٢: ٢). البداية: «إنجيلُ الحقيقة فرحٌ للذين نالوا من لدن أبي الحقيقة، نعمةَ معرفته بقدرة الكلمة الآتي من البليروما (الملء، مجموعة الإيّونات، الكلّ، الملكوت لدى الآب) الملازم لفكر (ennoia) الآب وذهنه (nous) المعلَن مخلِّصًا، لأنَّ هذا اسم العمل الذي يُتمُّه من أجل خلاص الذين جهلوا الآب. فاسم إنجيل هو وحي الرجاء الذي اكتشفه طالبوه».

– ٣/١ **مقال في القيامة** (ص ٤٣–٥٠). قدَّم هذا المؤلَّف القيامة على أنَّها واقع حاضر وروحيّ محض. دُعيَ بعض المرّات: رسالة إلى ريجينُس. إنَّه يدعو الإنسان للدخول في الخلود.

– ٤/١ **المقال المثلَّث الأقسام** (ص ٥١–١٣٨): هو تعليم حول قسمة الإنسان

---

(٢٦) gnose في اليونانيّة γνωσις العرفة أو العرفان. هي معرفة سرّيّة يكتشفها الإنسان في أعماقه.

إلى روح ونفس ومادّة. هو قريب ممّا قاله الآباء عن غنوصة ولنطين. نحن هنا أمام خلاصة حول الربوبيّة والسيكولوجيّا والأخلاق.

– ١/٥ **صلاة الرسول بولس**. تعني «نفسي المستنيرة». بعضهم يجعلها في بداية الكودكس. والبعض الآخر في نهايته. تقع في صفحتين وتوجّه نظر القارئ إلى ما ينتظره من كلام. نقرأ بعض ما فيها: «هبني رحمتك، يا فاديّ خلّصني. فأنا لكَ. أنا وُلدت منك. أنت عقلي فلِدْني. أنت كنزي فافتحني. أنت ملئي فخذني لك. أنت راحتي، أعطني الكمال...».

* **الكودكس الثاني**. فيه سبعة مؤلَّفات.

– ٢/١ **كتاب الأسرار**، (كتاب) **يوحنّا** (ص ١–٣٢). وُجد في برلين مع العنوان نفسه. ثمّ في نجع حمّادي ٣/١. هو نسخة موسَّعة مع ما يشبهها في ٤/١. نجد في هذا المؤلَّف تفسيرًا غنوصيًّا لسفر التكوين، مع دخول ٣٦٥ ملاكًا. أراد أن يقدِّم شيئًا آخر عن موسى. فكرَّر أكثر من مرّة العبارة: «لا كما قال موسى». ردَّ عليه إيرينه في **كتاب الهرطقات** (١/٢٩–٣٠).

– ٢/٢ **الإنجيل بحسب توما** (ص ٣٢–٥١). مجموعة من أقوال (لوغيا) منسوبة إلى يسوع. ١١٤ قولاً. هي قريبة ممّا نقرأ في الأناجيل الإزائيّة أو من أقوال بهلنسة[٢٧]. نال هذا الإنجيل نصيبًا كبيرًا من الدراسة[٢٨]. أمّا فلسفته فجاءت كما

---

(٢٧) في اللغة العلميّة، أخذ الاسم اليونانيّ للموقع Oxyrhinque. تبعد قرابة ١٧٠ كلم إلى الجنوب من القاهرة. وُجدت فيها مجموعة من البرديّات (من القرن الأوّل حتّى القرن العاشر). كُشفت في القرن التاسع عشر بيد Grenfell et Hunt

(٢٨) G. QUISPEL, "The Gospel of Thomas Revisited" in *CITNH*, p. 218-266.

أوّل دراسة ظهرت عنه، كان سنة ١٩٥٧.

H.-CH. PUECH, "Une collection de Paroles de Jésus récemment retrouvée: L'Evangile selon Thomas", *Comptes Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres*, 1957, p. 59-73; G. QUISPEL, "The Gospel of Thomas and the New Testament", *Vigiliae Christianae*, 11(1957), p. 189-207. J. D. KAESTLI, "L'Evangile de Thomas. Son importance pour l'étude de paroles de Jésus et du gnosticisme Chrétien", *Etudes théologiques et religieuses*, 3(1979), p. 375-396. J. M. SEVRIN, "L'Evangile Apocryphe de Thomas: un enseignement gnostique", *Cahiers bibliques de Foi et Vie*, 4(1982), p. 62-80.

يلي: يبدأ: «هذه هي الأقوال التي تلفَّظ بها يسوع الحيّ، فسجَّلها التوأم يهوذا توما». هناك اللفظ العبريّ «توما» واليونانيّ ديديمس. يعنيان التوأم. ما عادا اسمَيْ علم. ولسنا أمام توما الذي طلب أن يضع إصبعه في موضع المسامير.

فهذا المؤلَّف نُسب إلى يهوذا الذي لُقِّب بالتوأم تمييزًا له عن الإسخريوطيّ. دُعيَ توأم يسوع للدلالة على وضع من الشبَه الروحيّ. ففي آ ١٣١ نقرأ ما قال يسوع لتوما (لتوأمه): «لستُ أنا معلِّمك. فقد شربتَ وارتويتَ من النبع ذاته الذي منه استقيتُ».

– ٢/٣ **إنجيل فيلبُّس** (الرسول) (ص ٥١–٨٦). هو مجموعة أقوال قريبة من الغنوصة الولنطينيّة، مع تشديد على العنصر الأنثويّ من الألوهة. ترد في شكل تأمُّل طقسيّ من أجل المتدرِّجين في المعرفة.

– ٢/٤ **طبيعة الأراكنة** (ص ٨٦–٩٧). يفسِّر هذا المؤلَّف تك ١–٦، عبر نظرة إلى إبليس، وهكذا ينال القارئ وحيًا عن الكوسموغونيا أو نشأة الكون.

– ٢/٥ **حول أصل العالم** (ص ٩٧–١٢٧): وحيٌ حول الكوسموغونيا وخلاص العالم بواسطة مخلِّص موحٍ. تضمَّن عناصر سابقة للمسيحيّة(٢٩). وُجد منه جزءان قصيران: في ١٣: ١ وفي اللهجة الصعيديّة. وفي لندن في لهجة متفرِّعة من الأخميميّة. وكان له عنوان آخر: توافق. فهو عرض تركيبيّ، توليفي، لعدد من تفاسير ذات الفصول في سفر التكوين . حرَّره غنوصيّ مصريّ ذو نزعة وطنيّة. نشير هنا إلى الوجهة الاجتماعيّة في هذه النصوص الغنوصيّة(٣٠). هي ردّة فعل مصريّة على السيطرة البيزنطيّة. وخصوصًا في وجه سيطرة السلطة الدينيّة في الإسكندريّة. هم الأراكنة أو الرؤساء. ما دلَّهم المخلّص على طبيعته الحقيقيّة، بل الآخرون. وهنا بانَ دورُ المرأة.

---

(٢٩) T. SAVE-SODERBERGH, "The Pagan Elements in Early Christianity and Gnosticism", in *CITNH*, p. 71-85; J. DORESSE, "Des Hiéroglyphes à la Croix. Ce que le passé pharaonique a ligué au christianisme", 1960, Institut Néerlandais, Istanbul.

(٣٠) L. PAINCHAUD, "La polémique antiecclésiale et l'exégèse de la passion dans le Deuxième Traité du Grand Seth", in *CITNH*, p. 340-351.

– ٢/٦ **تأويل النفس** (ص ١٢٧–١٣٧): خبر سقوط النفس المشخَّصة وافتداؤها. نجد إيرادات من البيبليا ومن الشاعر اليونانيّ هومير. توخّى المؤلِّف أن يبيِّن التماهي بين نظرتي الأنبياء اليهود والشعراء اليونان حول مصير النفس.

– ٢/٧ **كتاب توما المجاهد**(٣١) (ص ١٣٨–١٤٥): حوار بين يسوع ويهوذا توما، ذو طابع نسكيّ. جمعه متّى مع توازيات من الأناجيل الإزائيّة. ما نلاحظه سلسلة اللعنات في خطّ ما نعرفه في نصوص توراتيّة حيث البركات ترافق سامعي الكلمة، واللعنات ترافق رافضيها.

٣– مكتبة نجع حمّادي والعالم الغنوصيّ

في إطار العالم الغنوصيّ الذي تمثّله أفضل تفضيل نصوصٌ كتبها أصحابها، وما أوردها أولئك الذين حاولوا الردّ عليها، نطرح الوجهة الأساسيّة في هذه النصوص: سقطة النفس الكونيّة في العالم. ثمّ نفهم أنَّ هذه الجماعات كانت جماعات نسك، لا جماعات انحلال كما قيل عنها.

أ– نجع حمّادي وميثة(٣٢) السقطة

إذا فتحنا الكودكس الأوّل نقرأ في إنجيل الحقيقة (ص ٢٧، ١١–١٥) عبارة تعلن مبدأ من المبادئ الكبرى في الأنتروبولوجيّا الغنوصيّة وهي أنَّ الإنسان هو إلهيّ بدرجة صار الله إنسانًا، الإنسان الكامل. وبحسب هذا الإنجيل (٢٢: ١٣–١٩)، يجب أن تكون الغنوصة للإنسان وعيًا للذات، وتعرُّفًا إلى أصوله الإلهيّة،

---

(٣١) R. KUNTZMANN, "L'identification dans le Livre de Thomas l'Athlète, *CITNH*, p. 279-287; Id., *Le Symbolisme des Jumeaux au Proche-Orient ancien*, Paris, Beauchesne, 1983

يتماهى الرسول مع المخلِّص. وهو النموذج الأوّل للإنسان الكامل

(٣٢) Mythe في اليونانيّة: μυθος خبر شعبيّ يورد قيم جماعة من الجماعات ومبادئها من خلال الصور.

وصعودًا يعود به إلى الآب (٢١: ١١-٢٢). فالإنسان ينتمي إلى الكلّ العظيم الذي سقط في المادّة. وقابل الكاتبُ (٢٥: ١١-٢٥) هذا الوعي بالقيامة. وهكذا صار الحدث التاريخيّ رمزًا إلى اليقظة السيكولوجيّة لدى الإنسان الكامل، وإلى عبور من الرقاد الذي يجعلنا تحت الوعي subconscient إلى الوعي الواضح. صار إسقاطًا ميثيًّا: ففي فكر يسيطر عليه حنينٌ وضعٍ بدئيّ يُشرف على كلِّ حاليّة، يعني هذا الآن صعود النفس عائدةً إلى الملء، إلى البليروما. والبليروما رمزٌ كوسموغونيّ عن الامتلاء السيكولوجيّ للنفس وتحرُّرها من الأهواء (مثل النسيان) التي تربطها بالمادّة وبالضلال.

والمقال التالي في الكودكس الأوّل المخصَّص للكلام عن القيامة (**الرسالة إلى ريجينُس، أو مقال حول القيامة**) يؤكِّد أنَّ الذهن (νους في اليونانيّة) هو الجزء الوحيد من النفس، الجوهر الذي لا يفنى (٤٦: ٢٣-٢٤). فإن كان الأمر هكذا، فهذا يعني أنَّ النفس سقطت في عالم شرّير، كما يقول **المقال المثلَّث** (كودكس ٤/١). وأنَّ العالم نتاج سوفيا (حكمة) أو لوغس (الكلمة) ساقطين (ص ٥٧-١٠٤). لسنا أمام اللوغس، كما عند فيلون، الفيلسوف اليهوديّ في الإسكندريّة، ولا كما في إنجيل يوحنّا. اللوغس هنا هو لوغس الحكمة (سوفيا) الساقطة التي أرادت أن تخلق عالمًا لا يكون خارجًا من الوحدة الأوّلانيّة ومن الأندروجينيا(٣٣) أو الخنثويّة التي تسود في العالم السماويّ، والتي تكون الدائرة السفلى (في هذا العالم) نسخة مقلَّدة عنه (الكودكس الثاني، ص ٩، ص ٢٥ي).

فإذا أراد الإنسان أن ينضمّ إلى هذه الوحدة الأوّلانيّة، كما يقول لنا «اللوغيون» ٣ في **الإنجيل بحسب توما** (نجع ٢/٧)، يعود إلى ذاته فيُدرك الملكوت الذي هو في خارج الذات وفي داخلها، الذي هو فوق الثنويات، مثل ثنوية الرجل والمرأة (لوغيون ٢٢). وتُصبح رواية الملكوت هنا وساطة من أجل الوفاق. الأب هو في الإيّونات، تلك الصور السماويّة عن الكاملين. والإيّونات هي في الآب:

---

(٣٣) Androgynie من Ανδρος، الرجل، ثمّ γυνη المرأة. هما معًا في وحدة أولى قبل الانفصال.

إنّها كاملة، لا تنقسم هذه اللاإنقساميّة التي هي لاإنقساميّة الله، كما قال إيرينه في **الردّ على الهراطقة** (١/١٥: ٤-٥). ومعرفة الذات هذه وتماهي «الأنا» مع الأب، استعادهما **الإنجيل بحسب فيلبُّس** (٢/٣، ٦١: ٢٠-٣٥؛ ٧٦: ١٧-٢٢). ونستطيع أن نفسِّر تأويل النفس (٢: ٦) الذي يصوِّر نزول النفس وصعودها، في هذا المنظار عينه. حينئذٍ نكون قريبين من أوريجان. ولكن يبدو أنَّ أوريجان تأثَّر بالغنوصة.

رُميَتِ النفس البشريّة في عالم من الشرّ، تسوده سوفيا الساقطة، كما نرى في نسختَيْ **أوغنوستس**[٣٤] (نجع ٣/٣؛ ٥/٥). وفي نسختي **سوفيا** (حكمة) يسوع المسيح[٣٥] (٣/٤؛ وبرديّة برلين ٢-٨٥). فوجب عليها أن تتحرَّر حسب **حوار المخلِّص**[٣٦] (نجع ٣/٥، ص ١٤٣، س ١٠-٢٣). وهي تقوم بعمل الصعود في حركة من العودة الأزليّة حسب **رؤيا يعقوب الثانية**[٣٧] (نجع ٥/٤) في حواشٍ حول موت يسوع.

هذا من جهة. ومن جهة ثانية، اعتقد بعَض الغنوصيّين (على ما يبدو) بارتحال النفوس وهجرتها، لكي تتطهَّر، كما قال إيرينه (**الردّ** ١/٢٥: ٤) **ورؤيا بولس**[٣٨] (نجع ٥/٢، ٢٠: ٢٢-٢٣؛ ٢١: ١٧-٢٠).

---

(٣٤) في نجع ٣/٣. مؤلَّفٌ في شكل رسالة حول التواصل بين السلاسل الإلهيّة والملائكيّة le Béni Eugnoste في كلام عن الكوسموغونيا.

(٣٥) يستعيد في إطار مسيحيّ ما قاله أوغنوستس في إطار سابق للمسيحيّة، مع تدخُّل ليسوع ذاته.

(٣٦) نجع ٣/٥ (ص ١٢٠-١٤٩). تأمّلٌ حول البداية والنهاية، (في إطار الكوسموغونيا) ينطلق من تفسير سوتيريولوجيّ (على مستوى الخلاص) لعدد من أقوال (لوغيا) يسوع. كلُّ هذا يأتي في شكل حوار بين يسوع وتلاميذه.

(٣٧) **رؤيا يعقوب الأولى** (نجع ٥/٣، ص ٢٤-٤٤): حوار بين يعقوب «البارّ» (أخي الربّ) ويسوع، قبل الصلب وبعده، يؤكِّد فيه يسوع أنّه ما تألَّم حقيقة، بل في الظاهر (نجد تعابير ولنطينيّة). **رؤيا يعقوب الثانية** (نجع ٥/٤، ص ٤٤-٦٣): مجموعة أناشيد وقصائد يتلوها يسوع ويعقوب (الذي يلعب دورًا في الفداء). يُذكر فيها استشهاد يعقوب. إذا كانت الرؤيا الأولى تتحدَّث عن موت يسوع، فالثانية تتحدّث عن موت يعقوب.

(٣٨) نجع ٥/٢ (ص ١٧-٢٤): تعليقات في أسلوب كتب الرؤيا اليهوديّة. تنطلق من ٢كو ١٢: ٢-٤، فتقدِّم رؤى بولس.

نفس الغنوصيّ (العارف بمعرفة باطنيّة) هي بنفما طاهرة. حُدِّد مصيرها مسبقًا. هي تتميَّز عن سائر النفوس ولا يمكن أن تُدنَّس، كما تتعلَّم من رؤيا آدم[٣٩]. فالافتراءات الثلاثة عشر التي تُطلق على الإنسان الأوَّلانيّ، الذي هو المخلِّص الذي يجب أن يخلُص (هو استباق للفكر المانويّ) تدلّ على أنَّ الغنوصيّ مهدَّد دائمًا من قبل العالم. ومع ذلك، لا يقدر العالم أن يدنِّسه (٥/٥، ٧٧: ١٨-٨٢: ٢٨).

وجاء الكلام صريحًا عن سقطة سوفيا أو الأمّ في مقالين من الكودكس السادس. الأوَّل، الرعد، أو الذهن الكامل[٤٠]. استعاد بشكل لامباشر وعبر تفاسير متأخِّرة، الطابع المضاعف للحكمة (سوفيا) البيبليّة: هي سماويّة وأرضيّة كما قول سفر الأمثال (٨: ٣٠-٣١). كما صوَّر رواية السقطة (ص ١٥). والمقال الثاني، اللوغس المصدَّق[٤١]، يتحدَّث عن أمِّ الأهواء. وعن النفس الفرديّة التي أصبحت، ففي سقطتها، أخت هذه الأهواء (٢٣: ١٨ي). الأمّ هنا، هي الإيوّن السماويّ الذي انفصل عن زوجه الذكر.

وتضمَّن أيضًا الكودكس السادس هذا، مقالات هرماسيّة، ومقطع من الجمهوريّة لأفلاطون[٤٢]. نشير إلى أنَّ المقالات الأفلاطونيّة، قد نسبها التقليد الهرماسيّ إلى هرمس أو تحوت المصريّ. مثل هذه المقالات لا تعرض غنوصة

(٣٩) نجع ٥/٥ وحي (ص ٦٣-٨٥) حول نسل آدم، ومستقبل هذا النسل.

(٤٠) parfait (intellect) ou le Nous (Tonnerre) Bronté نجع ٦/٢ (ص ١٣-٢١). يرسم مسيرة النفس في أسلوب حربيّ، يجمع مقولات المعرفة والخطابة. هو كلام حكمة من نمط: أنا كائن، أنا موجود. في اليونانيّة εγω ειμι

(٤١) Αυθεντικος λογος (نجع ٦/٣، ص ٢٢-٣٥). وله أكثر من عنوان: **تعليم السلطة، أو تعليم التصديق، أو البرهان الحاسم**. يروي مسيرة النفس ويدعو الإنسان إلى القرار العمليّ في ما يخصّ الحياة التي نختار نحن في الواقع أمام عظة حول وضع النفس في عالم معادٍ.

(٤٢) نجع ٦/٥ (ص ٤٨-٥١). رج **الجمهوريّة** ٥٨٨أ-٥٨٩ب. نحن أمام ترجمة قبطيّة متعثِّرة لمقطع من هذا الفيلسوف. العنوان: **كرباروس** :Cerbère كلب بثلاثة رؤوس يحمي مدخل العالم السفليّ) والأسد والإنسان هو خبر تعليميّ.

تتميَّز بميثة السقطة، كما هو الحال مع بويماندريس(٤٣) في المجموعة الهرماسيّة، الذي لم يكن في الأصل هرماسيًّا، لأنَّه يقترب كثيرًا من كتابات غنوصيّة (مثل طبيعة الأراكنة [نجع ٢/٤] أو المؤلَّف الذي لا عنوان له) التي ترسم ميثة السقطة.

وتُعرَض هذا الميثة أيضًا في الكودكس السابع مع **إسهاب سام**(٤٤) الذي يذكر هذه المرّة الذهن (نوس في اليونانيّة) الذي تستعمله القوى السفلى لتكوِّن عالم الأرض. وعلى العالم العلويّ أن يقوم بعدّة محاولات تخليص (كما في سفر المزامير المانويّ، في اللغة القبطيّة) قبل أن يحرِّر تحريرًا نهائيًّا «الذهن» الأوّلانيّ. ويتحدَّث أيضًا **المقال الثاني لشيت العظيم**(٤٥) عن هذه السقطة: وذلك حين نزل المخلِّص ليكشف المجد لرفاقه، لنسله الروحيّ (٥٠: ٢٠-٢٩)، الذين سقطوا في عالم ماديّ في إثر سوفيا (٥٠: ٣٠-٥١: ١١) أو إينويا(٤٦) الصغيرة (٥٤: ٢٣-٢٤). ورؤية سقطة سوفيا، تعاد أيضًا في يدويّ غنوصيّ هو **رسالة بطرس إلى فيلبُّس**(٤٧) في الكودكس الثامن، وهو **المعرفة الأولى المثلَّثة**(٤٨) في الكودكس الثالث عشر.

---

(٤٣) Poimandrès du *Corpus Hermeticum*

(٤٤) *Panaphrase de Seth* نجع ١/٧ (ص ١-٤٩). تفسير الكوسموغونيا انطلاقًا من نصوص سفر التكوين.

(٤٥) نجع ٢/٧ (ص ٤٩-٧٠). تأمُّل في حاش (= آلام) المسيح وحاش المؤمنين. هو خبر خلاص ذو نوعيَّة ظاهريّة Docète من δοκεω اليونانيّة Sembler, paraitre. مات المخلِّص في الظاهر، شُبِّه به، لا في الحقيقة. كما نجد في هذا المؤلَّف حكمًا قاسيًا على اليهود. اهتمّ الغنوصيّون دومًا بشخص شيت الذي «حبلَ» به آدم وهو ابن ١٣٠ سنة، «على صورته ومثاله» (تك ٥: ٣). والذي اعتُبر أنَّه نقل ما بقي له من معرفة كانت له قبل السقطة. وحسب إنجيل المصريّين، يسوع تجسَّد في شيت.

(٤٦) Εννοια (conception, notion) تتضمَّن لفظ νους: الذهن Intellect

(٤٧) نجع ٢/٨ (ص ١٣٢-١٤٠): تأمُّل في شكل حوار حول موضوع ألم المسيح في كنيسته. هو كلام عن الصلب في إطار ظاهريّ.

(٤٨) Προτεννοια τριμορφη (προτ + εννοια, τρι- μορπφη) نجع ١/١٣. نشير إلى أنَّ الكودكس ١٣ يتضمَّن فقط ١٦ صفحة وبعض الذرات مع مقالين اثنين. أمّا الثاني، فعنوانه: أصل العالم (نجع ٢/١٣). أمّا نجع ١/١٣ فيتضمَّن وحيًا في صدور إلهيّ عبر ثلاثة أشكال: أب، أمّ، ابن.

ويبدو في الوضع الحاليّ للمسألة، أنّه يجب أن نُسقط على هذه الخلفيّة عددًا آخر من المقالات النجع حمّاديّة التي لا تتحدّث إلاّ عن سقطة النفس الفرديّة. مثل **دروس سلوانس**(٤٩) التي تذكّرنا بما في **التعليميّ**(٥٠) لأبينُس. ثمّ المقالات النسكيّة مثل **الإنجيل بحسب توما** (نجع ٢/٢) **وأعمال بطرس والرسل الاثني عشر**(٥١) وشهادة الحقيقة(٥٢) **وتفسير الغنوصة**(٥٣) **وأقوال سلستُس**(٥٤). بعد أن سقط الغنوصيّ في عالم المادّة، وجب عليه أن يتحرَّر منه ويسود عليه بواسطة النسك والتزهُّد.

ب- نجع حمّادي والزهد الغنوصيّ

سبق وعرفنا أنَّ **الإنجيل بحسب توما** يقدِّم سمات شبيهة بسمات نسكيّة في العالم السريانيّ. وأعمال **بطرس والرسل الاثني عشر**، الواقعة على الحدود بين الغنوصة والمسيحيّة الأولى، حاولت أيضًا أن تحدِّد بالنسك، المسيحيّة الحقيقيّة. فالملكوت الذي ترمز إليه المرجانة (أو اللؤلؤة) وُعد به الفقراء سواء قبلوا بوضعهم أم لا. أمّا الأغنياء فيرذلون هذه المرجانة وإذ يتجنّبون المشاركة مع الأغنياء، ينظرون إليهم بعدالة (١٢: ٨-٩، ١٥-١٦).

(٤٩) نجع ٤/٧ (ص ٨٤-١١٨): تعليم حكميّ ذو نزعة نسكيّة في أسلوب أدب شعبيّ. هناك مقطع من مخطوط قبطيّ نجده في لندن Br. Mus Or 6003

(٥٠) διδασκαλικος من ديدسكالوس، معلِّم

(٥١) نجع ١/٦ (ص ١-١٢): رواية تتحدَّث عن أسفار الرسل وكرازاتهم، وهي لا تنطبع بالطابع الغنوصيّ.

(٥٢) نجع ٣/٩ (ص ٢٩-٧٤): عظة شعريّة حول «الغنوصة» الحقّة. تنادي بالتخلّي عن العالم وعن مسيحيّة تحاول العودة إلى اليهوديّة.

(٥٣) نجع ١/١١ (ص ١-٢١): عظة حول الكنيسة ذات نزعة ولنطينيّة. تتوقَّف عند مدلول كلمة الله التي تنقل مراحل المعرفة، في الممارسة الكنسيّة.

(٥٤) نجع ١/١٢ *Sentences des Sextus Empirius*: نسخة قبطيّة لأقوال تفوّه بها هذا الفيلسوف اليونانيّ. وقد عُرفت هذه الأقوال في مصادر أخرى. نشير إلى أنَّ الكودكس ١٢ يقع في ١٠ صفحات وبعض الشذرات.

وبيّنت شهادة الحقيقة أيضًا أنّ غنوصيّي نجع حمّادي يحدّدون نفوسهم بالنسك والتزهّد. وقد اتّهموا مسيحيّي الكنيسة الكبرى بنقص في الحياة النسكيّة، بانفلات على مستوى الفجور (٦٧: ٣٠ي) والطمع (٦٨: ١١ي)، والخضوع لشريعة ألغاها المسيح (٣٠: ٢٨-٣٠) فأشرفت على الحبل والولادة (٣٠: ٢-٥). هذه الشريعة توقظ الأهواء، وهذه الأهواء تمنع الهرب من سجن هذا العالم الملعون (٣٠: ٦ي؛ ٦٧: ١ي). إنّ نقد غياب الحياة النسكيّة، هو في أساس سائر انتقادات شهادة الحقيقة تجاه مسيحيّين في الكنيسة الكبرى. وخصوصًا انتقاء الممارسة الأسراريّة التي تستند إلى عماد الدم والماء. وهذا الاعتقاد بعماد خلاصيّ يتضمّن ضلالين اثنين (٧١: ٧ي). فابن الإنسان ما أراد أيّ عماد[٥٥]، لأنّ العماد المصدَّق يعني رفض العالم.

ورفض هذا العالم، لا يأخذ به مسيحيّو الكنيسة الكبرى، في شكل عمليّ (٧١: ٣١ي). أمّا ص ٦٨: ١-١٢ فتشير إلى الاستبقاء[٥٦]، كما تقول أعمال بطرس والرسل الاثني عشر (١٠: ١٧). والفكرة المسيحيّة عن الاستشهاد خاطئة (٣٤: ١-٧). وكذلك الألم. فالمسيح هزئ من جلاّديه **في رؤيا بطرس**[٥٧]، وفي **رسالة بطرس إلى فيلبّس**، فوضع حدًّا لأعمال الظلمة (٣٢: ٢٢-٣٣: ٢٤). وخاطئةٌ أيضًا فكرةُ الكنيسة الكبرى حول القيامة، لأنّ اللحم يُدمَّر والدم (٣٦: ٢٩ي)، بحيث لا ننتظر قيامة في نهاية الأزمنة (٣٤: ٢٦ي). فالنفس يسكنُها منذ الآن اللوغس مُعطي الحياة (٣٤: ٢٤-٢٦؛ ٤٣: ١-١٧). كلُّ هذه الأقوال تُبرز فكرة أساسيّة لدى الكاتب: التعارض بين إله اليهود الذي جعل البشر خطأة

---

(٥٥) هذا ما يقوله أيضًا خصوم ترتليان، في أفريقيا الشماليّة .De baptismo II, 1

(٥٦) Επιταγη أي نحفظ نفوسنا من الألم والاستشهاد والموت رج αποτακτος mise en réserve من apo-tasso (mettre à une place appropriée)

(٥٧) نجع ٧/٣ (ص ٧٠-٨٤): تأمّل حول موت يسوع. هزئ المخلّص من الذين ظنّوا أنّهم صلبوه. ساعة حلّ آخر محلّه. ربّما سمعان القيرينيّ. هذه الرؤيا لا علاقة لها **برؤيا بطرس** اللاغنوصيّة *DEB*, p. 118, n. 49

(٤٨ : ٤ي؛ خر ٢٠ : ٥) وبين المسيح الذي لم يُوجَد فيه خطيئة. فكما **الإنجيل بحسب فيلبُّس** الذي آمن بأنَّ الحياة الأسراريّة يجب أن تُتوِّجها حياةٌ روحيّة أو عقليّة عميقة. رغبت **شهادة الحقيقة** بأن يعكس النسكُ حياة عقليّة، أو بالأحرى حياة بنفماتيكيّة مصدّقة. أمّا **أقوال سكستس** فبيَّنت أنَّ غنوصيّي نجع حمّادي، لا يعيشون الفلتان، بل النسك والتزهُّد(٥٨).

الخاتمة

الإشارات الأولى البعيدة عن وجود تيّار فكريّ دُعيَ «الغنوصيّة»(٥٩) أو «العرفان» نجدها مثلاً في ١كو ٨: ١ (المعرفة لدينا): ١تم ٦: ٢٠ التي تتحدَّث عن «الكلام الفارغ، والجدل الباطل الذي يحسبه الناس معرفة». ثمَّ كانت ردود آباء الكنيسة الذين أعطوا تفاصيل وافرة حول النهوج الغنوصيّة: إيرينه (القرن الثاني) أسقف ليون، في فرنسا، ترتليان ابن قرطاجة، كليمان الإسكندرانيّ (القرن الثالث). وفي القرن الرابع، إبيفاني، أسقف سلامينة في قبرص، وأوغسطين أسقف أفريقيا. ضاع الأدب الغنوصيّ في اللغة اليونانيّة، بعد أن رذلته الكنيسة الكبرى. ولكنَّ آباء الكنيسة احتفظوا بمقتطفات هامّة، مثل الرسالة إلى فلورا كما نقرأها عند إبيفان، ومقتطفات تيودوتيّة احتفظ بها كليمان الإسكندرانيّ.

ولكنَّ عددًا من الكتابات الغنوصيّة وُجدت في اللغة القبطيّة لدى مسيحيّة عرفت بعض الاستقلاليّة منذ القرن الثالث. وساعد على ذلك، مناخ مصر الناشف الذي يحفظ الورق البرديّ من التلف. وهكذا كانت لنا المكتبة الغنوصيّة في نجع حمّادي. هي التي أعطتنا الفكرة الصائبة عن هذا التيّار الفكريّ.

(٥٨) J. E. MENARD, "Nag Hammadi", in *Catholicisme*, t. 9, col 984-987.

(٥٩) M. TARDIEU et P. HADOT, "Gnostiques", in *Enc. Universalis*. t. 10, p 535.

ونطرح السؤال الأخير: لماذا دراسة النصوص الغنوصيّة، ومنها ما كُشف في نجع حمّادي؟ لكي نتعرَّف إلى المسيحيّة الأولى التي حاولت أن تتحدَّث عن البشارة انطلاقًا من بعض الفلسفة اليونانيّة التي يعيش فيها سامعوها؟ كما سبق وانطلقت من العالم اليهوديّ. تركوا الأناجيل الأربعة وكتبوا أناجيلهم. وتبعهم أشخاص يبحثون عن أقوال المخلِّص، فعادوا إلى الإنجيل الحقيقيّ. أو يطلبون خلاصًا خارج الكنيسة الكبرى، فوجدوا نفوسهم بعيدين عن المسيح، خارج البيت الوالديّ، مثل الابن الضالّ الذي ابتعد عن البيت الوالديّ. وتبقى هذه الدراسة تنبيهًا لنا لأنَّ الغنوصيّة تموت لتولَد وهي اليوم حيّة في ما يُسمّى «الزمن الجديد» Nouvel Age. وإذا كانت الغنوصيّةُ الفلسفةَ العمليّة لمعرفة الذات والبحث عن الخلاص، فجذورها في الهند. إلى هناك مضى العديدون من بلدان أوروبّا خصوصًا. وعندنا قرأوا كتب الهند واعتبروا أنَّ يسوع تتلمذ على يد المفكِّرين الهندوسيّين والبوذيّين. قراءة النصوص الغنوصيّة عودة إلى الماضي لنأخذ منها العبرة. كان الأوّلون مسيحيّين وبحثوا عن المسيح خارج التقليد المسيحيّ. ونحن مسيحيّون، فأين نبحث عن المخلِّص الوحيد؟ فهو من أجلنا تألَّم ومات وقُبر قبل أن يقوم. اتَّخذ بشريَّتنا. كان من لحم ودم مثلنا. فمثلُ هذا التعليم يبعدنا عن تيّار فكريّ اعتبر أنَّ يسوع تظاهر وما تجسَّد. حسبوه أنّه مات. ولكنَّ سمعان القيرينيّ هو الذي مات، وربّما يهوذا. هل غاب هذا التعليم عن فكرنا المعاصر؟



الفصل السابع

إنجيل يهوذا على حقيقته

قلّما تحدَّثت وسائل الإعلام في أيّامنا عن كتاب غنوصيّ، كما تحدَّثت عن هذا الكتاب. والسبب المعروف تجاريّ هو. هكذا ارتفع ثمنه في سوق البيع والشراء مع أنّ مثله الكتب العديدة خصوصًا في نجع حمادي، في جنوب القاهرة، مثل إنجيل الحقيقة، مقال في القيامة، أبوكريفون (أو منحول) يوحنّا، إنجيل فيلبّس. هذا عدا سائر الأناجيل المنحولة التي بدأت تنتشر منذ القرن الثاني المسيحيّ، مثل إنجيل برتلماوس، إنجيل باسيدليد، إنجيل المصريّين...

فما هي قصّة هذا الإنجيل، وكيف وصل إلينا اليوم، بعد أن كُشفت نصوص نجع حمادي سنة ١٩٤٥، ووصلت إلى أيدي الأخصّائيّين سنة ١٩٤٧؟

القسم الأوّل: نصّ إنجيل يهوذا

المقدّمة

المقال السرّيّ لوحي قاله يسوع في حوار مع يهوذا الإسخريوطيّ خلال ثمانية أيّام[١]، ثلاثة أيّام قبل الاحتفال بالفصح[٢].

(*) ورد هذا المقال في **مجلة الاكليريكية** ٦ (ت٢ – ٢٠٠٦) ص ٧٣-١٠٦.

(١) كذا في شكل حرفيّ. نستطيع أن نقول: أسبوع.

(٢) ويمكن أن نقول: ثلاثة أيّام قبل الآلام. إنّ أحداث إنجيل يهوذا تقع في حقبة قصيرة من الزمن، تقود إلى خيانة يهوذا ليسوع. رج مت ٢١: ١-٢٦: ٥٦؛ مر ١١: ١-١٤: ٥٢؛ لو ١٩: ٢٨-٢٢: ٥٣؛ يو ١٢: ١٢-١٨: ١١. مثلاً، نقرأ في مت ٢٦: ٢: «تعرفون أنّ الفصح يقع بعد يومين». رج مر ١٤: ١: «وقبل الفصح وعيد الفطير بيومين».

خدمة يسوع على الأرض

حين ظهر يسوع على الأرض، أجرى العجائب والمعجزات العظيمة من أجل خلاص البشر. سار بعضُهم في طريق البرّ، ساعة سار الآخرون في معاصيهم. حينئذٍ دُعيَ التلاميذ الاثنا عشر(٣).

وشرع يتكلّم معهم عن الأسرار(٤) التي تلي هذا العالم، وتحلّ في الآخرة. مرّات عديدة ما كان يظهر لتلاميذه كما هو، بل يُوجَد مثل طفل(٥) في وسطهم.

أ- المشهد الأوّل(٦): حوار يسوع مع تلاميذه

ذات يوم، كان مع تلاميذه في اليهوديّة، فوجدهم مجتمعين معًا، وجالسين جلسة تقوى(٧) وحين اقترب تلاميذه، (**٣٤**) واجتمعوا معًا، وجلسوا، وقدّموا صلاة الشكر(٨) على الخبز، ضحك(٩).

فقال له التلاميذ: «يا معلِّم، لماذا ضحكتَ على صلاة شكرنا (إفخارستيّتنا)؟ لقد صنعنا ما هو قويم»(١٠).

---

(٣) رج مت ١٠: ١-٤؛ مر ٣: ١٣-١٩؛ لو ٦: ١٢-١٦. عن يهوذا يقول لو ٦: ١٦: «ويهوذا الإسخريوطيّ الذي صار خائنًا». في مت ١٠: ٤: «الذي أسلم يسوع» ومثله قال مر ٣: ١٩.

(٤) μυστηριον في اليونانيّ كما في القبطيّ.

(٥) راجع الكتاب السرّيّ ليوحنّا (نجع حمادي، الكودكس ٢/٢: **وحي بولس** ١٨. هيبوليت الرومانيّ، **ردّ على كلّ الهرطقات** ٦/٤٢: ٢. يورد هيبوليت هنا خبرًا يقول إنّ الكلمة (لوغوس) ظهرت لولنطين في شكل طفل. وأخيرًا، **إنجيل توما**، القول ٤. قال يسوع: «الرجل الشيخ في أيّامه، لا يتردَّد أن يسأل طفلاً ابن سبعة أيّام عن موضع الحياة، فيحيا. فكثير من الأوّلين يكونون آخرين ويصيرون واحدًا». نحن هنا أمام ظهور كما في **أعمال يوحنّا**، **والخطبة الثانية لشيت العظيم**، **ووحي بطرس** في نجع حمادي.

(٦) حوار يسوع مع تلاميذه، وصلاة الشكر أو الإفخارستيّا.

(٧) أو يمارسون أعمال التقوى. رج ١تم ٤: ٧: «روِّض نفسك بالتقوى».

(٨) ευχηαριστεω: شكر، أدّى الشكر، اعترف بالجميل. والكلمة القبطيّة قريبة من اليونانيّة.

(٩) استعاد المشهد في جزء منه خبر العشاء الأخير، ولاسيّما مباركة الخبز أو وصف وليمة مقدَّسة في العالم اليهوديّ أو المسيحيّ. غير أنّ اللغة المستعملة هنا تبقى تلك المستعملة في الاحتفال بالإفخارستيّا. ضحك يسوع فبدا منتقدًا لما يفعله تلاميذه، وكأنّه يرفض التعليم القويم. عن هذا الضحك، نقرأ **الخطبة الثانية لشيت العظيم** ٥٦؛ **وحي بطرس** ٨١. ثمّ في **إنجيل يهوذا**.

(١٠) أو هو كلام في شكل سؤال: «أما صنعنا ما هو قويم؟»

فأجاب وقال لهم: «ما ضحكتُ عليكم. فأنتم ما صنعتم هذا من أجل إرادتكم الخاصّة، بل لأنّ إلهكم يُمدَح عبر هذا»(١١).

قالوا: «يا معلِّم أنت]...[ابن الله»(١٢).

قال لهم يسوع: «كيف عرفتموني(١٣)؟ في الحقيقة(١٤) أقول لكم: ما من جيل في الشعب الذي بينكم، يعرفني»(١٥).

(١١) ويمكن أن يكون الكلام بشكل سؤال: «هل عبر هذا يُمدَح إلهكم؟» أو: «هل يقبل إلهكم»؟ فالإله الذي يصوَّر على أنّه إله التلاميذ ليس الإله العليّ، السامي. بل فقط «الباري» (صانع الأشياء) δημιουργες وقائد العالم. هو إله العهد القديم، لا الإله الصالح، إله العهد الجديد.

(١٢) مت ١٦: ١٣-٢٠: أنت المسيح ابن الله. رج مر ٨: ٢٧-٣٠؛ لو ٩: ١٨-٢١.

(١٣) موضوع المعرفة يملأ إنجيل يوحنّا. لهذا كان الغنوصيّون أوّل الذين نشروه. ولاسيّما هرقليون الذي ردّ عليه أوريجان وأورد نصوصه. ORIGENE, Commentaire sur St Jean, (SC 120) Paris, 1966, p. 13-19. في شكل خاصّ، طُرح موضوع المعرفة بعد العشاء الأخير. رج يو ١٤: ٤-٧.

(١٤) أو: «الحقّ الح». آمين، آمين». تلك هي الطريقة النموذجيّة ليُقدِّم نصٌّ له سلطان في أقوال يسوع، في الأدب المسيحيّ الأوّل. هنا وفي كلِّ إنجيل يهوذا نقرأ الإيراد الإنجيليّ مع لفظ «آمين». رج مثلاً، يو ١٠: ١، ٧.

(١٥) في إنجيل يهوذا وفي سائر النصوص الشيتيّة، أصل الولادة الغنوصيّة. وهو حلم أهل تلك «الولادة» يعرفون طبيعة يسوع الحقيقيّة. وإذا رُحنا في الأدب الشيتيّ مثلاً، وحي آدم، فشعبُ شيت يصوَّر أيضًا على أنّه «ذاك الشعب». رج لفظ « ܥܡܐ ». في السريانيّة مثلاً. نتذكَّر أنّ «شيت» هو ابن آدم (تك ٤: ٢٥) ومعنى اسمه: «الله وضعه». على اسمه كان أكثر من منحول. الأوَّل، «وعد شيت الذي نستفيد من معرفته». دُعي إنجيل شيت ووصل إلينا في الأرمنيّة، فكوَّن حلقة أخبار مع «خبر الخلق» و«خبر الطرد من الفردوس» (لقايين)، وهي أخبار تتوسّع في الكتاب المقدَّس. ثمّ «المقال الثاني لشيت العظيم حيث يتماهى شيت مع يسوع (نجع حمادي ٧/٢) ويكون مثله المخلِّص. ثمّ «مسلاّت شيت الثلاث» (نجع حمادي ٧/٥). هي في الواقع نشيد مثلَّث لتكريم الله، كما وُضع في فم شيت. المسلاّت الثلاث (أو العواميد الثلاثة) تشير إلى ثلاثة أسماء في «panthéon» أو مجمع الآلهة الغنوصيّ: أدامس أو المبدأ الذكر. بربيلو أو المبدأ الأنثى الذي صار ذكرًا. البنفما (أو الروح) أو المبدأ اللامحدَّد. M. TARDIEU, "Les trois stèles de Seth. Un récit gnostique retrouvé à Nag Hammadi " in *Revue des Sciences philosophiques et Théologiques,* 57(1973), p. 545-575.

غضب التلاميذ

حين سمع التلاميذ هذا[١٦] شرعوا يغضبون ويهتاجون، وبدأوا يجدِّفون عليه في قلوبهم[١٧].

حين لاحظ يسوع نقص الفهم[١٨] عندهم، قال لهم: «لماذا هذا الاضطراب يقودُكم إلى الغضب؟ إلهكم هو في داخلكم و]...[(٣٥)[١٩] دفعتموه لكي يغضب داخل نفوسكم. يا ليت واحدًا منكم الذي هو قويّ بالكفاية بين البشر، يحمل الإنسان الكامل ويقف أمام وجهي»[٢٠].

قالوا كلُّهم: «نمتلك القوّة».

ولكنّ أرواحهم[٢١] ما تجرّأت على الوقوف أمامه. ما عدا يهوذا الإسخريوطيّ. هذا كان أهلاً بأن يقف أمامه، ولكنّه ما استطاع أن يكلِّمه في عينيه، فمال بوجهه عنه[٢٢].

---

(١٦) بعد أن تحدَّث «**إنجيل يهوذا**» عن خدمة يسوع على الأرض، أوصلنا حالاً إلى الحوار مع التلاميذ بعد العشاء السرّيّ. حزن التلاميذ بل غضبوا. حينئذٍ أخذ يسوع يهوذا، وكلَّمه على حدة.

(١٧) موقف التلاميذ يشبه موقف الكتبة والفرّيسيّين في الأناجيل القانونيّة، والأمثلة عديدة على ذلك. رج لو ١١:٥٣-٥٤: «وبينما هو خارج من هنا، ازدادت عليه نقمة علماء الشريعة والفريسيين، فأخذوا يستنطقونه في أمور كثيرة، ويترتّبون ليصطادوا من فمه كلمة يتفوَّه بها».

(١٨) عدم الفهم نجده بشكل خاصّ في إنجيل مرقس. رج ٤: ١٣؛ ٦: ٥٢؛ ٨: ١٧، ٢١؛ ٩: ٣٢. ما فهموا آلام يسوع. والغريب هنا هو أنّ يهوذا وحده فهم!

(١٩) سقطت كلمة. ربّما تكون: قدرته، أو ما يشبه ذلك.

(٢٠) بدت إعادة البناء (للوصول إلى الإنسان الكامل) موقَّتة. فدلّ يسوع على أنّ الغضب الذي قام داخل قلوب التلاميذ، حرّكه إلهُهم في داخلهم (ربّما لم يزالوا على مستوى إله العهد القديم). أخطرهم يسوعُ بأن يتيحوا للإنسان الحقيقيّ (الإنسان الروحيّ) أن يعبِّر عن نفسه ويقف أمامه.

(٢١) هو الكائن الحيّ. رج ٤٣: ٥٣: «تركهم الروح فماتت أجسادهم»

(٢٢) وحده يهوذا بين التلاميذ امتلك القوّة ليقف أمام يسوع، ووقف بتواضع واحترام. عن يسوع الذي مال بعينيه أمام يسوع، رج **إنجيل توما**، القول ٤٦ حيث يقال إنّ على الشعب أن يدلّ على التواضع بشكل مشابه فيخفض عينيه أمام يوحنّا المعمدان. نقرأ في «**الكتابات المسيحيّة المنحولة**» (ص ٤٢): «قال يسوع: "بين الذين وُلدوا من النساء، منذ آدم حتّى يوحنّا المعمدان، ما من إنسان أكبر من يوحنّا المعمدان، بحيث يجب على الجميع أن يخفضوا عيونهم أمامه»

Ecrits Apocryphes chrétiens (EAC), I, Gallimard, La Pléiade, Paris, 1987, p. 42.

وقال يهوذا له: «أنا أعرف من أنت[٢٣] ومن أين جئت[٢٤]. أنت من الملكوت اللامائت (الخالد، ملكوت) بربيلو[٢٥]، ولا أستحقّ أن أورد اسمَ الذي أرسلك»[٢٦].

يسوع مع يهوذا على حدة

إذ عرف يسوع أنّ يهوذا يفكّر في شيء معظَّم، قال له: «سرْ بعيدًا عن الآخرين، وأنا أقول لك أسرار الملكوت. أنت تستطيع أن تبلغه ولكنّك ستتعب كثيرًا (**٣٦**) لأنّ إنسانًا آخر يحلّ محلّك[٢٧] بحيث إنّ التلاميذ الاثني عشر يستطيعون أيضًا أن يكملوا مع إلههم».

---

(٢٣) ذاك كلام الشياطين ليسوع. رج مر ١: ٥٤.

(٢٤) وحده يسوع يعرف من أين جاء. أمّا البشر فلا. رج يو ٨: ١٤.

(٢٥) Barbilo: ب ر ب ل. ربّما: ابن بعل. اسم مربّع الحروف. هكذا يقلّدون الاسم الإلهيّ "ي ه و ه". في إنجيل يهوذا، يهوذا نفسه هو الذي يقدّم الاعتراف الحقيقيّ فيعرف من هو يسوع، الاعتراف بأنّ يسوع هو من الملكوت (الدهر إيّون αιων) اللامائت، الخالد، ملكوت بربيلو، يعني الاعتراف، في لغة شيت، بأنّ يسوع هو من الملكوت الإلهيّ، العلويّ، وهو ابن الله. في النصوص الشيتيّة، بربيلو هي الأمّ الإلهيّة للجميع. هي الفكر المسبق للآب، اللامحدود. في اليونانيّة: προνοια بدا اسم بربيلو مؤسّسًا على أربعة أحرف، كما في العالم اليهوديّ. وقد يعني: بأربع. أي إيل في أربعة. يُقدَّم بربيلو في الأدب الشيتيّ، في «**سرّ كتاب يوحنّا**» (٢: ٤-٥). «**الكتاب المقدَّس للروح العظيم الخفيّ**» (وعُرف أيضًا: الإنجيل المصريّ، نجع حمادي، كودكس ٣/ ٤٢، ٦٢، ٦٩؛ **زوستريانس** ١٤: ١٢٤، ١٢٩: **الآخر الغريب** ٥١، ٥٣، ٥٦. **ثلاثة أشكال في الفكر الأوّل** ٣٨.

(٢٦) الذي أرسل يسوع هو الإله الذي لا يُسمّى، لا يُوصف. لا وصوفيّةُ ineffabilité الله نقرأها في **إنجيل يهوذا** ٤٧، وتبرز في مثل هذه النصوص الشيتيّة مثل «**الكتاب السرّيّ ليوحنّا**»، «**الكتاب المقدَّس للروح العظيم الخفيّ**»؛ و«**الآخر الغريب**». في إنجيل توما، ١٣ أعلن توما أيضًا ليسوع: «يا معلّم، لا يستطيع فمي أبدًا أن يقول من تشبه».

(٢٧) رج أع ١: ١٥-٢٦ حيث حلّ متيّا محلّ يهوذا، فصار في حلقة الاثني العشر لكي يكمل أيضًا عدد الاثني عشر.

فقال له يهوذا: «متى سوف تقول لي هذه الأمور ومتى (أو: وكيف) يبزغ يومُ النور العظيم من أجل الولادة؟».

وحين قال يسوع هذا، تركه(٢٨).

ب- المشهد الثاني(٢٩): ظهور يسوع للتلاميذ مرّة ثانية

في الصباح التالي، بعد أن حصل هذا(٣٠)، ظهر يسوع أيضًا لتلاميذه(٣١).

قالوا له: «يا معلِّم، إلى أين تذهب، وماذا سوف تعمل حين تتركنا؟»

فقال لهم يسوع: «مضيتُ إلى جيل آخر، كبير ومقدَّس»(٣٢).

فقال له تلاميذه: «يا ربّ، ما هو هذا الجيل الكبير بحيث يكون أسمى منّا وأقدس، الذي ليس الآن في هذه الممالك؟»(٣٣)

حين سمع يسوع هذا، ضحك وقال لهم: «لماذا تفكِّرون في قلوبكم حول الجيل القويّ والمقدَّس؟ (٣٧) آمين (في الحقيقة) أقول لكم: «ما من أحد وُلد من هذا الإيّون يرى هذا الجيل، ولا جيش ملائكة النجوم يتسلَّط على هذا الجيل، ولا إنسان الولادة المائتة يستطيع أن ينضمّ إليه، لأنّ هذا الجيل لم يأتِ من]...[الذي صار .]...[جيل الشعب بينكم هو من جيل البشر]...[قوّة التي]...[

(٢٨) طرح يهوذا أسئلة حول الوحي الذي وعدَ به يسوع، والتمجيد الأخير لهذا الجيل. ولكن يسوع تركه في الحال.

(٢٩) في هذا المشهد، يظهر يسوع أيضًا لتلاميذه.

(٣٠) أو: عند بزوغ اليوم التالي.

(٣١) لا نجد لفظ «أيضًا». ولكن النصّ يتضمّنه.

(٣٢) لبث يسوع يقول إنّه مضى وراء هذا العالم إلى ملكوت آخر، هو في الظاهر الملكوت الروحيّ لهذا الجيل.

(٣٣) هذه الممالك أو الإيّونات (éons) هي ممالك تحتيّة هنا. هي أكثر من نسخات أو انعكاسات للممالك (أو الإيّونات) العلويّة. هذه التيمة Thème ستكون موضوع نقاش كامل في الآتي من النصّ. إنّ الطابع الأفلاطونيّ لهذه التيمة هو واضح، غير أنّ المضمون الأفلاطونيّ لملكوت المُثل وانعكاسات المُثل في عالمنا، يفسَّر بشكل غنوصيّ، في **إنجيل يهوذا** وفي نصوص أخرى ولاسيّما الشيتيّة منها.

قوى أخرى]...[بها تتسلَّطون[٣٤].

حين سمع تلاميذه هذا، تبلبل كلٌّ واحد في روحه، وما استطاعوا أن يقولوا كلمة.

في يوم آخر، أتى يسوع إليهم. فقالوا له: «يا معلّم، رأيناك في رؤية: لأنّنا حلمنا أحلامًا كبيرة]...[الليل(٣٥)]...[».

فقال: «لماذا أنتم]...[حين مضيتُم فاختبأتم؟»[٣٦] **(٣٨)**

رؤية التلاميذ للهيكل

قالوا[٣٧]: «رأينا بيتًا كبيرًا مع مذبح عريض فيه، واثني عشر رجلاً – هم الكهنة، نودّ أن نقول – واسمًا[٣٨]. وجمهورَ شعب ينتظرون عند ذاك المذبح[٣٩] إلى أنّ

---

(٣٤) في هذا المقطع، يقول يسوع، على ما يبدو، مع أمور أخرى، بأنّ الجيل الكبير يأتي من العلاء ولا يمكن كبحه، وإنّ ذاك الشعب الذي هو جزء من العالم التحتيّ، يعيش في الموات ولا يقدر أن يصل إلى ذاك الجيل الكبير.

(٣٥) قد نستطيع أن نعيد بناء النصّ، بشكل موقّت، كما يلي: «لأنّنا حلمنا أحلامًا كبيرة عن الليلة التي فيها أتوا لكي يوقفوك». في هذه الحالة، يرجع التلاميذ إلى تنبيه مسبق عن توقيف يسوع في بستان الجسمانيّة.

(٣٦) إن قُبل التصحيح المقدَّم في الحاشية السابقة، نكون أمام رجوع إلى التلاميذ الذين هربوا خوفًا واختبأوا، حين أُوقف يسوع. رج مت ٢٦: ٥٦؛ مر ١٤: ٥٠–٥٢.

(٣٧) يشير هذا النصّ إلى أنّ التلاميذ رأوا في رؤية الهيكل اليهوديّ في أورشليم أو (بأقلّ معقوليّة) مضوا لزيارة الهيكل. حينئذٍ نقلوا ما رأوا. ونلاحظ ضمير الجمع المتكلّم «نحن» في هذا المقطع. (عنوانه: رأى التلاميذ الهيكل وتحدّثوا عنه). في القسم التالي، يسوع يقدِّم تفسيرًا أليغوريًّا (أو استعاريًّا) لرؤية الهيكل)، رجع يسوع بشكل صريح إلى ما رأى التلاميذ. هذا يقدِّم جزءًا من التبرير لإعادة بناء الفجوة. في هذا القسم في العهد الجديد، تُروى زيارات ليسوع وتلاميذه إلى الهيكل. رج مت ٢١: ١٢–١٧؛ ٢٤: ١–٢٥: ٤٦؛ مر ١١: ١٥–١٩؛ ١٣: ١–٣٧؛ لو ١٩: ٤٥–٤٨؛ ٢١: ٥–٣٨؛ يو ٢: ١٣–٢٢.

(٣٨) هو اسم يسوع. رج **إنجيل يهوذا** ٣٨ (اسمُك) ٣٩ (اسمي). في إطار الهيكل اليهوديّ في أورشليم، الرجوع إلى «الاسم» قد يُفهَم رجوعًا إلى اسم الله (يهوه) الذي لا يُلفَظ في العالم اليهوديّ.

(٣٩) في النصّ تتكرَّر عبارة «عند المذبح» في عدم انتباه من قبل الناسخ.

الكهنة]...[وتقبّلوا تقادمهم. ولكن بقينا منتظرين».

فقال يسوع: «ماذا يشبه الكهنة؟»(٤٠)

قالوا: البعض(٤١)]...[أسبوعين. البعض يذبحون أولادهم، والآخرون نساءهم. في مذبح الواحد للآخر وفي (أو في) تواضع. بعضهم نام مع رجال، بعضهم معنيّ بالقتل(٤٢). بعضهم اقترف عددًا من الخطايا والأعمال المعارِضة للشريعة. والرجال الذين وقفوا أمام المذبح، دعوا اسمك، (**٣٩**) وفي كلّ أعمال نقصانهم(٤٣)، رُفعت الذبائح إلى تمام]...[».

بعد أن قالوا هذا، هدئوا لأنّهم كانوا مضطربين.

يسوع يفسّر الرؤية

فقال يسوع لهم(٤٤): «لماذا أنتم مضطربون؟ أمين أقول لكم: جميعُ الكهنة الذين يقفون أمام هذا المذبح يدعون اسمي. وأيضًا أقول لكم: اسمي كُتب على هذا]...[جيل النجوم عبر الأجيال البشريّة. وزرعوا أشجارًا من دون ثمار، باسمي في شكلٍ مخزٍ»(٤٥).

(٤٠) حاولنا إعادة بناء النصّ، ولكنّ الأمر معقول في هذا السياق.

(٤١) هنا تصوير هجوميّ على رؤساء الكنيسة الجامعة الظاهرة في تفسير استعاري، في رؤية الهيكل التي منحها يسوع، في **إنجيل يهوذا** ٣٩-٤٠.

(٤٢) محاولة بناء النصّ.

(٤٣) النقصان déficience: كلمة تقنيّة لدى الشيتيّين ونصوص أخرى. نقص النور الإلهيّ والمعرفة يُعزى إلى سقوط الأمّ – صوفيا أو حكمة الله – وبعد ذلك إلى غياب الاستنارة. رج رسالة بطرس إلى فيلبّس ٣-٤ (كودكس تشاكوس) ١٣٥ (نجع حمادي الكودكس ٨). يرد هذا المقطع فيشرح الكتاب. والكلام عن «صوفيا» القابلة للفساد، رج **إنجيل يهوذا** ٤٤.

(٤٤) التفسير الاستعاريّ (أليغوريّا) لرؤية الهيكل.

(٤٥) الرجوع إلى غرس أشجار من دون ثمار، باسم يسوع، يبدو إشارة إلى الذين يعظون باسم يسوع، ولكنّهم يعلنون إنجيلاً لا يحمل مضمونًا مثمرًا. والصورة عينها لأشجار تحمل (أو لا تحمل) ثمرًا، نجدها في **وحي آدم** (٧٦، ٨٥). رج **إنجيل يهوذا** ٤٣. وقد نستطيع أن نقابل هذا مع التينة التي لعنها الربّ، في مت ٢١: ١٨-١٩؛ مر ١١: ١٢-١٤.

فقال لهم يسوع: «هؤلاء الذين رأيتموهم يتقبّلون التقادم عند المذبح، ذاك هو أنتم(٤٦). ذاك هو الإله الذي تعبدون. وأنتم هؤلاء الاثنا عشر الذين رأيتم. والقطيع الذي رأيتموه محمولاً للذبيحة هو ذاك الشعب الكثير الذي تضلّون. (٤٠) أمام هذا المذبح(٤٧)]...[يقف ويستعمل اسمي في هذه الطريقة، وأجيال الأتقياء تبقى أمينة له. وبعده(٤٨) إنسان آخر يقف هناك بين الفاجرين(٤٩)، وآخر يقف هناك بين ذابحي الأطفال(٥٠)، وآخر بين هؤلاء الذين ينامون مع الرجال(٥١)، والذين يمتنعون(٥٢)، وباقي شعب الفساد والكفر والضلال، والذين يقولون: "نحن مثل الملائكة". هم النجوم الذين يحملون كلَّ شيء إلى خاتمته. فقد قيل للأجيال البشريّة: «أنظروا! تقبَّل الله ذبيحَتكم من يدي كاهن «الذي هو خادم الضلالٌ. لكن الربّ، ربّ المسكونة(٥٣)، هو من يوصي: «في اليوم الأخير يكونون إلى الخزي»(٥٤). (٤١)

(٤٦) في هذه القطعة يفسِّر يسوعُ ما رآه التلاميذ في الهيكل: استعارة عن الديانة الضالّة في الكنيسة الجامعة. الكهنة هم التلاميذ، وربّما خلفاؤهم في الكنيسة. والحيوانات المقادة لكي تُنحَر، هي ذبائح ممارسة دينيّة غير ملائمة في الكنيسة.

(٤٧) ربّما «رئيس (أو أركون αρχων) هذا العالم». رج ١كور ٢: ٨.

(٤٨) أو: «بعد هذا»، أقلّ معقوليّة.

(٤٩) من اليونانيّة: παριστα في خطّ، في مساواة مع: قد يكون الشعب الواقف، الرؤساءَ في الكنيسة الرسميّة. هم يُدانون. في هذا القسم الهجوميّ، على أنّهم يعملون كمعاونين لسيّد (أركون) هذا العالم (أي الشيطان، يو ١٢: ٣١). نستطيع أن نترجم الفعل «مثل» بدل «وقف بين».

(٥٠) يبدو النصّ وكأنّه يشير إلى رؤساء الكنيسة الرسميّة: هم لاأخلاقيّون في حياتهم ويحملون الخطر إلى أولاد الله فيقودونهم إلى الموت الروحيّ. هذه الصورة تستعيد المقابلة مع القطيع المُقاد إلى الموت كذبيحة في الهيكل.

(٥١) الاتّهام بالنجاسة والفجور، إشارة نموذجيّة في البراهين الهجوميّة. فالمقاومون يُعتَبرون مرارًا بأنّهم شعب لاأخلاقيّ.

(٥٢) أو: يصومون. هي نظرة سلبيّة إلى الصوم. رج **إنجيل توما** ٦: «سأله تلاميذه وقالوا له: «أتريد أن نصوم؟ وكيف نصلّي؟ وهل نتصدَّق؟ وفي ما يخصّ الطعام، ما هي القواعد التي نحافظ عليها؟» فقال يسوع: «لا تتكلّموا كذبًا، ولا تفعلوا ما تبغضون، لأنّ كلَّ شيء مكشوف أمام السماء...».

(٥٣) أو: الكل. أي ملء ملكوت الله العلويّ.

(٥٤) في نهاية الزمن، رؤساء الكنيسة الرسميّة يُعاقَبون بسبب أعمال كفرهم.

فقال لهم يسوع: «توقّفوا عن الذبائح]...[التي[٥٥]]...[فوق المذبح، من حيث إنّها فوق نجومكم وملائكتكم، وقد أتيتم منذ الآن إلى خاتمتها هناك[٥٦]. أتركوهم يتقاتلون[٥٧] أمامكم، واتركوهم يمضون (ضاعت قرابة ١٥ سطرًا) أجيال. فالخبّاز لا يستطيع أن يطعم الخليقة كلّها تحت السماء[٥٨] **(٤٢)** و]...[لهم و]...[لنا و.]...[»

وقال لهم يسوع: «توقّفوا عن القتال معي. لكلٍّ واحد منكم نجمه[٥٩]، وكلّ جسد (ضاعت قرابة ١٧ سطرًا) **(٤٣)** الذين أتوا ...[ربيع] من الشجرة[٦٠]]...[هذا الإيّون]...[لزمن]...[ولكنّه أتى إلى مياه فردوس[٦١] الله والجيل[٦٢] الذي يمتدّ، لأنّه لا يريد أن ينجّس طريقة حياة ذاك الجيل، بل]...[من الأبد إلى الأبد».

سؤال يهوذا حول الأجيال البشريّة

فقال له[٦٣] يهوذا: «رابّي، أيّ نوع من الثمار[٦٤] يُنتج هذا الجيل؟»

---

(٥٥) ربّما: تقدِّمون.

(٥٦) يبدو يسوع وكأنّه يقول: رؤساء الكنيسة أقوياء، ولكن نهايتهم آتية.

(٥٧) المعنى ليس أكيدًا. ربّما: يقعون في الفخّ.

(٥٨) قد نكون هنا أمام قول مأثور حول أهداف معقولة يستطيع الشعب أن يصل إليها. في هذه الحال، قرّاء إنجيل يهوذا يواجهون مقاومة من قبل الكنيسة الرسميّة. مقابل هذا، قد يعني القول انتقادًا للإفخارستيّا كما يُحتفل بها في الكنيسة الرسميّة.

(٥٩) التعليم هنا وفي سائر **إنجيل يهوذا** بأنّ لكلّ شخص نجمه، قد يعكس تمثُّل أفلاطون في كتابه Timée. بعد قول قاله خالق الكون يقال بأنّ الخالق «عيّن كلّ نفس لنجم». وأعلن: «الإنسان الذي يعيش حسنًا خلال الزمن المحدَّد له، يعود ويُقيم في نجم وُلد فيه» (٤١د– ٤٢ب).

(٦٠) العودة إلى الشجرة في هذه الأجزاء، قد تدلّ على شجرة من شجر الفردوس. مرّات عديدة كان كلام عن شجر في الفردوس في النصوص الغنوصيّة، وشجرة معرفة (gnosis) الخير والشرّ يفكّرون فيها مرارًا على أنّها ينبوع معرفة الله. رج **الكتاب السرّيّ ليوحنّا** ٢: ٢٢–٢٣.

(٦١) رج تك ٢: ١٠: «يخرج نهر يسقي الجنّة».

(٦٢) أو: النسل γενος في اليونانيّ.

(٦٣) هنا يسأل يهوذا يسوع عن هذا الجيل وعن الأجيال البشريّة.

(٦٤) نقابل ما يقال هنا مع **إنجيل يهوذا** ٣٩، حيث الكلام عن الذين يغرسون بدون ثمر.

فقال يسوع: «ستموت نفوس كلِّ جيل بشريّ. ولكن حين يُتمّ هذا الشعبُ زمنَ الملكوت، ويتركهم الروح(٦٥)، تموت أجسادهم. ولكنّ نفوسهم تبقى في الحياة وتُرفَع».

فقال يهوذا: «وماذا تفعل بقيّةُ الأجيال البشريّة؟»

فقال يسوع: «لا يمكن (**٤٤**) أن نزرع زرعًا على الصخر(٦٦) ونقطف ثمره. هذه أيضًا طريق]...[الجيل النحس]...[والحكمة(٦٧) القابلة للفساد]...[اليد التي خلقت الشعب المائت بحيث ترتفع نفوسهم إلى الملكوت الأبديّ في العلاء. آمين، أقول لكم]...[ملاك]...[قوّة(٦٨) تستطيع أن ترى أنّ]...[هذه للذي]...[الأجيال المقدَّسة]...[».

بعد أن قال يسوع هذا، انصرف.

ج- المشهد الثالث(٦٩) رؤية نالها يهوذا وجواب يسوع

فقال يهوذا: «يا معلِّم، كما استمعتَ إليهم كلِّهم، استمعْ إليَّ أنا الآن. فقد رأيتُ رؤية عظيمة».

---

(٦٥) أو ربّما: نسمة الحياة. رج **إنجيل يهوذا** ٥٣ في كلام عن الروح والنفس.

(٦٦) رج مثل الزارع في مت ١٣: ١-٢٣؛ مر ٤: ١-٢٠؛ لو ٨: ٤-١٥ (ما وقع على الصخر). **إنجيل توما** ٩. بحسب هذا المثل، نرى الزرعَ الذي يُزرَع والأرض الصخريّة التي لا تستطيع أن تجد جذرًا وبالتالي لا تستطيع أن تنتج الحبّ.

(٦٧) sophia. هي في التقليد الغنوصيّ جزء من الإلوهة التي سقطت في سقْطة الحكمة، وأعيدت أيضًا إلى ملء الألوهة. تُشخَّص «صوفيا» مرارًا على أنّها مؤنّثة في الأدب اليهوديّ المسيحيّ، وتلعب دورًا مركزيًّا في النصوص الغنوصيّة، بما فيها النصوص الشيتيّة. راجع مثلاً خبر سقوط الحكمة (صوفيا) في **الكتاب السرّيّ ليوحنّا** ٢: ٩-١٠. بحسب الأخبار الغنوصيّة، ابن صوفيا هو الباري ساكلاس Saklas أو يلدا باؤوت yaldabaoth. رج **إنجيل يهوذا** ٥١.

(٦٨) نستطيع أن نقرأ ربّما: «ملاك بعظَم قوّة» أو: «ملاك بقوّة عظيمة».

(٦٩) يورد يهوذا الرؤية ويسوع يجيب.

حين سمع يسوع هذا، ضحك وقال له: «أنت الروح الثالث عشر(٧٠). لماذا تقوم بمجهود كبير؟ ولكن تكلّم وأنا أحمل معك».

فقال له يهوذا: «في الرؤية، رأيتُ نفسي، والتلاميذ الاثنا عشر يرجمونني (٤٥) ويضطهدونني بقساوة. فجئتُ أيضًا إلى الموضع حيث]...[بعدك. رأيتُ بيتًا (٧١)]...[فما استطاعت عيناي أن تدرك قامته. وشعبٌ كبير كان يحيط به. وكان لهذا البيت سقف من خضار(٧٢)، وفي وسط البيت كان جمهور (ضاع سطران) قائلاً(٧٣): "يا معلّم (رابي)، أدخلْني إليه مع هذا الشعب».

فأجاب يسوع وقال: «نجمك قادك إلى الضلال». وتابع: «ما من إنسانٍ ولادةٍ مائة يستحقّ أن يدخل البيت الذي رأيتَ، لأنَّ هذا الموضع محفوظ للمقدَّس(٧٤). فلا الشمس ولا القمر يسودان هناك. لا النهار بل المقدّس يقيم(٧٥) هناك على الدوام في الملكوت الأبديّ مع الملائكة القدّيسين(٧٦). أنظر. شرحتُ لك أسرار الملكوت (٤٦) وعلّمتك حول ضلال النجوم و]...[إرساله]...[في الإيّونات الاثني عشر».

(٧٠) أو «شيطان δαιμων (الجنّ) الثالث عشر». يهوذا هو الثالث عشر لأنّه التلميذ الذي استُبعد من حلقة الاثني عشر، وهو دايمون لأنّ هويّته الحقيقيّة هي روحيّة. رج أخبار سقراط وشياطينه أو شيطانه "δαιμων, ou δαιμονιον".Platon, *Symposium*, 202a, 203a

(٧١) يورد يهوذا رؤية يجد فيها مقاومة صعبة من قبل سائر التلاميذ. رج **إنجيل يهوذا** ٣٥-٣٦، ٤٦-٤٧. في هذه الرؤية، اقترب يهوذا من موضع، وذكر يسوع («بعدك»). هناك بيت سماويّ عظيم، فطلب يهوذا إن كان يُقبَل داخل ذاك البيت مع الآخرين الذين دخلوا. عن هذا البيت السماويّ أو المقام، رج يو ١٤: ١-١٤. وهناك حديث عن صعود يسوع أو تجلّيه في **إنجيل يهوذا** ٥٧-٥٨.

(٧٢) يبدو أنّ الناسخ أخطأ. فاقترح التصحيح.

(٧٣) هو لفظ يتضمّنه النصّ.

(٧٤) أو: للقدّيسين.

(٧٥) أو: يقف.

(٧٦) هي صورة جليانيّة عن السماء. رج رؤ ٢١: ٢٣. بحسب **الكتاب السرّيّ ليوحنّا** ٢: ٢٩، نفوس المقدّس أو القدّيسين تسكن في الملكوت الأبديّ الثالث مع النيّر الثالث δαυειθαι. مسكن سُلالة شيت. رج أيضًا **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ** ٣: ٥٠-٥١.

سؤال يهوذا عن مصيره

فسأل(٧٧) يهوذا: «يا معلِّم، هل يكون زرعي(٧٨) خاضعًا لمراقبة الرؤساء؟»(٧٩)

فأجاب يسوع وقال له: «تعال. ما أنا (غاب سطران). ولكن هذا يُتعبك كثيرًا حين ترى الملكوت وكلَّ الأجيال».

حين سمع يهوذا هذا قال له: «أيّه الصالح الذي تسلّمتُه؟ فأنت فرزتني من هذا الجيل».

فأجاب يسوع وقال: «ستكون الثالث عشر(٨٠). وستلعنك الأجيال الأخرى، وستأتي لتسود عليهم(٨١). في الأيّام الأخيرة، سيلعنون صعودك(٨٢) **(٤٧)** إلى الجيل المقدَّس».

تعليم يسوع عن الإسكاتولوجيّا

قال(٨٣) يسوع: «تعالَ فأعلِّمك عن أسرارٍ(٨٤) ما رآها إنسان. فهناك يُوجَد

(٧٧) هنا يسأل يهوذا عن مصيره

(٧٨) الزرع هو الجزء الروحيّ من الشخص، وشرارة الألوهة فيه. وفي شكل جماعيّ، هو نسل الذين خرجوا من الألوهة. هكذا يُدعى زرع شيت (أو نسله) في النصوص الشيتيّة الغنوصيّة.

(٧٩) أركون، أراكين archon. هم رؤساء (قوّاد) هذا العالم ولاسيّما قوى الكون التي تتشارك مع الباري Demiurge. يمكن أن نترجم هذه العبارة أيضًا: "هل يخضع زرعي للرؤساء؟"

(٨٠) **إنجيل يهوذا** ٤٤، حيث يقال إنّ يهوذا هو الروح أو الشيطان

(٨١) حول لعنة يهوذا، رج مت ٢٦: ٢٠-٢٥؛ ٢٧: ٣-١٠؛ مر ١٤: ١٧-٢١؛ لو ٢٢: ٢١-٢٣؛ يو ١٣: ٢١-٣٠؛ أع ١: ١٥-٢٠: يقال هنا إنّ يهوذا كان موضع احتقار لدى التلاميذ الآخرين. ولكنّه سيكون أعظم منهم على أنّه التلميذ المميَّز.

(٨٢) أو «الرجوع إلى فوق». هذا الانتقال هو موقّت. يبدو النصّ وكأنّه يلمّح إلى نوع من التحوّل أو الصعود كما في **إنجيل يهوذا** ٥٧ (تجلّي يهوذا، وفي ١كور ١٢: ٢-٤ (انخطاف، صعود رجل، هو بولس، إلى السماء الثالثة).

(٨٣) هنا يعلّم يسوع يهوذا عن الكوسمولوجيّا (أو علم الكون). الروح والولادة الذاتيّة.

(٨٤) أو: الأمور الخفيّة. إعادة البناء أمر موقّت. من أجل خبر كامل عن الإسكاتولوجيّا الشيتيّة، رج **الكتاب السرّيّ ليوحنّا، والكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ**.

ملكوتٌ عظيم، لا حدود له. ما رأى جيلُ الملائكة امتداده، وفيه روح عظيم، خفيّ»[٨٥].

الذي ما رأته عينُ ملاك

ولا أدركه فكرُ قلب

وما دُعيَ يومًا باسم[٨٦].

«وظهرت هناك غمامة مضيئة[٨٧]. فقال (الروح): "يا ليت ملاكًا يأتي إلى الوجود فيكون حارسي» (أو: مساعدي، من يقف لديّ).

«فبرز من الغمامة ملاكٌ كبير، الألوهة المولَّدة نفسها[٨٨]، المضيئة. من أجله، أتى إلى الوجود أربعةُ ملائكة آخرين، من غمامة أخرى، وصاروا حرّاسًا

---

(٨٥) أو: الروح (مع أل التعريف) العظيم الخفيّ. في عدد من النصوص الشيتيّة (مثلاً الكتابان المذكوران في الحاشية السابقة). الألوهة المتسامية تُدعى الروح العظيم الخفيّ.

(٨٦) رج ١كور ٢: ٩؛ **إنجيل توما** ١٧. **صلاة بولس الرسول** أ. النصّ الموازي في الصلاة الولنطينيّة لبولس الرسول، قريبة في جزء منها في التعبير الذي نقرأ في إنجيل يهوذا: «إمنحْ عيون الملائكة ما رأت، وآذان الرئاسات ما سمعت. وما لم يخطر على قلب بشر، ذاك الذي يصبح ملائكيًا، مصنوعًا في صورة إله محيي حين تكوَّن في البداية». برزت عصمةُ الألوهة وتساميها في عدد من النصوص الغنوصيّة، ولاسيّما الشيتيّة منها (**الكتاب السرّيّ ليوحنّا** ٢: ٢-٤؛ **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ** ٣: ٤٠-٤١؛ **الآخر الغريب**. رج إيرينه، أسقف ليون (فرنسا) **ضدّ الهراطقة** ١/٢٩: ١-٤ حول «الغنوصيّين» أو «البربيلو غنوصيّين»؛ **إنجيل يهوذا** ٣٥.

(٨٧) أو «غمام نور». الغمامة المضيئة هي تجلّي حضور الألوهة في السماء المجيدة. وغمامات النور تظهر مرارًا في الوصف القديم للظهورات الإلهيّة. في أخبار تجلّي يسوع في العهد الجديد، رافقت الغمامةُ المضيئة كشْف المجد (مت ١٧: ٥-٦؛ مر ٩: ٧-٨؛ لو ٩: ٣٤-٣٥). في «الكتاب المقدَّس للروح العظيم الخفيّ» تلعب الغمامات السماويّة أيضًا دورًا كبيرًا. في **الكتاب السرّيّ ليوحنّا**، هناك نور يحيط بأبي الجميع.

(٨٨) αυτογενης. في القبطية Autogenes يحبل بنفسه. يلد نفسه، ينجب نفسه. هذا المولّد نفسه Self-Conceived Self-Begotten, Self Engendered, (بمعنى: لا أحد يلده) هو ابن الألوهة، في النصوص الشيتيّة. رج **الكتاب السرّيّ ليوحنّا** ٢: ٧-٩؛ **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ** ٣: ٤٩؛ ٤: ٦٠ *Zostrianos* 6, 7, 127 *Allogenes the Etranger* 127-128

Παρσαστασις للملاك المولِّد نفسه[٨٩]. وقال المولِّد نفسه (٤٨): «يا ليت]...[يأتي إلى الوجود .]...[فأتى إلى الوجود]...[وخَلقٍ النيّر φωστηρ الأوّل لكي يملك عليه. قال«يا ليت الملائكة يأتون إلى الوجود ليخدموه[٩٠]، وربوات لا عدّ لها أتت إلى الوجود. قال: «يا ليت الإيّون المضيء[٩١] يأتي إلى الوجود». فأتى إلى الوجود خَلق النيّر الثاني ليملك عليه مع ربوات ملائكة، لا عدَّ لها، من أجل الخدمة. وهكذا خلق بقيّة الإيّونات المضاءة. وجعلها تملك عليها. وخلق لها ربوات ملائكة لا عدَّ لها، لكي تساعدها[٩٢].

آدم والنيّرات

«كان آداماس[٩٣] أوّل غمام[٩٤] مضيء، بحيث إنّ لا ملاك رأى يومًا وسط هذه كلّها، المدعوّ «الله». هو **(٤٩)**]...[الذي]...[الصورة]...[وبعد شبه هذا الملاك. جعل جيلَ شيت[٩٥] اللافاسد يظهر]...[الاثني عشر[٩٦]]...[

(٨٩) في **كتاب يوحنّا السرّيّ** ٢: ٧-٨، كانت أسماء للنيّرات الأربعة: هرموزيل، أورئيل، وأويتاي، إلالات. أتوا إلى الوجود عبر المولِّد نفسه. رج أيضًا **الكتاب المقدَّس للروح العظيم الخفيّ** ٣: ٥١-٥٣: *Zostrianos* 127-128؛ **ثلاثة أشكال للفكر الأوّل** ٣٨-٣٩.

(٩٠) أو: ليعبدوه. ليقدِّموا له العبادة.

(٩١) أو: إيّون الضوء.

(٩٢) بحسب النصّ، امتلأ الملكوت الإلهيّ بالنيّرات، بالإيّونات éons، بالملائكة الذين أتوا إلى الوجود بيد الكلمة الخلاّقة، كلمة المولِّد نفسه، لخدمة الألوهة وعبادتها.

(٩٣) هو آدم، أوّل رجل في سفر التكوين. يُفهَم هنا، كما في عدد من النصوص الغنوصيّة الأخرى، أنّه النموذج البشريّ للملكوت الإلهيّ، والصورة الرفيعة للبشريّة. رج مثلاً، **كتاب يوحنّا السرّيّ** ٢: ٨-٩. هنا يظهر آدم مع النيّرات.

(٩٤) أوّل غمام مضيء هو التجلّي البدئيّ للاهوت. رج **إنجيل يهوذا** ٤٧.

(٩٥) هذا هو شيت ابن آدم. هو أيضًا في الملكوت الإلهيّ. رج تك ٤: ٢٥-٥: ٨. إنّ دور شيت كمُنجب نسل شيت (هذا الجيل) ثابت في النصوص الشيتيّة. رج **إنجيل يهوذا** ٥٢.

(٩٦) نلاحظ الأرقام: ١٢، ٢٤، ٧٢، ٣٦٠. نجدها في الكتاب المقدَّس. فالرقم ٧٢ يدلّ على القبائل الاثنتي عشرة مع ستّة أشخاص لكلِّ قبيلة. والعدد ٣٦٠ هو عدد أيّام السنة التي كانت ١٢ شهرًا مع ثلاثين يومًا لكلِّ شهر.

الأربعة وعشرين]...[جعل النيّرات الاثنين والسبعين يظهرون في الجيل اللافاسد، باتّفاق مع إرادة الروح. والنيِّرات الاثنان والسبعون نفسها جَعلت ٣٦٠ نيرًا يظهرون في الجيل اللافاسد، باتّفاق مع إرادة الروح، بحيث يكون عددُها خمسة لكلٍّ واحد(٩٧).

«الإيّونات الاثنا عشر للنيّرات الاثني عشر، تكوِّن أباها، مع ستّ سماوات لكلّ إيّون، بحيث إنّ هناك ٧٢ سماء من أجل ٧٢ نيّرًا، ولكلٍّ منهم خمسة أفلاك، فيكون المجموع ٣٠ فلكًا .]...[أُعطيَت لهم سلطة وجيش كبير من الملائكة، لا عدّ له، من أجل المجد والسجود، وبعد ذلك أيضًا بتولون(٩٨) أرواح(٩٩) (**٥٠**) من أجل المجد والسجود لدى كلِّ الإيّونات والسماوات وأفلاكها(١٠٠).

الكون والشواش والأسافل

«وكثرة هؤلاء الخوالد تُدعى الكون (كوسموس)، أي الهلاك(١٠١)، بواسطة الآب (الأب) و٧٢ نيّرًا هي مع المولِّد نفسه مع إيّوناته الاثنين والسبعين فيه(١٠٢).

(٩٧) في النهاية، يتمّ كلُّ شيء بالاتّفاق مع إرادة الألوهة، مع الروح.

(٩٨) في النصوص الشيتيّة يُستعمل لفظ «بتول» كصفة لعدد من التجلّيات الإلهيّة والقوى، للتشديد على طهارتها. في الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ، مثلاً، الروح الخفيّ العظيم، بربيلو، يوئيل، بلاسيتايا، يصوّرون على أنّهم بتولون. وجاءت إضافة مصنوعة من عدد من البتولين.

(٩٩) كتاب«**أوغنوستس المبارك**» ضمّ مقطعًا عن الإيّونات، فذكر أيضًا الأرواح البتولين. وهذا المقطع (نجع حمادي، كودكس ٣: ٨٨–٨٩) قريب جدًّا من النصِّ الذي ندرس. رج ملحق ٤.

(١٠٠) هذه الإيّونات (النيّرات، القوى الروحيّة في الكون)، تمثّل وجهات العالم ولاسيّما الزمن ووحدات الزمن. مع الإيّونات ١٢، نقابل أشهر السنة أو علامة الأبراج «zodiaque». مع ٧٢ سماء أو نيّرًا، نقابل العدد التقليديّ للأمم في الكون. بحسب العوائد اليهوديّة. ومع ٣٦٠ فلكًا، نقابل عدد الأيّام في سنة شمسيّة، دون حساب الخمسة أيّام المضافة. هذا المقطع في **إنجيل يهوذا**، يوازي ٣: ٨٣–٨٤ في **أوغنوستُس المبارك** (ملحق ٣) الذي يقدِّم عددًا مماثلاً من الإيّونات والسماوات والأفلاك.

(١٠١) لا يشبه عالمُنا الملكوتَ الإلهيّ في العلاء. فهو معرَّض للانحلال وبالتالي تكون نهايته الدمار.

(١٠٢) أي في الكون κοσμος في اليونانيّة.

ظهر الإنسان الأوّل مع قوى غير قابلة للفساد. والإيّون الذي ظهر مع جيله، الإيّون الذي فيه غمامة المعرفة (غنوسيس γνωσις) والملاك يُدعى (**٥١**) إيل(١٠٣)]...[إيّون]...[بعد هذا]...[قال: «يا ليت اثني عشر ملاكًا يأتون إلى الوجود ليتسلّطوا على الشواش والعالم السفليّ». وانظُرْ من غمامة ظهرت هناك، ملاكًا يشعّ وجهه بالنار وتنجّس ظاهرُه بالدم. اسمه كان نبرو(١٠٤) الذي يعني «المتمرِّد»(١٠٥). وآخرون دعوه يلدا باؤوت(١٠٦). وملاك آخر، ساكلاس(١٠٧)، أتى أيضًا من الغمام. وهكذا خلق نبرو ستّةَ ملائكة، شأنه شأن ساكلاس، ليساعدوه، وهؤلاء أنتجوا ١٢ ملاكًا في السماوات، حيث نال كلٌّ واحد حصّة في السماوات(١٠٨).

---

(١٠٣) إيل هو اسم الله في الساميّة القديمة. في النصوص الشيتيّة، الأسماء المذكورة مثل إلوايوس، تستعمل للكلام عن قوى وسلطات في هذا العالم. أمّا **الكتاب السرّيّ ليوحنّا** فعاد أيضًا إلى إلوهيم كما في البيبليا.

(١٠٤) في **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ** (٣: ٥٧)، نبروئيل هو الشيطان δαιμων الكبير الذي تجامع مع ساكلاس فأنتج ١٢ إيّونًا. رج أيضًا عن دور نبروئيل في النصوص المانويّة. هنا أخذ اسمُ نبرُ بدون «إيل» في **كتاب يوحنّا السرّيّ** (أبوكريفون) ١٢: ١٠، الباري يلدا باؤوت له شكل أفعى مع وجه أسد. وعيناه تشبهان مغاليق ترسل الأنوار. في «**الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ**» ٣: ٥٦–٥٧، صوفيا الماديّة لها ظاهر الدم: «غمامة اسمها صوفيا المادّيّة ظهرت... راقبت مناطق الشواش وبدا وجهُها مثل... في ظاهرها... دم.

(١٠٥) أو: الجاحد apostat في اليونانيّة αποστατης هو من تخلّى عن عقيدته، وارتدّ. قد يبدو نبرو آتيًا من نبرود في تك ١٠: ٨–١٢ (١أخ ١: ١٠)، كما نقرأه في السبعينيّة. وهو في العبريّة «نمرود». كلٌّ هذا يعكس تقليدًا معروفًا في الشرق القديم (نشير في شكل عابر بأنّ نمرود بُنيَ على وزن مردوك إله بابل، الذي اعتُبر المتمرِّد على الربّ الإله).

(١٠٦) هو الاسم العاديّ للباري démiurge في النصوص الشيتيّة. يتألّف من «ي ل د ا» ولد، «باؤوت» (أو: صباؤوت) الجنود. هو ولد الصباؤوت أو الجنود.

(١٠٧) ساكلاس (أو سكلا في **إنجيل يهوذا** ٥٢). هو أيضًا اسم الباري. يعود إلى الآراميّة السريانيّة (س ك ل ا: الجاهل). هكذا نقرأه في النصوص الشيتيّة.

(١٠٨) بدا النصّ غامضًا، بحيث إنّ دور ساكلاس وعلاقته مع نبرو، لبَثَتْ غير أكيدة. إذا كان نبرو وساكلاس خَلَقا، كلٌّ واحد، ستّة ملائكة، هذا يعني أنّهما أنتجا ١٢ ملاكًا. رج **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفي** ٣: ٥٧–٥٨: «إن ساكلاس، الملاك الكبير، لاحظ نبروئيل الشيطانَ الكبير الذي هو فيه. معًا حملا روح إنتاج على الأرض، فأنتجا المساعدين الملائكة. قال ساكلا لنبرونيل، الشيطان الكبير: «يا ليت ١٢ ملكوتًا يأتون إلى الوجود في... ملكوت، عوالم...». عبر إرادة المولِّد نفسه، قال ساكلا الملاك الكبيرُ: «هناك يكون... ٧ في العدد».

الرؤساء والملائكة

«وتكلَّم(١٠٩) الرؤساء الاثنا عشر مع الملائكة الاثني عشر: "يا ليت كلّ واحد منكم (٥٢)]...[ويا ليتهم]...[جيل (ضاع سطر واحد) ملائكة:

الأوّل هوشيت. يُدعى المسيح(١١٠)

الثاني هو حرماتوت، الذي هو]...[

الثالث هو جليلا

الرابع هو يوبيل

الخامس هو أدونايوس

هؤلاء هم الخمسة الذين يسيطرون على العالم التحتيّ، وعلى الشواش قبل كلِّ شيء(١١١).

خلق البشر

«حينئذٍ قال ساكلاس لملائكته: «لنخلق إنسانًا بحسب الشبه وبحسب

---

(١٠٩) يواصل يسوع كلامه حول الرؤساء والملائكة.

(١١٠) هنا كما في سائر النصوص المسيحيّة الشيتيّة، يصوَّر المسيح على أنَّه تجلّي شيت في هذا العالم. في **الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ** ٣: ٦٣-٦٤، يعود النصّ إلى «الواحد اللافاسد الذي حبلت به الكلمة (لوغوس). يسوع الحيّ الذي به كان يسوع مرتديًا». في **ثلاثة أشكال للفكر الأوّل**، ٥٠، الكلمة أو (اللوغوس أعلن: «لبست يسوع. حملتُه بعيدًا عن الخشبة (الصليب) وجعلته في موضع إقامة أبيه». رج **إنجيل يهوذا** ٥٦.

(١١١) في الكتاب... الروح ٣: ٥٨، عَبْر نبروئيل وساكلاس، أُنتج ١٢ ملاكًا، وكثيرون منهم كانت أسماؤهم شبيهة أو متماهية مع الأسماء المذكورة هنا، مع إشارة إلى قايين (رج ملحق ٦). فالرجوع إلى قايين يذكّرنا بما أكّده إيرينه أسقف ليون (**الهراطقة** ١/٣١: ١): إن الذين ألّفوا إنجيل يهوذا، عاد إلى سلطة قايين، مع أنّ قايين لا يُذكر على امتداد نصّ **إنجيل يهوذا**. في **كتاب يوحنّا السرّيّ** ٢: ١٠-١١، نقرأ لائحة مماثلة من الأسماء، ويقال إنّ سبعة يسيطرون على سبع دوائر السماء (الشمس، القمر، وخمس كواكب هي عطارد، فينوس، المرّيخ، جوبيتر، زحل)، وخمسة يتسلّطون على عمق الأسافل.

الصورة(١١٢). صنعوا آدم وحوّاء امرأته التي دُعيت في الغمامة ζωη(١١٣). فبهذا الاسم كلّ الأجيال طلبت رجلاً، وكلّ واحد منهم سمّى المرأة بهذه الأسماء. الآن، ساكلا (٥٣) ما أمر]...[سوى]...[الأجيال]...[هذا .]...[فقال الرئيس لآدم: «ستعيش طويلاً مع أولادك»(١١٤).

مصير آدمُ والبشريّة

فقال(١١٥) يهوذا ليسوع: «إلى كم يدوم الزمن الذي فيه يعيش البشر؟»

فقال يسوع: «لماذا تتعجَّب من هذا، أن يعيش آدم مع جيله، لدى حياته في الموضع الذي تقبَّل ملكوته، أيّامًا طويلة مع رئيسه؟»(١١٦)

فقال يهوذا ليسوع: «هل يموت الروح البشريّ؟»

فقال يسوع: «من أجل هذا، أمر الله ميخائيل أن يعطي أرواحَ الناس لهم قرضًا، بحيث يقومون بالعبادة. غير أنّ الواحد الكبير أمر جبرائيل(١١٧) أن يمنح أرواحًا إلى الجيل الكبير بلا قائد عليه(١١٨)، يعني الروح والنفس(١١٩). لهذا فبقيّةُ النفوس (**٥٤**) (سقط سطر واحد).

(١١٢) رج تك ١: ٢٦. نجد أخبارًا مماثلة عن خلق الإنسان في سائر النصوص الشيتيّة وبعض المرّات يقال في تقاليد أكثر توسُّعًا، أنّ الإنسان خُلق على صورة الله في العلاء، ومع شبهه ليرئس العالم. رج **كتاب يوحنّا السرّيّ** ٢: ١٥ (ملحق ٧).

(١١٣) الحياة. ذاك هو معنى اسم حوّاء (أمّ الأحياء) في الترجمة السبعينيّة.

(١١٤) رج تك ١: ٢٨؛ ٥: ٣-٥. بدا الباري أمينًا لكلمته. فالشعب الذي يصوَّر في الفصول الأولى من التكوين، عاش حياة طويلة جدًّا، تعدَّت ٩٠٠ سنة مع هذا المقطع ينتهي كلام يسوع.

(١١٥) هنا سأل يهوذا عن مصير آدم والبشريّة.

(١١٦) نصّ صعب فحاولنا نقله. يبدو المعنى: تعجَّب يهوذا من آدم في عالمه مع طول حياته، وإلهه. وهذا كلُّه بلا فائدة في نظر يهوذا. في الأخير، نقرأ حرفيًّا: «في عدد مع رئيسه».

(١١٧) ميخائيل وجبرائيل هما اثنان بين رؤساء الملائكة.

(١١٨) أو «جيل بلا ملك». هو رجوع إلى جيل شيت مع استعمال وصف معروف في النصوص الشيتيّة ليدلّ على أنّ بني شيت ما كانوا ليُقهَروا.

(١١٩) الله. أي إله هذا العالم. أعطى روح الحياة (نسمة الحياة؟ ربّما كما في تلك ٢: ٧) للناس، عبر ميخائيل، بشكل قرض. غير أنّ الروح الكبير أعطى الناسَ الروحَ والنفس، عبر جبرائيل،=

دمار الأشرار

«[...] نور (ضاع سطران تقريبًا) حول [...] ليت [...] الروح الذي فيكم يقيم في لحمه وسط أجيال الملائكة[١٢٠]. ولكنّ الله دفع المعرفة (غنوسيس) لتُعطى لآدم ولهؤلاء معه[١٢١]، بحيث إنّ ملوك الشواش والعالم السفليّ لا يستطيعون أن يسودوا عليهم».

فقال يهوذا ليسوع: «ماذا سوف يصنع هؤلاء الأجيال؟»

فقال يسوع: «آمين، أقول لكم، لكلِّ هؤلاء توصلُ النجومُ الموادَ إلى التمام[١٢٢]. حين يُكمل ساكلاس مدى الزمن المعيَّن له، يظهر أوّلُ نجم مع الجيل، فيُنهون ما قالوا إنّهم سيصنعون. حينئذٍ يفجرون باسمي ويذبحون أولادهم[١٢٣] **(٥٥)** وسوف [...] و(سقطت ٦ أسطر ونصف السطر تقريبًا) اسمي، وسوف [...] نجمك فوق الإيّون الثالث عشر».

بعد هذا، ضحك يسوع.

= بشكل هديّة. يمكن أن يُفسَّر تك ٢: ٧ عن الخلق في نصوص غنوصيّة أخرى، بما فيها النصوص الشيتيّة. رج **كتاب يوحنّا السرّيّ** ٢: ١٩: «من العلاء قالت النيّرات الخمسة ليلدا باؤوت: «إنفخ بعضًا من روحك في وجه آدم فيقوم الجسد». فنفخ روحه في آدم. والروح هو قوّة أمّه (صوفيا)، ولكنّه لم يحقّق هذا، لأنّه عاش في الجهل. فخرجت قوّة الأمّ من يلدا باؤوت، ووضعت جسدًا نفسانيًّا صُنع لكي يكون كالواحد الذي هو منذ البد. تحرّك الجسد وصار صاحب قوّة. واستنار». بالنسبة إلى الروح والنفس، رج **إنجيل يهوذا** ٤٣.

(١٢٠) هنا يتحدَّث يسوع مع يهوذا والآخرين، عن دمار الأشرار.

(١٢١) هذا المقطع يبيّن أنّ المعرفة gnosis تُعطى لآدم. وبالتالي للبشريّة. والطريق التي فيها يسير آدم والبشريّة لامتلاك المعرفة، تُشرَح بالتفصيل في نصوص غنوصيّة أخرى بما فيها النصوص الشيتيّة. وفي هذه النصوص يُقال إنّ البشريّة امتلكت المعرفة، لا الرؤساء المتكبِّرون في هذا العالم.

(١٢٢) العودة إلى النجوم وتأثيرها ودمارها المتوقَّع، أمور تتعلّق بعالمَي النجوم والجليان astronomique, apocalyptique

(١٢٣) رج حز ١٦: ١٥–٢٢؛ **إنجيل يهوذا** ٣٨ و٤٠ حول قتل الأطفال والفجور.

فقال يهوذا: «يا معلِّم، لماذا أنت تضحك علينا؟»

فأجاب يسوع وقال: «أنا لا أضحك عليكم، بل على ضلال النجوم لأنّ هذه النجوم الستّة تُتيه مع هؤلاء المقاتلين الخمسة وسوف تدمَّر مع خلائقها»(١٢٤).

المعمّدون وخيانة يهوذا

فقال يهوذا ليسوع: «أنظر ماذا يفعلُ المعمّدون باسمك؟»(١٢٥)

فقال يسوع: «آمين أقول لك، هذا العماد **(٥٦)**]...[اسمي (قرابة ٩ أسطر غابت) لي. الحقّ أقول لك، يا يهوذا. الذين يقدِّمون الذبائح لساكلاس(١٢٦)]...[الله (ضاعت ٣ أسطر) كلّ ما هو شرّير.

«ولكنَّك تتجاوز كلَّ واحد منهم. لأنَّك ستَذبح الإنسانَ الذي لبسني(١٢٧).

منذ الآن ارتفع قرنُك

وغضبُك اشتعل اشتعالاً،

نجمك بانَ مضيئًا

وقلبُك صار قويًّا(١٢٨). **(٥٧)**

---

(١٢٤) النجوم التائهة هي، كما يبدو، عطارد، فينوس، المرّيخ، جوبيتر، زحل، في رفقة القمر. بحسب النظريّة الأسترونوميّة (علم الفلك) والأسترولوجيّة (علم التنجيم)، تيهان النجوم يسود علينا ويؤثِّر في حياتنا بشكل سيّئ. رج **إنجيل يهوذا** ٣٧.

(١٢٥) كان هناك أناس تعمَّدوا باسم يسوع. قد نكون أمام نقد لممارسة الكنيسة عمادًا باسم الثالوث، أو نكون في إطار النصوص الشيتيّة.

(١٢٦) كان كلام عن ذبائح قدِّمت لساكلاس. رج **إنجيل يهوذا** ٣٨-٤١.

(١٢٧) حرفيًّا: «حملني» ετερος φερει. تعلَّم يهوذا من يسوع لكي يساعده على ذبح الجسد اللحميّ (= الانسان البشريّ) االذي لبس، أو حمَل حقيقة يسوع الروحيّة نفسها. فموتُ يسوع في حضور يهوذا، اعتبر تحرُّرَ الشخص الروحيّ فيه.

(١٢٨) أُكمل البيتُ الرابع، فأضيف «قويًّا». تصوّر هذه الأشعارُ كيف استعدَّ يهوذا لعمل خيانته الخلاصيّ. رج مز ٤١: ١٠ (رفع عقبه)؛ ق يو ١٣: ١٨.

«آمين[١٢٩]]...[آخر]...[صار (ضاع حوالي السطرين ونصف السطر). إذ سوف يدمَّر. حينئذ نمط[١٣٠] آدم الكبير يتعظَّم، لأنّ قبل السماء والأرض والملائكة، يُوجَد هذا الجيلُ الذي هو الممالك الأبديّة[١٣١]. أنظر. قيل لك كلَّ شيء. إرفع عينيك وتطلَّع إلى الغمامة وإلى النور فيها والنجوم المحيطة بها. فالنجم الذي يقود الطريق هو نجمك[١٣٢]».

فرفع يهوذا عينيه ورأى الغمامة المُنارة، فدخل فيها[١٣٣]. والواقفون على (أو: تحت) الأرض سمعوا صوتًا آتيًا من الغمامة، قائلاً (**٥٨**)]...[جيل كبير]...[صورة]...[(ضاعت ٥ أسطر)[١٣٤].

الخاتمة: خيانة يهوذا

]...[همهم عظماء الكهنة، لأنّه[١٣٥] مضى إلى غرفة الضيف[١٣٦] من أجل

---

(١٢٩) يمكن أن نقول: «آمين أقول...».

(١٣٠) Type. Τυπος نمط، نموذج، صورة. كما نستطيع أن نقرأ τοπος موضع، كما في اليونانيّة.

(١٣١) هذا يعني أنّ جيل شيت هو جيل أزليّ، يأتي من عند الله.

(١٣٢) في الحقيقة. يهوذا هو النجم وهو البطل في هذا الكتيّب.

(١٣٣) يصوّر هذا المقطع تجلّي يهوذا (مثل يسوع، وارتفاعه مثل إيليّا)، فيُثأر له حين يمجَّد في غمامة مضاءة، كما يشير إلى صوت يتكلَّم من الغمامة. رج خبر تجلّي يسوع في مت ١٧: ١-٨؛ مر ٩: ٢-٨؛ لو ٩: ٢٨-٣٦. *Book of Allogene* 61-62 الذي نقرأه حالاً بعد إنجيل يهوذا في كودكس تشاكس Tchacos. هنا دخل يهوذا في غمامة مضاءة، في الأعالي، وتكلَّم الصوتُ الإلهيّ.

(١٣٤) ضاعت كلمات كثيرة من الصوت الإلهيّ الآتي من الغمام، في هذه الفجوة من المخطوط. فهي تمدح يهوذا والنسل الكبير. أو تقدِّم استخلاصات حول مضمون الأحداث التي صُوِّرت. بالنسبة إلى الصوت الإلهيّ في الأناجيل، وإلى معموديّة يسوع، رج مت ٣: ١٣-١٧؛ مر ١: ٩-١١؛ لو ٣: ٢١-٢٢.

(١٣٥) أي يسوع. أو لأنّهم: يسوع وتلاميذه. الوجهان ممكنان.

(١٣٦) في اليونانيّة Καταλυμα رج مر١٤: ١٤؛ لو ٢٢: ١١. ففي غرفة الضيف، احتفلوا بالعشاء الأخير.

صلاته ولكنّ بعض الكتبة كانوا هناك يراقبون بعناية، لكي يوقفوه خلال الصلاة، لأنّهم كانوا خائفين من الشعب، لأنّ الجميع كان يرى فيه نبيًّا(١٣٧).

اقتربوا من يهوذا وقالوا له: «ماذا تفعل الآن؟ أنت تلميذ يسوع».

فأجابهم يهوذا كما تمنّوا. فتسلّم بعض المال، وسلّمه إليهم(١٣٨).

إنجيل يهوذا(١٣٩)

٢- القسم الثاني: دراسة إنجيل يهوذا

نتعرّف أوّلاً إلى شخص يهوذا في العهد الجديد، كما في إنجيل يهوذا وسائر الكتب الغنوصيّة. ثمّ نعود إلى الكتاب وما يقدّم من تعليمٍ يفهمنا أنّنا بعيدون كلّ البعد عن العهد الجديد وعن مناخه. فيهوذا كما في **إنجيل يهوذا** يعارض كلّ المعارضة يهوذا الأناجيل الأربعة، وإن كان ينطلق ممّا وَجد في هذه الأناجيل.

أ- يهوذا في العهد الجديد

نودّ القول في البداية إنّ نقطة الانطلاق في الكلام عن يهوذا، تكمن في تسليمه الربّ بحيث نفهم ما قالته الكنيسة فيما بعد: «كان خيرًا له أن لا يولَد» (مت ٢٦: ٢٤). ولماذا؟ والجواب جُعل في فم يسوع: «الويلُ لمن يسلّم ابن الإنسان». كما نشير في إطار الزمن الذي كُتبت فيه الأناجيل، أنّ من خلال يهوذا، نظر الإنجيليّون الأربعة إلى «مسيحيّين» اعتادوا أن يسلّموا إخوتهم

(١٣٧) مت ٢٦: ١-٥؛ مر ١٤: ١-٢؛ لو ٢٢: ١-٢؛ يو ١١: ٤٥-٥٣.

(١٣٨) رج مت ٢٦: ١٤-١٦، ٤٤-٥٦؛ مت ١٤: ١٠-١١، ٤١-٥٠؛ لو ٢٢: ٥-٦، ٤٥-٥٣؛ يو ١٨: ١-١١. قُدِّمت نهاية إنجيل يهوذا بألفاظ دقيقة وفي شكل تورية، حيث لا خبرَ عن صلب يسوع.

(١٣٩) لا نقرأ هنا «الإنجيل بحسب κατα يهوذا». كما هو الأمر في العدد الكبير من نصوص الإنجيل، أو الأخبار الطيّبة حول يهوذا ومكانة يهوذا في التقليد. لسنا هنا أمام أخبار سيّئة. بل أخبار حلوة ليهوذا ولكلّ السائرين وراء يهوذا وبالتالي وراء يسوع.

للسلطة الرومانيّة لقاء بعض المال. لهذا كان التشديد على شخص جشع، اهتمّ أن يجمع المال ولو على حساب إخوته.

بعد هاتين الإشارتين، نتساءل من هو يهوذا؟

اسمه على اسم رئيس إحدى القبائل التي رافقت يشوع إلى فلسطين. والنعت إسخريوط، له أكثر من معنى. هو إيش (إنسان، رجل) كريوت: خربة القرتيّين التي تقع جنوبي حبرون (أو الخليل). وآخرون رأوا: إيش شقرا: رجل الكذب. أو حرّفوا الاسم: سيكاريوس. في اليونانيّ. يحمل «سيكا»، أي سيف صغير (عرفنا في العاميّة السنكا). وهكذا يكون يهوذا من جماعة الغيورين. وفي هذا الإطار الأخير، اعتبر بعضهم أنّ يهوذا أسلم يسوع لأنّه اعتبره خائنًا للقضيّة(١٤٠).

هذا اللقب الذي نقرأه في مر ٣: ١٩؛ ١٤: ١٠؛ لو ٦: ١٦، يرافق الرسول الثاني عشر (مت ١٠: ٤؛ ٢٦: ١٤؛ لو ٢٢: ٣؛ يو ١٢: ٤؛ ١٣: ٢؛ ١٤: ٢٢). واسم أبيه سمعان (يو ٦: ٧١؛ ١٣: ٣٦). إذًا هو شخص محدَّد. ويسوع دعاه كما دعا الآخرين، على شاطئ البحيرة، أو على مائدة الجباية، أو تحت التينة. ذُكر يهوذا ٢٢ مرّة في الأناجيل، ساعة ذُكر أندراوس ١١ مرّة، وتوما ١٠ مرّات، وبرتلماوس ٣ مرّات.

مع أنّ اسمه ورد في آخر اللائحة (مت ١٠: ٤)، فقد شدَّد الإنجيليّون على صفته كرسول في المعنى الحصريّ للكلمة: «هو واحد من الاثني عشر». قال مت ٢٦: ١٤ وقال لو ٢٢: ٣: «هو في عداد الاثني عشر». وحين أُعلنت الخيانة، «أخذوا يتساءلون فيما بينهم من هو المزمع أن يفعل هذا» (لو ٢٢: ٢٣)، أي أن يخون المعلِّم وبالتالي التلاميذ والكنيسة. وقال بطرس في خطبة في أع ١: ١٧: «كانت رتبته فيما بيننا، وأعطيَ نصيبًا معنا في هذه الخدمة. ومرّتين توجّه يسوع في كلامه إلى الرسول فقال: «واحد منكم» (يو ٦: ٧٠؛ ١٣: ٢١).

---

(١٤٠) T. A. MORIN, "Les deux derniers des douze Simon de Zélote et Judas Iskarioth" *Revue Biblique*, 80(1973), p. 332-358.

غير أنّ كلّ هذا التشديد موجّه، لأنَّه يهيّئ أمرًا آخر سيكون ثقيلاً جدًّا. هذا الرسول، يهوذا، هو الذي يسلّم يسوع. وهكذا تظهر بشاعة هذا الشخص لقاء ما ناله من امتياز بأن يكون مثل بطرس وأندراوس ويوحنّا. هذا الفعل «أسلم» يُذكر منذ البداية، مع تعداد الرسل (مت ١٠: ٤ وز). وسوف يعود في أشكال متعدّدة. بعد اعتراف بطرس الإيمانيّ، ثمّ خلال مسحة بيت عنيا (يو ٦: ٧١؛ ١٢: ٤). حين إعلان الخيانة (مت ٢٦: ٢٥) والقبض على يسوع (يو ١٨: ٢) وخبر موت يهوذا (مت ٢٧: ٣). وفي خبر الحاش والآلام، كلام عن الخيانة في ثلاثة أشكال: عمليّة البيع والشراء مع عظماء الكهنة (مت ٢٦: ١٤-١٦ وز). القول الذي أعلنه يسوع (مت ٢٦: ٢٠-٢٣ وز). وأخيرًا، الخيانة في حدّ ذاتها (مت ٢٦: ٤٥-٤٦ وز)(١٤١).

وهكذا بدا يهوذا الإسخريوطيّ شخصًا غريبًا في وسط الاثني عشر. فطرح الأسئلةَ العديدة على المؤرِّخين وشرّاح الكتاب المقدّس. السؤال الأوّل يبقى خفيًّا ويبلبل المؤمن. هو مخطَّط الله السرّيّ. ولهذا لن نجد عنه جوابًا نهائيًّا. كيف يمكن أن يكون يسوع نفسه اختار هذا الرجل؟ (يو ١٣: ١٨). كيف نفسِّر أن يكون أقامه أمينًا للصندوق وهو السارق؟ (يو ١٢: ٦؛ ١٣: ٢٩). قد نقول إنّ صفة «الخائن» وصفة «السارق» ارتبطتا بما حصل. ونستطيع أن نلاحظ أيضًا أنّ يسوع تحدَّث عن الخيانة (مت ٢٦: ٢٠-٢٣ وز). وكلُّ سرّ الاختيار يبقى حاضرًا. وتساءل بعضهم عن المصير الأبديّ الذي حُفظ له (مت ٢٦: ٢٤ وز). غير أنّ مت ٢٧: ٣-٤ أورد تأسُّفَه وندمه عمّا فعل. واعترافُه: «خطئت». في هذا الإطار جعله بعضهم «شهيد تاريخ الخلاص»(١٤٢).

(١٤١) J. DUPONT, "La destinée de Judas prophétisée par David", *Catholic Biblical Quarterly*, 23(1961), p. 45-51 (= *Etudes sur les Actes des Apôtres*, Paris, 1967, p. 309-320) ; L. HEYRAUD, « Judas et lá nouvelle alléance dans la Cène selon S. Jean », *Bible et Vie chrétienne*, 44(1962), p. 39-48.

(١٤٢) C. AZIZA, "Judas, le premier martyr", *L'histoire*, 83(1958), p. 51-85. Cependant voir J. HERDER, « La mort de Judas », *Revue de l'Histoire des Religions*, 129(1945), p. 47-56 ; P. BENOIT, « La mort de Judas », in *Festschrift Wilkurhausen*, München, 1954, p. 1-19 (= Exégèse et théologie, Paris, 1961, p. 340-359 ; W. C. VAN UNNIK, « The Death of Judas in Saint Matthew's Gospel », *Anglican Theological Review, Supplement Series*, 3(1974), p. 44-57.

والسؤال الثاني الذي يحيِّرنا فيجد بعض الجواب في الكتب المقدَّسة: هل كان يهوذا حاضرًا في العشاء الأخير؟ ذكر متّى ومرقس إعلان الخيانة قبل العشاء الربّانيّ، فاعتبرا الحلّ منتهيًا (مت ٢٦: ٢٠-٢٩ وز). هذا يعني أنّه مضى حالاً وما شارك في العشاء. أمّا لوقا فقدَّم الإعلان هذا بعد العشاء (لو ٢٢: ١٩-٢٣)، ممّا يعني أنّه شارك. وراح التقليد اليوحنّاويّ (يو ١٣: ٢٦) في الخطّ عينه. هذا الطرح الأخير يبقى معقولاً ويوافق الاهتمام الإرشاديّ في إنجيل لوقا.

وفي الإطار عينه، نسأل: لماذا خان يهوذا الربّ؟ وتأتي الأجوبة عديدة[١٤٣]. بعضهم تحدَّث عن الحسد تجاه سائر الرسل. وآخرون أشاروا إلى حبّ المال مستندين إلى ما قاله متّى (٢٦: ١٥) ويوحنّا (١٢: ٥-٦). وفئة ثالثة قدَّمتْ شرحًا مسيحانيًّا: خاب أملُ يهوذا حين رأى يسوع يتخلّى عن التحرير السياسيّ الذي انتظره هذا التيّار اليهوديّ الذي انتمى إليه. وإذ لا ننكر هذه الأسباب، ولاسيّما حبّ المال، نلاحظ أنّ النصوص تشدِّد على دور الشيطان: «وكان إبليس وسوس إلى يهوذا ابن سمعان الإسخريوطيّ أن يسلِّم يسوع» (يو ١٣: ٢). رج لو ٢٢: ٣؛ يو ٦: ٧٠؛ ١٣: ٢٧ حيث نجد الشرح عينه.

وأخيرًا، ما هي ظروف موت يهوذا؟ هل شنق نفسه بعد أن أقرَّ بذنبه ورمى الفضّة في المعبد، كما يقول التقليد المتّاويّ؟ (مت ٢٧: ٣-١٠). أو هل مات موتة عنف بعد أن تحطَّمت جمجمته واندلقت أمعاؤه، كما يقول التقليد اللوقاويّ؟ (أع ١: ١٦-٢٠). وذلك بعد أن «اشترى بثمن الجريمة حقلاً»[١٤٤]. في الواقع، نحن أمام تقليدين مستقلّين يرويان الحدث الواحد، موت يهوذا، بطريقة شنيعة جزاء إثمه الكبير. فلا نحاول التنسيق بينهما[١٤٥]، لأنَّ كلَّ رواية

---

(١٤٣) P. BONNARD, *L'Evangile selon Matthieu*, Neuchâtel, 1967, p. 372.

(١٤٤) M. WILCOX, "The Judas-Tradition in Acts 1,15-25", *New Testament Studies*, 19(1972-73), p. 438-452; H. B. GORDON, "The face of Judas according to Acts 1,18", *Evangelical Quarterly*, 4(1971), p. 97-100.

(١٤٥) حاشية ١٤٢، ص ٣٤٠-٣٤٤ Voir P. BENOIT

تروي الحدث بطريقتها. يبقى أنّهما تلجأان إلى ما في الكتاب المقدَّس حول موت الأشرار، وتحاولان أن تُبرزا تحقيق العهد القديم في الكلام عن «الحقل»، «حقل الدم» في متّى، اقترب موت يهوذا من موت أخيتوفل الذي خان داود وفي النهاية «خنق نفسه ومات ودُفن في قبر أبيه» (٢صم ١٧: ٢٣). وفي سفر الأعمال، قرأ لوقا موت يهوذا على ضوء سفر الحكمة في كلامه عن الأشرار: «وحين يموتون، تكون جثثهم بين الأموات موضع سخرية إلى الأبد...» (٤: ١٩)[١٤٦]. وإذ تحدَّث متّى عن حقل الفخاريّ الذي اشتراه رؤساء الكهنة بالمال الذي ردّه يهوذا، انطلق من تفسير مدراشيّ (درس وتأمّل) لما في زك ١١: ١٢-١٣. وما يلفت النظر هو كلام عن اللعنة التي لحقت بيهوذا في تقليد أورشليم، كما قال الأب بانوا (ص ٣٤٨)، فرأى تتمّة لما في مز ٦٩: ٢٦: «لتصر ديارُهم خرابًا، ولا يكن في خيامهم ساكن». ولكن يبقى أنّ قراءة الحدث على ضوء الأسفار المقدَّسة، لا يكفي لشرح حصوله. بل هو الكاتب يحاول أن يجد جوابًا للسرّ الذي يحيط بشخص يهوذا اختاره يسوع كما اختار رفاقه، ولكنَّه ترك رفاقه واتَّخذ خطًّا غير خطِّهم. هذا ما يحاول «إنجيل يهوذا» أن يقوله بشكل معاكس لما في الأناجيل: يهوذا وحده فهم. وحده كان له لقاء حميم مع يسوع، فعرف ما لم يعرفه الآخرون.

ب- يهوذا في العالم الغنوصيّ

هذا ما يعود بنا إلى «**إنجيل يهوذا**» الذي هو واحد من النصوص الغنوصيّة الكثيرة التي وُجدت بشكلٍ شبه كامل في نجع حمادي، في جنوب القاهرة. ماذا تقول هذه النصوص؟ تشدِّد على معرفة خاصّة نالها «أنبياء» يعتبرون نفوسهم مسيحيّين، وهم يقفون في وجه الكنيسة الرسميّة التي تعتبر نفسها حاملة الحقيقة بحيث لا يزاحمها أحد. الغنوصيّة خروج عن التقليد الذي بدأ يتحجَّر في مؤسَّسة تركت فعل الروح

(١٤٦) P. BENOIT, p. 345-346.

فيها. ذاك ما قاله الغنوصيّون، فكتبوا الكتب العديدة ودعوها باسم أسفار العهد الجديد أو بأسماء أخرى.

هذا ما يجعلنا نبتسم حين نقرأ أنّ إنجيل يهوذا هو «أهمّ الوثائق الأثريّة المكتشفة في الأعوام الستّين الأخيرة». نذكر هنا على سبيل المثال النصوص العديدة التي كُشفت في قمران سنة ١٩٤٧-١٩٥٦. أمّا نصوص نجع حمادي فكُشفت سنة ١٩٤٥، وعُرفت سنة ١٩٤٧، وصارت اليوم في يد الأخصّائيّين وغير الأخصّائيّين، نصوصًا قبطيّة أصليّة، وترجمات في اللغات العديدة(١٤٧).

إنجيل يهوذا الذي اكتشفه قرويّ مصريّ سنة ١٩٧٨، بالقرب من المنيا(١٤٨) (جنوبيّ القاهرة)، اختفى بعض الشيء ليعود إلى الظهور سنة ٢٠٠٠ في سويسرا. اسمه كودكس تشاكوس بالنسبة إلى السيّدة التي اشترته(١٤٩). هذا النصّ الذي أُلِّف في اليونانيّة حوالي سنة ١٥٠، لأنّ إيرينه أسقف ليون تحدَّث عنه، نُقل إلى القبطيّة في القرن الثالث أو بداية الرابع.

في الكلام عن الهراطقة، يقول إيرينه: «يعلنون أنّ يهوذا الخائن وعى هذه الأمور، فعرف الحقيقة كما لم يعرفها أحد، وأتمّ سرّ الخيانة، فأنتجوا في خدعة،

---

(١٤٧) J. M. ROBINSON, *The Nag Hammadi Library in English*, New-York, 1977. Citons aussi les éditions critiques et les monographies à Leiden depuis 1971: *Nag Hammadi Studies*. Et en français : *Bibliothèque copte de Nag Hammadi*, Québec, Louvain.

(١٤٨) في أمبار، على شاطئ النيل، قرب مغاغة، التي تبعد ٦٠ كلم إلى الشمال من المنيا. اسم الفلاّح حنّا. جمع الأوراق المبعثرة وقام ببيعها فوصلت في النهاية إلى سويسرا. حاولت السيدّة Tchacos أن تبيعها فلم تستطع، فجعلتها في متحف في «بازل» Bâle في سويسرا. واسم المؤسّسة .Maecenas Foundation رج تحقيق هالة حمصي في النهار ٢١ أيّار ٢٠٠٦ مع الأب سمير خليل اليسوعيّ.

(١٤٩) Codex Tchacos. La dame Frieda Tchacos Nussberger. Elle est née en Egypte et vit à Zurich.

خبرًا من هذا النوع ودعوه **إنجيل يهوذا**»[١٥٠] .

أين وُلد هذا الإنجيل؟ في جماعة «القايينيّين»، أو أبناء قايين. فيهم يقول إيرينه أيضًا: «يقولون إنّ قايين كان من الملكوت العالي والقدرة المطلقة، ويُقرّون بأنّ عيسو (أخا يعقوب الذي باع بكوريّته) وقورح (ثار على سلالة هارون الذين اعتبرهم صادروا الكهنوت) والسدوميّين (جماعة سدوم الذين اشتهروا بالزنى) ومثل هؤلاء الأشخاص، هم مثلُهم من الشعب الواحد: لهذا أبغضهم الباري démiurge. مع أنّ أحدًا ما نال ضربة منه، لأنّ الحكمة (صوفيا) أخذت منهم كلّ ما يخصُّها».

أعادوا الاعتبار إلى قايين تجاه هابيل، وعيسو تجاه يعقوب، وقورح تجاه هارون، وها هم يعيدون اعتبار يهوذا تجاه سائر الرسل[١٥١] .

---

(١٥٠) لا حاجة إلى إطالة الكلام عن الذين تكلّموا عن «القايينيّين» بدءًا من إكلمنضُس الرومانيّ. بالإجمال عادوا إلى إيرينه. ولكن في القرن الثالث، جاء مقال لاتينيّ يردّ على الهرطقات، ونُسب إلى ترتليان الكاتب المسيحيّ العائش في قرطاجة. ثمّ كان خبر إبيفان أسقف سلامين (قبرص) الذي أعطانا معلومات لاحقة عمّا فعل يهوذا حين خان معلّمه. قد يكون إبيفانيوس رجع هنا إلى هيبوليت الرومانيّ. قال بسودو ترتليان: "بالإضافة إلى ذلك فجّروا هرطقة أخرى تُدعى هرطقة القايينيّين. والسبب هو أنّهم يعظّمون قايين لأنّه حبل به بقوّة قادرة فعلت فيه. أمّا هابيل فوُلد بعد أن جُبل به في قوّة دنيى، وبالتالي وُجد أدنى من أخيه. وهم يدافعون أيضًا عن يهوذا الخائن، فيقولون إنّه مدهش وعظيم لأنّه افتخر بخير قدّمه إلى البشريّة. رأي بعضهم أنّه لا بدّ من من شكر يهوذا. قالوا: لاحظ يهوذا أنّ يسوع حاول أن يقلب الحقيقة فخانه، بحيث لا يستطيع بعدُ أن يقلب الحقيقة. وردّ عليهم آخرون فقالوا: لأنّ قوى هذا العالم ما أرادت للمسيح أن يتألّم لئلاّ يُعدّ الخلاص. بموته، للجنس البشريّ، تطلّع يهوذا إلى خلاص البشريّة، فخان المسيح، بحيث لا يمكن بعد أن يُمنع الخلاص، الذي مُنع عبر قوى عارضت آلام المسيح. وهكذا، عبر آلام المسيح، ما عاد بالإمكان تأخير خلاص البشر".

(١٥١) نشير إلى أن Rodolph Kasser أعاد ترتيب هذا النصّ ونقله إلى اللغة الإنكليزيّة. هو أستاذ متقاعد في Genève من أعمال سويسرا. ساعده بشكل خاصّ Gregor Wurst ثمّ Marvin Meyer. وكان كتاب *The Gospel of Judas from Codex Tchacos*, National Geographic, Washington, D. L. 2006

أمّا في **إنجيل يهوذا**، فنرى أنّ يهوذا ليس الخائن بحسب ما تقول الأناجيل القانونيّة، من أجل المال أو لسبب آخر. بل هو التلميذ الأقرب إلى يسوع، التلميذ الذي وحده فهمَ تعليمَ يسوع. يبدأ الخبر فيُرينا يسوع الذي ينضمّ إلى التلاميذ وهم يعدّون الفصح. شرح لهم يسوع بأن لا فائدة من ذلك. هنا نلاحظ حالاً محاولة الخروج من الكنيسة المؤسّسة. ومن النظم التي بدأت تسيطر فيها. والظاهرة هي هي في كلِّ العصور. يرفض بعضهم المؤسَّسة، الكنيسة الرسميّة، ليدلّ على أنّ الروح يعمل فيهم دون سواهم. ولكن ما يعتّم هؤلاء أن يرتِّبوا «مؤسَّسة» جديدة تقف تجاه الكنيسة الرسميّة. بعد عَمِل المواهب، تأتي النُظم.

شرح يسوع، ولكنّ التلاميذ ما فهموا. إلاّ يهوذا. وبما أنّه فهم، طلب منه يسوع أن «يسلّمه». لماذا؟ لأنّ الجسد، في الإطار الغنوصيّ، هو موطن الشرّ. لهذا أراد يسوع أن يتخلَّص من جسده بأقرب وقت. فمن يا ترى يفعل هذا؟ لا الرسل الإثنا عشر. لا الكنيسة بتعليمها عن قيامة الأجساد وعن كلامها بأنّ الجسد للربّ والربّ للجسد (١كو ٦: ١٣). ويتواصل حديثٌ طويل بين يسوع ويهوذا، حين يأتي اليهود لكي يقبضوا على يسوع.

أضاع الرسل، أضاعت الكنيسة، الإلهَ الحقيقيّ الذي هو صالح ويريد خلاص العالم. وبما أنّ ذبيحة يسوع ضروريّة، طلب يسوع من يهوذا أن يسلِّمه. أجل، اختار يسوع يهوذا لكي يُتمّ مصيره، ويحرِّره من لباسه الأرضيّ. قال له: «أنت تتجاوز كلَّ الآخرين، لأنّك تذبح الإنسانَ الذي ألبسه». إذا كانت النفس في الجسد (σωμα) وكأنّها في سجن، فهي تتوق إلى شيء واحد، أن تتحرَّر. أن تحرِّر قوّة الحياة التي فيها. من يفهم مثلَ هذا القول سوى يهوذا؟ لهذا، فالتلميذ الحبيب هو يهوذا. عرف أهمّيّة الذبيحة بالنسبة إلى فداء العالم، فقام بأصعب المهمّات في حياته: سلَّم يسوع. وإذ سلّمه بدا كإنسان متدرِّج في التعليم الغنوصيّ، همُّه أن يصل إلى ما وصل إليه يسوع الذي بلغ إلى قمّة الغنوصيّة، إلى قمّة المعرفة الباطنيّة. فمن يجسر بعد اليوم أن يحكم على يهوذا؟ بل يجب أن يقتدي به كلُّ إنسان ليصل إلى ما وصل إليه، هو أمرٌ لم يستطع الرسل الباقون البلوغ إليه.

خلاصة

هذا «الإنجيل» الذي دُعي «كذبًا» إنجيل، بل دعاه كذلك الغنوصيّون عامّة، والقايينيّون خاصّة، لأنّهم اعتبروا أنّ فيه خبرًا طيّبًا، يدلُّ على الإله الحقيقيّ الذي يعرفه المؤمنون ويعرفون يسوع المسيح الذي أرسله (يو ١٧: ٣). في الواقع، هو يُبعدنا عن الإله الحقيقيّ، ويجعلنا نقرأ الأناجيل الأربعة كأنّها «خدعة» من قبل الرسل، ومن قبل الكنيسة التي خدعت المؤمنين. لهذا، وجب على أصحاب المعرفة الحقيقيّة، الباطنيّة، لا الرسميّة، أن يعيدوا الكنيسة إلى الصواب. أسكتتهم لأنّ لها ملء السلطان، ولكنّ سلطان الغنوصيّين الذي يفترق عن سلطان الرسل، هو أعمقُ بكثير من سلطانها. فلماذا الذهاب إلى الكنيسة؟ فقالوا: تعالوا، تدرَّجوا لدى الغنوصيّين مع يهوذا، الذي سبقه قايين وقورح وأهل سدوم، وعدد من الأشخاص، الذين يتحدَّث عنهم الكتاب المقدَّس، ويلومهم بسبب سلوكهم السيّئ.

هذا «الإنجيل» الذي لم يكن وحده في مخطوط نال من الدعاية ما لم تنله وثائق قمران ولا نجع حمادي وفيها ١٧ كودكسًا أو مجلَّدًا. هذا الإنجيل وُجد مع ثلاثة نصوص أخرى. الأوّل، **رسالة بطرس إلى فيلبّس** (ص ١-٩) وهو نصّ عُرف في نجع حمادي، في الكودكس الثامن. الثاني عنوانه **يعقوب** (ص ١٠-٣٢) الذي هو نقل للوحي الأوّل الذي ناله يعقوب. هذا النصّ نقرأه أيضًا في الكودكس الخامس في نجع حمادي. وبعد **إنجيل يهوذا** الذي يقع في ص ٣٣-٥٨ (مع الفجوات التي ذكرنا)، يرد كتاب لا عنوان له، فدعاه البحّاثة: كتاب الغريب، والغريب هو شيت، أبو آدم وحوّاء في النصوص الشيتيّة (٢: ٥٩-٦٦). ما عُرف هذا النصّ من قبل، وإن أخذ محلَّه في ما وُجد من آثار غنوصيّة.

قدّم لنا هذا «الإنجيل» يسوعَ من صنع الخيال، مع أنَّه «استقى» معلوماته من الأناجيل الأربعة. يسوع الذي يضحك أمام الإفخارستيّا التي يمارسها الرسل، كما يضحك أكثر من مرّة على الرسل الذين لا يفهمون شيئًا. وإذ يتكلَّم هذا الإنجيلُ عن الرسل، يهاجم في أيامه، الكنيسة التي أضاعت الجوهر. أخطأ

يسوع حين سلَّم سرَّه إلى تلاميذه، كما قالت الأناجيل، فلا بدّ من العودة عن الخطأ: يهوذا وحده يستحقُّ أن يكون التلميذ الحبيب، لا الذي دخل في سرّ الابن، بل في الجماعة الغنوصيّة التي ارتبطت بقايين فتركت خطّ الأبرار الذين يتحدَّث عنهم الكتاب المقدَّس مع أنوش وأخنوخ (نوح) بانتظار إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون.

ما دخلت الغنوصيّة في المسيحيّة، بل جعلت يسوع أوَّل الغنوصيّين، فأعادت الاعتبار إلى قايين. إله العهد الجديد يصحِّح أخطاء العهد القديم. إله التوراة هو إله شرّير، كاذب، مسؤول عن كلِّ نقص في العالم. فمن يعرف هذا؟ يهوذا وحده يعرف سرّ خلق البشريّة، لهذا سلَّم يسوع إلى أعدائه، فقدَّم خدمة جلّى للبشر. أخطأ المسيح حين أراد أن يصالح البشر مع الإله الخالق، الباري، ساعة وجب تشديد البغض عليه. إذًا، أحسن ويهوذا الصنيع حين سلَّم يسوع، أسرع في "إرساله" إلى الموت، فكان الخير العميم للعالم. أنعجب بعد ذلك أن يكرِّم القايينيّون يهوذا الذي يجب أن يحلّ محلَّ يسوع؟

هذا "الإنجيل" الذي دُوِّن في القرن الثاني، هل أعطانا معلومة «تاريخيّة» واحدة عن يسوع؟ كلاَّ كما يقول الباحثون[١٥٢]. كلّ ما عمله، هو تفسير لأحداث عرفناها في الأناجيل. فسَّرها في إطار غنوصيّ، حيث «الفلسفة» والنظريّات المنطلقة من أفلاطون وغيره، تسيطر على كلام الله لتزيح له الحجاب عن الحقيقة. إنّه جزء من هذا العالم الغنوصيّ الذي بدأت طلائعه في القرن الأوّل المسيحيّ، فردّ عليه يوحنّا مشدِّدًا على المعرفة الحقّة التي نسألها من يسوع، ولا نكتشفها في أعماقنا. وكذا فعلت الرسائل البولسيّة الأخيرة. قالت الرسالة إلى أفسس: «الله كشف (عرَّفنا) سرّ مشيئته التي ارتضى في نفسه أن يحقِّقها، أي التدبير الذي يتمِّمه عندما تكتمل الأزمنة، فيجمع في المسيح كلَّ شيء في السماوات وفي الأرض» (١: ٩-١٠). ويتواصل الكلام في الفصل الثالث:

---

(١٥٢)

«هذا السرّ ما عرفه أحد من قبل، بل عرفه الله الآن في الروح لرسله وأنبيائه القدّيسين» (آ٥، لا أنبياء الغنوصيّة). وتنتهي هذه الرسالة بصلاة ترتفع إلى الآب فتقول: «أتوسَّل إليه أن يقوّي بروحه... حتّى تدركوا... وتعرفوا محبّة المسيح التي تفوق كلَّ معرفة، فتمتلئوا بكلّ ما في الله من ملء» (آ١٥-١٩).

بعد كلِّ هذه الضجّة عن «إنجيل» جديد، بدا في النهاية مقالاً بين مقالات عديدة عرفها العالم الغنوصيّ، عالم المعرفة الباطنيّة. بعد كلِّ هذه الدعاية التي تحاول أن تدعو الشرّ خيرًا والخير شرًّا، أن تجعل الظلام نورًا والنور ظلامًا، الحلو مرًّا والمرُّ حلوًا، كما قال أشعيا النبيّ (٥: ٢٠). بعد كلِّ هذا، ماذا بقيَ لنا من تعليم يقدِّمه إنجيل يهوذا؟ بالنسبة إلينا لا جديد فيه يضيفه إلى سائر الكتب الغنوصيّة. وبالنسبة إلى تاريخ الكنيسة، عُرف «إنجيل يهوذا» حالاً بعد تدوينه، فذكره إيرينه وبيّن الخدعة التي فيه. وتحدَّث عنه إبيفانيوس مبيِّنًا أنّ يهوذا «هو أشهر أبناء قايين». هذا عدا الآباء الكثيرين الذين تحدَّثواعن هذه البدعة وعن الإنجيل مع سائر النصوص التي كُشفت في نجع حمادي سنة ١٩٤٥. فكان مصيره مصير نصوص قديمة تعطي لمحة عن المجتمع في القرن الثاني الميلاديّ. إذًا لا يمكن في أيِّ حال من الأحوال أن يقف بجانب الأناجيل الأربعة. بل يجب أن يُنزَع عنه هذا الاسم. فما هو إنجيل، ولا يرتبط بما قيل عن يهوذا في العهد الجديد. هو قصّة إنسان ترك الكنيسة وكتب ما كتب عن يسوع. فلماذا نعجب من ذلك، وعندنا دليل قريب إلينا في الزمن، هو إنجيل برنابا؟

٣- القسم الثالث: ملاحق تسعة

ملحق ١: الكتاب السرّيّ ليوحنّا

الواحد الذي هو السامي والذي لا شيء فوقه. هو الإله والقريب، وأبو الجميع، الخفيّ الذي فوق الجميع، الذي لا يطاله الفساد، الذي هو نور قويّ لا

تقدر عينٌ أن تنظر فيه. الواحد الذي هو الروح الخفيّ. يجب أن نفكّر فيه على أنّه إله أو شبه إله. هو أكبر من إله، لأنّ لا شيء فوقه، ولا سيِّد أعلى منه. هو لا يُوجَد في شيء أدنى منه، لأنّ كلَّ شيء يُوجَد فيه، لأنَّه يقيم ذاته بذاته. (نجع حمادي ٢/ ٢-٣).

ملحق ٢: الكتاب السرّيّ ليوحنّا

الواحد هو لا محدود، لأنّ لا شيء قبله يَحدُّه.

هو لا محاط، لأنّ لا شيء قبله يُحيطه.

هو لا مُقاس، لأنّ لا شيء قبله يَقيسه.

هو خفيّ لأنّ لا أحد يراه.

هو الأزليّ، لأنّه موجود منذ الأبد.

لا يعبَّر عنه، لأنّ لا شيء يحيط به لكي يعبَّر عنه.

لا يُسمّى، لأنّ لا شيء قبله ليعطيه اسمًا.

* * *

الواحد هو النور اللامقاس، النقيّ، القدّوس، الذي لا عيب فيه.

لا يعبَّر عنه. هو كامل في اللافساد

ما هو فقط الكمال والبركة اللامحدودة والألوهة،

بهو أكثر من ذلك بكثير.

* * *

الواحد، ما هو جسديّ ولا هو لاجسديّ

الواحد، ما هو كبير ولا هو صغير

يستحيل القول كيف هو؟

من أيٍّ نوع هو؟
لأنّ لا أحد يفهمه (١: ٢-٣).

ملحق ٣: أوغنوستس المبارك

القوى الاثنتا عشرة التي تحدَّثتُ عنها، أتت معًا الواحدة مع الأخرى، وأنتجت كلٌّ واحدة ستّة ذكور وستّ إناث، من أجل مجموع ٧٢ قوّة. وكلٌّ واحد من ٧٢، أنتج بدوره، ٥ قوى روحيّة، فصار العدد ٣٦٠ قوّة. كانت متّحدة في المشيئة. في هذه الطريق، أتت البشريّة اللامائتة ترمز إلى ملكوتنا. أوّل من حَبلَ، وهو ابنُ البشريّة اللامائتة، بدا أنّه رمز الزمن. ورمزَ المخلِّصُ إلى السنة. والقوى الاثنا عشر رمزت إلى الأشهر الاثني عشر. و٣٦٠ قوّة التي انبثقت من المخلِّص، وقفت من أجل ٣٦٠ أيّام السنة. والملائكة الذين أتوا منها، والذي لا يُعدّون، وقفوا أمام الساعات والدقائق (نجع حمادي، كودكس ٣: ٨٣-٨٤).

ملحق ٤: أوغنوستوس المبارك

بعض هؤلاء في مساكن ومركبات، كانوا في مجد لا يُوصَف، وما أُرسلوا إلى أيّة خليقة. بل أنتجوا لنفوسهم جيوش ملائكة، ربوات لا عدَّ لها، لتخدمهم وتمجِّدهم، مع أرواح بتولين وأنوار لاموصوفة. كانوا بمنأى عن المرض والضعف. كانوا مشيئة واحدة، فعبَّرت عن نفسها دفعة واحدة (٣:٨٨-٩٩).

ملحق ٥: كتاب يوحنّا السرّيّ

تطلّع الآب (الأب) في بربيلو مع نور طاهر يُحيط بالروح الخفيّ وشعاعه. فحبل به بربيلو، وأنتج شعاعَ نور يشبه النور المبارك. ولكنّه لم يكن كبيرًا مثله. ذاك كان وحده ولدَ الأمّ – الأب الذي برز، والنسلَ الوحيد، والولد الوحيد للآب، والنورَ الطاهر. فابتهج الروح الخفيّ البتول فوق النور الذي أُنتِج، بحيث خرج من القوّة الأولى لفكر الروح المسبق، الذي هو بربيلو (الكودكس ٢: ١-٦).

ملحق ٦: الكتاب المقدّس للروح العظيم الخفيّ

عبر مشيئة المولِّد نفسه، ساكلا،

قال الملاك العظيم: «سيكونون هناك... سبعة في العدد...».

قال للملائكة الكبار: «يمضي كلُّ واحد منكم فيتملَّك عالَمه الخاصّ».

الملاك الأوّل هو أتوت، الذي تدعوه أجيال الشعب الكبرى...

الثاني هو حرماس (عين النار)

الثالث هو جليلا

الرابع هو يوبيل

الخامس هو أدونايوس الذي دُعيَ صباؤوت

السادس هو قايين الذي دعته أجيال الشعب الكبرى، الشمس

السابع هو هابيل

الثامن، أكيراسينا

التاسع، يوبيل

العاشر هو حرموفيائيل

الحادي عشر هو أرخير – أدونين

الثاني عشر هو بالياس

هؤلاء جلسوا فوق الأسافل والشواش.

ملحق ٧: كتاب يوحنّا السرّيّ

دعا صوت من ملكوت السماء العظيم: «وُجدت البشريّةُ وابنُ البشريّة. الرئيس الأوَّل يلدا باؤوت. سمعَ الصوتَ وفكَّر أنّه آتٍ من عند أمِّه. ما اكتشف مصدره. فالقدّوس الكامل الأمّ – الأب، الفكر المسبق التامّ، صورة الواحد الخفيّ، هو أبو الكلّ، وعبره كلّ شيء أتى إلى الوجود، أتى الإنسانُ الأوّل. ذاك

هو الذي بيّنهم وظهر في شكل بشريّ. الملكوت الكامل للرئيس الأوّل صرخ فاهتزّت أساسات الأسافل. وأعماقُ المياه فوق العالم المادّيّ، انحدرت بهذه الصورة التي ظهرت حين حدّقت جميع السلطات والرئيس الأوّل في هذه الظاهرة، رأوا كلَّ الأعماق حين انحدرت. وعْبرَ النور، رأوا شكل الصورة في الماء. فقال يلدا باؤوت للسلطات التي معه: «تعالوا نخلق الإنسان حسب صورة الله ومع شبه من عندنا، بحيث تستطيع الصورة البشريّة أن تعطينا النور». فخلقوا عبر قواهم المتتالية بحسب السمات التي أعطيَت. وشارك كلّ من السلطات في سمة نفسانيّة توافق وجه الصورة التي رأوا. خلقوا كائنًا يُشبه الإنسان الأوّل الكامل، وقالوا: «ندعوه آدم. فاسمه يعطينا قوّة النور» (٢: ١٤-١٥).

ملحق ٨: أفلاطون تيمايوس

كيف عُيِّنت النفوس للنجوم.

تكلّم الباري، ومرّة أخرى في الكأس التي سبق فمزج نفس الكون، صبَّ بقايا العناصر ومزجها في الطريقة عينها. غير أنّها ما كانت طاهرة كما من قبل، بل مخفَّفة إلى الدرجة الثانية والثالثة. وإذ صنع هذا، قسم هذا المزيج التامّ في نفوس تساوي الكواكب في العدد. بعد ذلك وضعها في مركبة، وأراها طبيعة الكون، وأعلن لها شرائع المصير، الذي بحسبه يكون ميلادهم الأوَّل واحدًا ووحيدًا للجميع - بحيث لا يتحمَّل واحد إجحافًا بيديه. كانوا سوف يُزرَعون في أدوات الزمن التي تكيَّفت معهم بقساوة ويُخرجون أفضل الديني من الحيوان. وإذ كانت الطبيعة البشريّة من نوعين، فالنسل الرفيع يكون هنا بعد أن يُدعى بشريًّا... والشخص الذي يعيش حسنًا خلال الوقت المعيَّن له، يعود ويُقيم في نجمة مولده، وهناك يكون له وجود مبارك وعذب (٤١د- ٤٢ب).

ملحق ٩: الكتاب السرّيّ ليوحنّا

الآن صوفيا التي هي حكمة تمييز، وتشكّل إيّونًا، تصوّر على أنّها فكر من

ذاتها مع تصوّر الروح الخفيّ والمعرفة المسبقة. هي تريد أن تُنتج شيئًا مثل نفسها، بدون قبول الروح الذي يوافقها، وبدون شريكها، فبدون اعتباره. فالذَكرَ لا يوافق. هي لا تبحث عن شريكها وتعتبر ذلك بدون موافقة الروح وبدون معرفة شريكها. ومع ذلك، هي تلد. وبسبب القوّة التي لا تُقهَر فيها، لم يكن فكرُها فكرًا كسولاً. خرج منها بعض الشيء. هو ناقص ويختلف في الظاهر عنها، لأنَّها أنتجته بدون شريكها. هو لا يشبه أمَّه، فكان في غير محلِّه.

الفصل الثامن
إنجيل مريم المجدليّة

في نهاية سنة ١٩٤٥، كشفت مكتبة غنوصيّة في نجع حمادي التي هي قرية مصريّة تبعد ١٢٧ كلم إلى الشمال من الأقصر، مكتبة تضمّ ٥١ أو ٥٢ كتابًا، دُوِّنت في القبطيّة الصعيديّة. هي نصوص لم تكن معروفة قبل القرن العشرين ما عدا القليل منها، وقد جاءت من أصل سريانيّ أو يونانيّ. من هذا القليل إنجيل مريم (المجدليّة) وأعمال بطرس. هذان الكتيّبان وُجدا في القاهرة سنة ١٨٩٦ وهما الآن في متحف برلين.

ماذا نقرأ في هذا الإنجيل الغنوصيّ ذات الطابع المسيحيّ؟ ولكن نبدأ فنتعرَّف إلى مريم المجدليّة في النصوص الإنجيليّة القانونيّة. ثمّ نقدِّم النصّ قبل أن ننقله إلى العربيّة. وفي النهاية، نتعرَّف إلى امتداداته في التاريخ وصولاً إلى أيّامنا مع كُتب مثل شيفرة ده فنتشي وغيره.

١- مريم في الأناجيل الأربعة

تحدَّثت الأناجيل الأربعة عن عدد من النساء كُنَّ قريبات من يسوع، ساعة كان يموت على الصليب. أوّلاً، كانت مريم مع سائر النساء. يقول متّى: «وكان هناك كثير من النساء ينظرن عن بعد، وهنّ اللواتي تبعن يسوع من الجليل ليخدمنه، فيهنّ مريم المجدليّة، ومريم أمّ يعقوب ويوسف، وأمّ ابني زبدى» (مت ٢٧: ٥٥-٥٦)[١].

(١) هو نصّ الترجمة المشتركة الصادرة عن جمعيّة الكتاب المقدّس في لبنان وكذا نقول عن النصوص التي ستُذكر لاحقًا.

لا وجود للرجال عند الصليب. منذ البداية، نحسُّ أنّنا في مناخ نسائيّ والخدمة المذكورة هنا هي أبعد من خدمة مادّيّة. فالفعل اليونانيّ يرتبط بما نقول اليوم عن الشماس والشمّاسة[٢]. منذ البداية، نفهم أنّ الخدمة هي خدمة روحيّة، على ما عرفنا في الرسالة إلى رومة، التي تذكر أوّل من تذكر «فيبة الشمّاسة»، خادمة كنيسة كنَّخريّة (واحد من مرفأي كورنتوس) (رو ١٦: ١)، ويذكر النصّ معها مريم، التي تعبت كثيرًا لأجلكم» (آ٦). أما الانجيل، فيذكر مريم أمّ يعقوب ويوسف، اللذين هما إخوة المسيح مع يهوذا وسمعان. هي زوجة كلاوبا وأمّ ابني زبدى، سالومة المذكورة في مر ١٥: ٤٠–٤١:

«وكان هناك جماعة من النساء ينظرن عن بعد، فيهنّ مريم المجدليّة، ومريم أمّ يعقوب الصغير (ليميَّز عن يعقوب الرسول) ويوسي، وسالومة. وهنّ اللواتي تبعن يسوع وخَدمْنه عندما كان في الجليل، وغيرهنّ كثيرات صعدن معه إلى أورشليم».

فمريم هي من الجليل. وهذا ما يوضحه لوقا حين يتحدَّث عن «رسولات» أو «تلميذات» يرافقنه: «شفاهنّ من الأرواح الشرّيرة والأمراض. وهنّ مريم المعروفة بالمجدليّة وكان خرج منها سبعة شياطين» (لو ٨: ١–٢). كنّ شمّاسات (διακων، ܡܫܡܫܢ) بقرب يسوع، وبقين بجانبه حتّى وُضع في القبر (لو ٢٣: ٥٥).

هذا ما يُبعدنا عن مريم التي كانت أخت مرتا ولعازر المقيمين في بيت عنيا القريبة من أورشليم (يو ١١: ١٨: تبعد ميلين). كما يجب أن يبعدنا عن الخاطئة التي كانت عند قدمَي يسوع في بيت سمعان الفرّيسيّ[٣] (لو ٧: ٣٦ي). وقال

---

(٢) في اليونانيّة διακονουσαι وفي السريانيّة: ܡܫܡܫܢ ܗܘܝ. من هنا اشتقاق لفظة شمّاس.

(٣) A. FEUILLET, "Les deux onctions faites sur Jésus et Marie Madeleine ", *Revue Thomiste*, 85(1975), p. 357-394.

الوعّاظ عن المجدليّة إنّها كانت ابنة الشعب، لأنّهم ربطوها بمريم أخت مرتا التي كانت تخدم في البيت، ولم يكن لها خادمة، كما تعرف بيوت الأغنياء. فردَّت «الرواية الذهبيّة»: «مريم المدعوّة المجدليّة، هي من قصر مجدلون. وُلدت من أبوين معروفين لأنّهما انحدرا من سلالة، دعي أبوها سيرُس وأمّها أوخاريّا...(٤)».

اعتُبرت المجدليّة «ممسوسة». وتحدَّث لوقا عن «سبعة شياطين». ومثله فعل مرقس (١٦: ٩) في قسم أضيف في حقبة متأخِّرة، مستلهمًا إنجيل لوقا. نحن لا ننسى أنّ الرقم ٧ يدلّ على الكمال. والحديث عن سبعة شياطين يعيدنا إلى كلام الربّ في إنجيل لوقا: «إذا خرج الروح النجس من إنسان، هامَ في القفار يطلب الراحة، وعندما لا يجدها يقول: أرجع إلى بيتي الذي خرجت منه. فيرجع ويجده مكنوسًا مرتَّبًا (ولكن فارغًا)، فيذهب ويجيء بسبعة أرواح أشرَّ منه، فتصير حال ذلك الإنسان في آخرها أسوأ من حاله في أوَّلها» (لو ١١: ٢٤-٢٦). هذا بالنسبة إلى المجدليّة، يدلّ على العودة عن الخطيئة والانجرار إلى أعماقها. فالمسيح أخرج ما يمكن أن تكون فيه «مجرَّبة» للآخرين، على مثال ما كان سمعان بطرس الذي جرَّب الربّ. قال مت ١٦: ٢٢ يورد توبيخ يسوع: «ابتعد عنّي يا شيطان».

في هذا المجال، شرحت «**وصيّة الآباء الاثني عشر**» الموضوع فقالت: السبعة شياطين يمثِّلون الخطايا الرئيسيّة السبع(٥). وعظَّم الإنجيل صنيع الربّ لها. خرجت من الخطيئة، وصارت نموذج المرأة (وكلّ مؤمن باحث) الباحثة عن الربّ. لهذا جعلها يوحنّا الإنجيليّ وحدها عند القبر بعد القيامة (٢٠: ١). وهي

(٤) J. de VORAGINE, *La lègende dorée, Gallimard,* " La Pléiade ", 2004, p. 510.

(٥) نقرأ ذلك في وصيّة رأوبين، في **وصيّات الآباء الاثني عشر**، الخوري بولس الفغالي، الرابطة الكتابيّة، ٢٠٠٠، ص ١٩.

التي بشَّرت بطرس وفي النهاية عرفت الربّ بعد أن حسبته البستانيّ. فحين ناداها الربّ باسمها «مريم»، عرفته حالاً وهتفت «رابّوني» (٢٠: ١٦).

تلك هي مريم المجدليّة كما في الأناجيل، فماذا صارت في العالم الغنوصيّ؟

٢- إنجيل مريم

أ- الأناجيل المنحولة

كلمة إنجيل تعني الخبر السارّ، والكلمة تعود إلى أشعيا مع لفظ " בשׂר" كما في العربيّة. «ما أجمل على الجبال أقدام المبشِّرين» (أش ٥٢: ٧)[٦]. هكذا اعتبر الغنوصيّون أنّهم يحملون بشرى حلوة تجاه البشائر الأربع التي عُرفت قبل الأدب الغنوصيّ بقرن من الزمن. ولكنّنا نميِّز بساطة الأناجيل القانونيّة وصدقها، عن عدد ممّا دُعيَ خطأً «إنجيل» لأنّه لا يحمل الخبر السارَّ لسامعه، بل يبعده عمَّن هو الطريق والحقّ والحياة.

هذا ما يجعلنا في قلب الكتابات المنحولة، التي نُقلت في شكل مخطوطات وغذَّت التقوى الشعبيّة. مثلاً لا نجد شيئًا عن يواكيم وحنّة والدَي مريم في الكتاب المقدَّس، بل في نصّ منحول يُدعى **بروتوإنجيل يعقوب**، ويعود إلى القرن الثاني. والأناجيل المنحولة، بشكل خاصّ، حرَّكت المخيَّلة. بل اعتُبر عددٌ كبير منها أنّها تتضمَّن إيحاءات خفيّة تلاعبت فيها الكنيسة الرسميّة لكي تخفيها عن الذاكرة. وظنّ بعضهم ولا يزالون اليوم، أنّ هذه الكتابات اللارسميّة، تعلِّمنا عمّا حدث حقيقة أكثر من التي تكرَّست في تقليد الكنيسة. وشخص مريم المجدليّة يطرب، يسمح لهذا النوع من التنظيرات. ولكن من يتَّخذ هذه الطريق لا بدّ له من أن يُصاب بخيبة أمل.

---

(٦) في العبريّة: מְבַשֵּׂר وفي اليونانيّة εναγγελιζομενον
الكلمة اليونانيّة قديمة، وهي ترتبط بالرسول αγγελος الذي يعلن النصر للمدينة، وبالتالي الخبر الطيّب (ευ)

فقراءة الكتابات التي دُعيَت «مكتومة» على الناس العاديّين، لا تحمل اليوم أيّ طابع سرّيّ. فقد نُشرت، ونُقلت إلى اللغات الحديثة. أمّا مضمونُها فيَترك الإنسان على جوعه، إن لم يجعله يستخفّ بما يقرأ. هي تتضارب مع إيجاز الأناجيل، فتأتي الأفكار فيها بشكل يوجِّه الهوى والنزوات. مثلاً هذا الخبر المأخوذ من حياة يسوع كما وصلت في اللغة العربيّة. «حين جاء وقت الختان، أعني اليوم الثامن، فرضت العادة بأن يُختن الطفل، فختنوه أيضًا في المغارة. وأتت يهوديّة عجوز، وابنها صيدليّ، فأخذت الغلفة وجعلتها في قارورة عطور ثمينة، ثمّ قالت له: "إحذر أن تبيع هذه القارورة ولو أعطيَ لك ٣٠٠ دينار». هذه القارورة هي التي اشترتها مريم الخاطئة وصبَّتها على رأس يسوع(٧).

ونقرأ أيضًا في **كتاب القيامة** الذي يُنسب إلى برتلماوس، ويعود إلى القرن الخامس. بحسب هذا الكتاب، كان فيلوجيتس شاهدًا مباشرًا للقيامة، فرواها للنساء القدّيسات: «حينئذٍ قمتُ في منتصف الليل، ومضيتُ أمام باب قبر ربِّنا. فوجدتُ هناك جيشًا كاملاً من الملائكة، منتشرًا. الصفّ الأوّل، صف الكروبيم، كان ١٢ ألفًا. الصف الثاني، صفّ السرافيم، كان ١٣ ألفًا. الصف الثالث، صفّ القوّات، كان عشرين ألفًا. الصف الرابع أيضًا، صفّ العذارى كان ثلاثين ألفًا. كانوا آلافَ آلاف، أولئك الذين يحيطون به، وربوات ربوات أولئك الذين اجتمعوا لديه. وكانت هناك مركبة ناريّة كبيرة، تشعّ بالنار. ووقفت ١٢ عذراء على المركبة، وهنّ ينشدن المدائح في لغة السرافيم، فأجابهنّ الكهنة: آمين. هللويا(٨)».

---

(٧) إنجيل يسوع في اللغة العربيّة أو إنجيل الطفولة العربيّ. عاد إلى السريانيّة بحسب ما نقرأ في «**خبر الطوباويّة مريم العذراء**».

Ecrits Apocryphes Chrétiens, Gallimard, "La Pléiade", Paris, 1997(EAC), t. I, p. 214.

(٨) **كتاب قيامة يسوع المسيح بيد الرسول برتلماوس** ٨: ٤–٥. وجد في القبطيّة واستقى كثيرًا من الأخبار عن الآلام والقيامة، كما نقرأ في الأناجيل القانونيّة. *EAC*, I, p. 323-324.

ويتواصل الكلام: «جاء المخلِّص لديهم، وهو راكب على عرش كبير لأبي الكون. فهتف في لغة لاهوته: ماري.خار.ماريات الذي تفسيره: «مريم أمّ ابن الله». ففهمت مريم مدلول الكلمة وقالت: حرام بوناي خاتاتياري موت، الذي تفسيره: «ابن القدير هو السيّد والنبيّ».

ب- ماذا عن مريم المجدليّة

لا نجد الكثير عن مريم المجدليّة في المنحولات. ولكن في **كتاب القيامة**(٩) نقرأ بعض الأسماء من نساء أخريات أتين إلى القبر: «في صباح الأحد، ساعة كان بعدُ ظلام، خرجت النسوة القدّيسات ليذهبن إلى القبر. مريم المجدليّة، ومريم أمّ يعقوب، تلك التي نجّاها من يدي الشيطان، وسالومة المجرِّبة، ومريم التي تخدم ومرتا أختها وسوسنة امرأة خوزي وكيل هيرودس، التي ابتعدت عن السرير الزوجيّ، وبرنيقة التي توقّف نزفُ دمها في كفرناحوم، وليئة الأرملة التي أقام الله ابنها من بين الأموات، والمرأة الخاطئة التي قال لها الربّ: «غفرت لك خطاياك الكثيرة. امضِ بالسلام» (لو ٨: ١)، (ص ٣٢٢)

إذا كنّا نصدِّق ما في هذا النصّ، من المفيد أن نعرف أنّ سالومة التي رقصت أمام هيرودس، جاءت في مجموعة «النساء القدّيسات».

أمّا **إنجيل بطرس**(١٠) فيكتفي باستعادة خبر الأناجيل ويتوسَّع فيه: «في صباح الأحد، مريم المجدليّة تلميذة الربّ، خافت من اليهود الذين اشتعلوا غيظًا. ما كانت عملت على قبر الربّ ما اعتادت النساء أن يفعلن من أجل الموتى الذين يحبّون. فأخذت معها صديقاتها، ومضت إلى القبر حيث وُضع (يسوع). خفنْ أن يراهنّ اليهود، وقلن: "يوم صُلب ما استطعنا أن نبكي ونقرع الصدور، فلنفعل

(٩) المرجع السابق ٩: ١، ص ٣٢٤.

(١٠) نمتلك منه مقاطع في اليونانيّة تعود إلى القرن السادس.

أقلّه الآن عند القبر! ولكن من يدحرج لنا الحجر الذي وُضع على باب القبر، بحيث ندخل ونجلس قربه ونفعل ما هو واجب؟" فهذا الحجر كان كبيرًا؟ وخفنا (=نحن) أن يرونا (=الحرس). وإن كنّا لا نستطيع أن ندخل، نُلقي أقلّه عند الباب ما نحمل إكرامًا لذكراه. ونبكي ونقرع الصدور حتّى عودَتِنا إلى البيت. وحين مضين وجدن القبر مفتوحًا. فاقتربن وانحنين لينظرن. فرأين هناك في وسط القبر، شابًا جميلاً يرتدي ثوبًا بهيًّا. فقال لهنّ: "لماذا أتنّ هنا؟ فانحِنين وانظرْن المكان الذي وُضع فيه. إنّه قام ومضى إلى المكان الذي منه أرسل". حينئذٍ هربت النسوة مرتعدات[١١]».

هذا الخبر استفاض في الكلام فتجاوز الأناجيل. ولكن ما زاد عليها شيئًا، بل شدَّد على خوف النسوة. فالتقى مع **رسالة الرسل** التي أبرزت الشكوكيّة والارتياب:

«نحن نعرف أنّه ذاك الذي صُلب في أيّام بيلاطس البنطي والأمير أرخيلاوس، صُلب بين لصّين، ومعهما أُنزل عن خشبة الصليب، ودُفن في موضع يُسمّى كرنيو[١٢]، حيث مضت ثلاث نسوة: سارة، مرتا، مريم المجدليّة. حملن الطيوب ليضمِّخن جسده. وبكين وانتحبن بسبب ما حصل. وإذ اقتربن من القبر، وجدن الحجر في الموضع الذي منه دحرج إلى القبر. فتحْنَ الباب فما وجدن جسده.

«وإذ كنّ منتحبات وباكيات، ظهر لهنّ الربّ وقال: "لا تبكين. أنا هو الذي تطلبن. لتذهب واحدة منكنّ إلى إخوتي ولتقل لهم: «تعالوا، المسيح قام من بين الأموات!" فأتت مريم إلينا وأعلمتنا. ولكن قلنا (نحن) لها: "ما لنا ولك يا امرأة؟ ذاك الذي مات قد دُفن. فهل يقدرُ أن يحيا؟ وما صدَّقناها (= نحن الرسل) حين

(١١) *EAC*, I, p. 253-254.

(١٢) Κρανιον: Le crâne الجمجمة

أكّدت أنّ مخلِّصنا قام من بين الأموات. حينئذٍ عادت إلى ربِّنا وقالت له: "ما من أحد صدَّقني في ما يخصّ قيامتك". فقال لهنّ: "لتذهب واحدة منكنّ ولتقلْ لهم أيضًا". فأتت سارة وروت لنا الأمر عينه. ولكنّنا اتّهمناها بالكذب. فعادت إلى ربِّنا وكلّمته مثل مريم. حينئذٍ قال الربّ لمريم ولأختيها: "ونحن بأنفسنا نمضي إليهم". فأتى ووجدنا فحجبنا وجهنا"»(١٣).

ج- مقدّمة إلى إنجيل مريم

أوّلاً: كتاب غنوصيّ

إنجيل مريم هو أوّل كتيّب في الكودكس القبطيّ الموجود في برلين، تحت رقم ٨٥٠٢. عنوانه حسب القولوفون «**الإنجيل بحسب مريم**» (١٩: ٣-٥). وإن لم يكن في خبر عن حياة يسوع وموته، فمع ذلك نال عنوان «إنجيل» لأنّه ينقل بلاغًا صادرًا عن المخلِّص. وهكذا يتسجَّل في خطّ التعاليم التي قدَّمها المسيح القائم من الموت، إلى تلاميذه الحيارى قبل أن يتركهم.

شخص مريم هنا ليس شخص مريم العذراء أمّ المسيح، بل شخص مريم المجدليّة، التي قالت الأناجيل عنها: كانت أوَّل من رأى القائم من الموت وتسلَّمت بلاغه. نقطة الانطلاق لهذا النصّ نجدها في إنجيل يوحنّا، حيث تعلن مريم للتلاميذ: «رأيت الربّ وقال لي» (يو ٢٠: ١٨). وامتياز الرؤية منحها يسوع لتلك التي أحبَّها أكثر من سائر التلاميذ، رجالاً كانوا أمّ نساء (١٠: ٢-٣؛ ١٨: ١٤-١٥)، يتَّخذ هنا أهمّيّة خاصّة: أعطى الربّ لمريم المعرفة الكاملة التي تتيح لها، لا أن تدخل هي نفسها في السرّ فقط، بل أن تنيره وتُدخل الآخرين

(١٣) Epître des Apôtres, *EAC* p. 369-370.
هذه الرسالة هي في الواقع حوار (أو حوارات) بين المسيح القائم من الموت وبين تلاميذه، الذين سألوه قبل صعوده.

فيه(١٤). فدور المجدليّة هذا الذي لن يُحتفَظ منه فيما بعد، سوى البكاء والتوبة، صار موضوع عدد من التفاسير والإشارات في القرون المسيحيّة الأولى(١٥).

ثانيًا: مضمون الكتاب

هذا المخطوط القبطيّ الذي تشوّه في بدايته ونهايته، يقدّم مع ذلك تأليفًا متناسقًا. ونحن نستطيع أن نقسمه قسمين متوازيين. الأوّل، حوار يسوع مع تلاميذه قبل أن يتركهم. المحورُ الثاني خطاب مريم التي تحاول أن تعزّي رفاقها بخبر رؤية، منحها المخلّص لها. وكلّ تدخُّل من هذه التدخُّلات يحرِّك لدى الرسل ردّات فعل وجدالات تتوخّى الحصولَ على جواب لأسئلة شرعيّة.

بعد مقدِّمة «فلسفيّة» حول طبيعة الشرّ، والخطيئة ونتائجها، ذكّر يسوعُ التلاميذ بإنجيله: السلام الذي يرافقه حضورُ الملكوت فيهم. وقبل أن يتركهم، أرسلهم ليحملوا البشارة بدورهم.

تبلبل الرسل. خافوا بسبب ذهاب يسوع، وما ينتظرهم من آلام آتية. فتدخَّلت مريم المجدليّة: إذا كان إخوتها تحيَّروا، فلأنّهم ما بلغوا بعد إلى المعرفة الحقيقيّة، التي وحدها تستطيع أن تؤمِّن الثبات الداخليّ والاطمئنان. والإنسان، الإنسان الكامل، هو ثمرتها بفضل توحيد النفس والذهن من جديد. وإذ سأل بطرس، عرضت مريم ما كُشفَ لها في رؤية.

اتَّخذت هذه الرؤية شكل سفر الرسل إلى العالم العلويّ، فكشفت الفخاخ التي تحاول نصْبَها قوّاتُ الشرّ.

---

(١٤) A. MARSANEN, *The woman Jesus loved Mary Magdalen in the Nag Hammadi Library and related Documents* (Nag Hammadi Studies, 40), Leyde, NewYork, Colloque, 1996; K. L. KING, "The Gospel of Mary Magdalen" in *Searching the Scriptures, Volume Two: A Feminist Commentary*, éd. E. Schlusser-Fiorenza, New-York, 1994, p. 601-634.

(١٥) F. MORAR, "L'Evangile de Marie: un message ascétique", *Apocrypha*, 12(2001), p. 155-171.

حرَّكت خطبتا يسوع ومريم، لدى الرسل، تساؤلات يمكن أن تكون انعكاسَ أسئلةٍ تُطرَح في الجماعات، في الأجيال الأولى. من جهة، حاول بطرس أن ينال من يسوع تعليمًا حول مصير الإنسان على هذه الأرض. فسأله عن المادّة، وعن الخطيئة ونتائجها. كما سأله عن المرض والموت. ومن جهة ثانية، رأى الرسل ثقة مريم الهادئة، فتساءلوا إن كان بإمكانهم أن ينعموا، عبرَ وحي مميَّز، بمعرفة لم تُمنَح لهم، وإن كان باستطاعتهم أن يثقوا به في هذا المجال. والجدال الذي حرَّكه بطرس وأندراوس، يُقفَل في أمرٍ «أصدره» لاوي بأن يقبلوا من مريم تعليمًا نالته من المخلِّص نفسه، لأنَّه أحبّها أكثر منهم كلِّهم.

ثالثًا: متى دوّن هذا الإنجيل وأين؟

إذا أخذنا برأي الباحثين، وعرفنا زمن الأجزاء اليونانيّة التي وُجدت، نستطيع أن نحدِّد زمن تأليف إنجيل مريم في وسط القرن الثاني، أو في النصف الثاني من القرن الثاني. وأين؟ في مصر، أو في سورية فلسطين، أو في سورية الشرقيّة.

قدَّم ميشال ترديو[١٦] تقاربًا مفيدًا بين النصّ الذي نقرأ وتنظيرات الفيلسوف السريانيّ برديصان[١٧] كما عُرف في كتابه «**كتاب الشرائع والبلدان**» الذي يعود إلى القرن الثاني. ثمّ إنّ العظة التاسعة عشرة المنسوبة إلى البابا إكلمنضس الرومانيّ[١٨]، استعادت النظريّات عينها حول مسألة الشرّ، ومصير الإنسان،

(١٦) M. TARDIEU, *Ecrits gnostiques, Codex de Berlin*, (Sources gnostiques et manichéennes, 1), Paris, 1984.

(١٧) رجل أدب، عاش في البلاط الملكيّ. هو أوَّل شاعر مسيحيّ، جذبته نظريّات مرقيون وولنطي فحاربه أفرام

F. NAU, *Bardesane l'Astrologue, le "livre des lois des pays"*, Paris, 1899 (texte avec tr. Frse), *Patrologia syriaca*, vol II, 490-658, Paris, 1907 (avec tr. Latine); H. J. W. DRIJVERS, *Bardaisan of Edessa*, Assen, 1966

بولس الفغالي، «من أجل فكر مشرقيّ، برديصان الرهاويّ»، **المسرّة**، عدد ٦٨٥-٦٨٦ (١٩٨٣)، ص ٦٢-٨٢: «كتاب شرائع البلدان»، **دراسات**، ٢٢(١٩٨٧)، ص ٥-٢٨.

(١٨) *EAC*, II, p. 1547, Homélie XIX

وحرّيّة القرار. هذه التوازيات أتاحت للأستاذ ترديو أن يفترض بأنّ «الإنجيل» يتضمّن توسُّعًا مشابهًا في الصفحات الناقصة في بداية خطبة المخلّص: عالج المخلِّص مسألة أصل الشرّ في العالم، ومسؤوليّة الروح الشرّير في هذا الوضع، قبل أن يتطرّق إلى المادّة والخطيئة والمرض والموت.

لا شكّ في أنّ نسختَي كتاب البسيدوإكلمنضس جاءتا بعد **إنجيل مريم**، لأنّهما تعودان إلى القرن الرابع. ولكنّهما تستندان إلى مراجع أقدم، يمكنها أن تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني(١٩). التقاربات التي نكتشفها مع بعض اهتمامات إنجيل مريم، قد تكون علامة على انتماء هذه النصوص إلى وسط واحد: وسط سورية – فلسطين أو ربّما الإسكندريّة. من هذه التقاربات، مسألة الزنى. أو: شرعيّة الرؤى الشخصيّة. وتساؤلات عبَّر عنها بطرس حول مصير الإنسان على هذه الأرض.

ثمّ إنّ التنظيرات الهرماسيّة حول أصل الإنسان، ووجوده على الأرض، ومصيره الآتي، كما نقرأها مثلاً في الكتاب الأوّل من المجموعة الهرماسيّة(٢٠)، تصلح كخلفيّة تساعد في إلقاء الضوء على تعليم إنجيل مريم، الذي يبدو في بعض المرّات غامضًا.

رابعًا: ماذا عن النصّ؟

إنجيل مريم أو **الإنجيل بحسب مريم** هو المقال الأوّل في كودكس برلين ٨٥٠٢. جاء في ص ١–١٨ مع أربعة أسطر في ص ١٩. هذا الكودكس المكتوب على الورق البرديّ، اشتراه في القاهرة، سنة ١٨٩١، عالمٌ يهوديّ.

---

(١٩) J. D. KAESTLI, “Où en est le débat sur le judéo-christianisme”, *Le Déchirement juif et Chrétien au premier siècle*, éd. D. MARGUERAT, Genève, 1996, p. 243-272; S.C. MIMOUNI, *Le judéo-christianisme ancien*, Paris, 1998, p. 277-286.

(٢٠) *Corpus hermeticum*, I, éd. A. D. NOCK et A. J. FESTUGIERE, Paris, 1978, p. 1-28.
نسبة إلى الاله هرمس، الذي يقابل تحوت المصريّ.

وهو الآن محفوظ في برلين، في قسم الدراسات المصريّة، في المتاحف الوطنيّة. تضمَّن في الأصل ٧٢ وريقة في دفتر واحد مجلَّد. ولكن بقي فقط ٦٥ صفحة. قد يكون جاء من منطقة أخميم، ونُسخ في بداية القرن الخامس. وكان مع إنجيل مريم ثلاثة مقالات أخرى: أبوكريفون (أو منحول) يوحنّا، حكمة يسوع المسيح، عمل بطرس.

من المؤسف أن يكون في إنجيل مريم فجوتان كبيرتان. نقصت ص ١-٦ كما نقصت ص ١١-١٤. مع أنّ البداية ضاعت، فالعنوان نقرأه في القولوفون ص ١٩. وجاء النصّ القبطيّ في اللهجة الصعيديّة مع بعض خصائص الأخميميّة وما تفرَّع منها من لهجة. هذا النصّ القبطيّ نُقل من الأصل اليونانيّ في القرن الرابع أو في بداية القرن الخامس.

ووُجد مقطعان مختلفان يونانيّان. وُجدا على ما يبدو في بهلنسة(٢١). تعرّف العلماء إلى مضمونهما بفضل تقاطع مع المخطوط القبطيّ. ولكنّهما لا يملآن الفجوتين في النصّ الذي نقرأه اليوم. الأوّل، برديّة رايلاندس٤٦٣(٢٢) الثاني، برديّة بهلنسة٣٥٢٥(٢٣). نُشر هذان المقطعان ونُقلا إلى الألمانيّة سنة

---

(٢١) Oxyrhynque

(٢٢) نُشر سنة ١٩٣٨

C. H. ROBERTS, *Catalogue of the Greck and latin Papyri in the John Rynlnds Library Manchester III*, Manchester, 1938, p. 18-23.

ثمّ نُشر سنة ١٩٣٩

C. KAPSOMENOS, "Το κατα μαριαμ Ευαγγελιον", Athena, 49(1939), p. 177-186.

راجع A. PASQUIER, *L'Evangile selon Marie*, Québec, 1983, p. 42-46.

استعاد هذا الكتاب نشرة كابومانس كحاشية حين نشر مخطوط برلين. هذا الجزء يحتلّ وريقة واحدة، ويقابل في النصّ القبطيّ ١٨: ٥-١٩: ١ واستطاع الباحثون أن يملأوا فجوات النصّ اليونانيّ بواسطة القبطي، وإن لم يكن نموذجًا له. أمّا التاريخ فقد يكون بداية القرن الثالث.

(٢٣) P. S. PARSONS, *The Oxyrhinchus Papyri*, vol L, Londres, 1983, p. 12-13.

كان برسونس أوّل من تعرَّف إلى المخطوط، الذي يعود إلى القرن الثالث وأعيد ترميمه بفضل النصّ القبطيّ. هو يقابل ٩: ٥-١٠: ١٤ في مخطوط برلين. يبدو أنّه لا ينتمي إلى المخطوط الذي ينتمي إليه مخطوط رايلاندس. وهو، شأنه شأن رايلندس، لا يبدو موافقًا النموذج اليونانيّ الذي استعمله المترجمُ القبطيّ.

١٩٨٨[٢٤]. ومع وجود هذا الأصل اليونانيّ، الذي يسبق القبطيّ، جاء القبطيّ نصًّا أساسيًّا للترجمة. فاليونانيّ مشوّه جدًّا، وقد حاول الدارسون إعادة بناء النصّ وترميمه في أكثر من موضع.

٣- نصّ الإنجيل بحسب مريم

٧ (١)[٢٥]... إذًا، هل المادّة سوف (٢) تدمَّر أم لا؟». فقال المخلِّص: (٣) «جميع الطبائع، جميع الخلائق، جميع المخلوقات (٤) تداخلت بعضها في بعض (٥) ولكنها في جذورها الخاصّة (٦) تعود فتنحلّ، لأنّ (٧) في جذور طبيعتها فقط (٨) تنحلّ طبيعةُ المادّة. فمن له (٩) أذنان للسماع فليسمع"»[٢٦].

(١٠) فقال له بطرس: "بما أنَّك شرحتَ لنا (١١) كلَّ شيء، فقُلْ لنا أيضًا هذا: (١٢) ما هي خطيئة العالم؟" (١٣) فقال المخلِّص: "لا وجود للخطيئة. (١٤) بل أنتم تصنعون الخطيئة (١٥) حين تتصرَّفون في وفاق مع طبيعة الزنى[٢٧] (١٦)

(٢٤) D. LUEHRMANN, “Die grieschichen Fragmente des Mariaevangeliums Pox 3525 und PRYL 463 », in *Novum Testamentum*, 30, 1988, p. 322-338 ; voir K. L. KING, « The Gospel of Mary », *The Complete Gospels. Annotated Scholars Version*, revised and expanded edition by R. J. MILLER, San Francisco, 1994, p. 361-366.

(٢٥) غابت ص ١-٦ من المخطوط. أمّا الأرقام فتدلّ على الأسطر. اعتبر ترديو أنّ تصميم العظة التاسعة عشر من العظات الإقليميّة المزعومة، قد تشير إلى مضمون النصّ الغائب: قد يكون بدأ تعليمُ يسوع بجدال حول الخصم، الروح الشرّير، المسؤول عن الشرّ في العالم. بعد ذلك، تطرّق إلى أسئلة لاحقة حول المادّة والخطيئة والمرض والموت.

(٢٦) أشرنا في ما سبق إلى برديصان الذي اعتبر المادّة مكوَّنة من أربعة عناصر أوّليّة: الهواء، النار، الماء، التراب. وأضاف عنصرًا خامسًا: الظلمة التي تأتي فتبلبل التناسق الأوّل وتحرِّك مزيجًا لا يرتِّبه سوى الكلمة الخلاّقة. غير أنّ بعض الظلام يبقى ممتزجًا بتماميّة العناصر الأولى. لهذا كانت ضرورةُ تطهير متواصل للعالم المخلوق حتّى انتهاء المسيرة التي تمتدّ ستة آلاف سنة. أمّا الإنسان، فالقرار = حرّ الذي يمتلكه يتيح له، بعد اتّخاذ الخيارات المناسبة، أن يشارك هو أيضًا في هذا التطهير الضروريّ للبلوغ إلى التحرُّر الكامل.

(٢٧) يمثِّل الزنى اتّحادًا منافيًا للطبيعة بين الروح والمادّة (رج **العظات الإقليميّة** ٣: ٢٧-٢٨). هي خطيئة الانقسام التي تقاوم وحدة القلب (رج ٩: ١٩). في العهد القديم، الزنى يمثِّل نقض العهد مع الله، الانفصال عن الواحد. في **رسالة يعقوب**، «مقسّمو الرأي» (ذات نفسين διψυχι) صاروا أعداء الله، ووُصفوا بالزنى (يع ٤: ٤-٨).

الذي يُدعى الخطيئة (١٧). لهذا أتى الخير[٢٨] (١٨) في وسطكم حتّى العناصر التي تكوّن كلَّ طبيعة (١٩) من أجل إعادتها إلى (٢٠) أصلها». وتابع أيضًا (٢١) فقال: «لهذا أنتم مرضى (٢٢) وتموتون[٢٩] لأنّ...

٨ (١) ممّا... فمن يستطيع (٢) أن يفهم يفهم. فالمادّة وَلدت (٣) هوى لا يمتلك الصورة (٤)، لأنّها وُلدت من اتّحادٍ منافٍ للطبيعة. (٥) حينئذٍ يحصل اضطراب في (٦) الجسد كلِّه. لهذا قلتُ لكم: «(٧): "كونوا في تناغم[٣٠]. وإن لم تكونوا كذلك «كونوا (٩) أقلّه في تناغم مع كلِّ صورة (١٠) في الطبيعة". فمن له أذنان (١١) للسماع فليسمع».

(١٢) حين قال المطوَّبُ ذلك، (١٣) حيّاهم جميعًا فقال: (١٤) "السلام يكون معكم[٣١]. سلامي (١٥) يكون سلامكم. فاسهروا[٣٢] بحيث ما من أحد (١٦) يُضلُّكم قائلاً: (١٧) "ها هو هنا" أو "ها هو هناك"، (١٨) لأنّ في داخلكم (١٩) ابن الإنسان هو[٣٣]. فاتبعوه. (٢٠) فالذين يطلبونه (٢١) يجدونه. فامضوا (٢٢) وأعلنوا إنجيل[٣٤] الملكوت.

---

(٢٨) «الخير خاصّ بالإنسان»، كما قال برديصان (**كتاب شرائع ٢٣**) و«الشرّ عملُ الشيطان» الإنسان محوَّل إلى الخير الذي هو ملازم له. «في داخلكم ابن الإنسان (٨: ١٨-١٩). والخير هو يسوع الذي أتى ليعيد بناء طبيعة الإنسان الحقّة.

(٢٩) في هذا قالت «العظات» (١٩/٢٠: ٨): «ما دام التناغم، فلا وجع ولا موت». بعد القاطعة «من له أذنان»، يستعيد النصُّ الفكرة عينها: الاتّحاد المنافي للطبيعة في الزنى. الانقسام محا الصورة الروحيّة. والدواء للاضطراب الذي تولّد هكذا، يكون باستعادة التناغم المفقود (٨: ٢-١٠).

(٣٠) أي كونوا في هدوء: كونوا متقبّلين الآخر، خاضعين.

(٣١) يو ٢٠: ١٩، ٢١، ٢٦. كان الاضطراب باديًا على الرسل حين ظهر لهم الربّ بعد القيامة.

(٣٢) رج مت ٢٤: ٤-٥؛ مر ١٣: ٥-٦؛ لو ٢١: ٨. وعبارة: هو هنا، هو هناك، رج مت ٢٤: ٢٣؛ مر ١٣: ٢١؛ لو ١٧: ٢٣.

(٣٣) رج لو ١٧: ٢١. تكلّم لوقا عن ملكوت الله كما في **إنجيل توما** (القولان ٣ و١١٣) *EAC*, I, p. 33 et 53. أمّا في إنجيل مريم، فابن الإنسان نفسه يجسِّد الملكوت.

(٣٤) مت ٢٨: ١٩؛ مر ١٦: ١٥. نلاحظ أنّ هذه الكتابات المنحولة تأخذ عبارات من الأناجيل القانونيّة، وتدوِّنها في خطِّها الفكريّ.

٩ (١) لا تفرضوا قاعدة[٣٥] واحدة خارجَ (٢) ما حدَّدتُ لكم. ولا تُعطوا شريعة (٣) على طريقة المشترع، لئلاّ (٤) تسيطر عليكم». (٥) وبعد أن قال هذا، مضى[٣٦].

أمّا هم (٦) فاكتأبوا وبكوا[٣٧] كثيرًا (٧) وقالوا: «كيف نمضي (٨) إلى الوثنيّين لكي نُعلن (٩) إنجيل ملكوت ابن (١٠) الإنسان؟ إن كان هو (١١) ما عفوا عنه، فكيف نحن (١٢) يعفون عنّا؟» حينئذٍ نهضت مريم (١٣) وحيَّتهم جميعًا (١٤) وقالت لإخوتها: «لا تبكوا، (١٥) لا تكتئبوا، ولا يكن قلبكم (١٦) مقسَّمًا[٣٨]، لأنّ نعمته تكون (١٧) معكم جميعًا وتحميكم. (١٨) بل فلنمدح عظمته، لأنّه وحَّدنا[٣٩] (٢٠) وجعل منّا

(٣٥) رج ١٨: ١٩–٢١. في هذا ردّ على اتّجاهات متطرّفة في التعفّفيّة الفتيّة، التي تحاول أن تفرض على النسّاك شرائع في ما يتعلّق بالحياة الجنسيّة والامتناع عن بعض الأطعمة، بالفقر والتجرّد عن الخيرات الماديّة. كلّ هذا تحدَّث عنه يسوع وما فرضه.

G. QUISPEL, "The Study of Encratism: a Historical Survey", *La Tradizione dell'enkrateia. Motivazioni ontologiche e protologiche. Atti del colloquio internazionale, Milano 29-23 aprile 1982*, éd. V. BIANCHI, Rome, 1985, p. 55-82; P. F. BENTRICE, "Continenza e matrimonio nel cristianesimo primitive (secc 1-2)", *Etica sessuale e matrimonio nel cristianesimo delle origini*, éd. R. CANTALAMESSA, Milan, 1976, p. 3-68

بولس الفغالي، التعفّفيّة في **المسرّة**، ٨٥(١٩٩٩)، ص ٣٥٣–٣٧٣.

(٣٦) هنا يبدأ المقطع اليونانيّ المحفوظ في برديّة بهلنسة ٣٥٢٥.

(٣٧) هي ردّة الفعل العاديّة لدى الرسل في جميع الأخبار المنحولة (تقريبًا) لظهورات يسوع القائم من الموت، ساعة يترك أخصّاءه. نلاحظ هنا الاختلاف الكبير مع الكتابات القانونيّة في ما يتعلّق بموقف التلاميذ بعد صعود الربّ. رج لو ٢٤: ٥٢؛ أع ١: ١٢–١٤.

(٣٨) في اليونانيّة: μη δισταρζετε لا تشكّوا، لا ترتابوا. نجد هذا الفعل ٥ مرّات في راعي هرماس، أمّا διψυχος فيستعمل ٥٨ مرّة. إنّ العبارة القبطيّة: لا يكن لكم قلبان، أو لا يكن قلبكم «مقسّمًا» تشير إلى اللفظ اليونانيّ διψυχος الذي يتواتر في النصوص اليهومسيحيّة (يع ١: ٨؛ ٤: ٨؛ **راعي هرماس**، رؤية ٣: ٤؛ الفريضة ٩؛ **رسالة إكلمنضس إلى الكورنثيّين** ١١: ٢؛ ٢٣: ٢–٣. إنّ انقسام القلب هذا يتعارض في شكل مباشر مع وحدة الكيان، التي ستذكّرهم بها مريم قريبًا.

(٣٩) الفعل القبطيّ sobte يعني: أعدّ، رتّب، نسّق، وفي النهاية وحّد. هو يذكّرنا بما قال يسوع في ٨: ٧ حول التناغم. هو يقابل الفعل اليونانيّ συναρτασ الذي استعمله المقطعُ اليونانيّ: جمع، ربط، ضمّ، وحّد.

إنسانًا"[٤٠]. بهذه الكلمات (٢١) حوَّلت مريم قلبَهم (٢٢) نحو الخير، فأخذوا (٢٣) يناقشون أقوال المخلِّص.

١٠ (١) قال بطرس لمريم: «يا أختُ، (٢) نحن نعرف أنّ المسيح أحبَّكِ[٤١] (٣) أكثر من أيّة امرأة أخرى. (٤) فقولي لنا كلمات المخلِّص التي (٥) تذكرين، التي تعرفين (٦)، التي لا نعرف والتي لم نسمع».

(٧) فأجابت مريم وقالت: (٨) «ما خفي عنكم أُعلنه لكم». (٩) وبدأت تُلقي عليهم (١٠) هذا الخطاب. قالت: «أنا رأيتُ (١١) الربّ[٤٢] في رؤية. وله

---

(٤٠) في اليونانيّة ανθρωπος أو الكائن البشريّ. رجلاً أو امرأة، لا الرجل وحده. حسب المجموعة الهرماسيّة (١: ٩؛ ١: ١٢) الإله العقل νους الذي هو ذكر وأنثى، وأبو جميع الكائنات، الحياة والنور، أنجب إنسانًا شبيهًا به. غير أنّ هذه الوحدة الأوّلانيّة تتعرّض للخطر بسبب سقوط الإنسان في المادّة. في **العظات** (٢/١٥: ٢–٣)، نجد فكرة تقول إنّ العالم الحاضر هو أنثى معدّ للصيرورة وللجهل. أمّا العالم الآتي فهو ذكر، أزليّ، وهو معرفة. من هنا ضرورة التوقان نحو الملكوت، ومحاولة إيجاد الوحدة الأولى. وعبَّرت نصوص أخرى من القرون المسيحيّة الأولى عن الفكرة عينها عبر صورة قسمة الجنس البشريّ بين رجل وامرأة. هذا ما قاله **إنجيلُ المصريّين** كما أورده إكلمنضُس الإسكندرانيّ في الموشّيات (٣: ١٣): طرحت سالومة سؤالاً حول مجيء الملكوت، فأعطى يسوع الجواب التالي: «حين يصبح اللذان هما اثنان واحدًا، حين الذكر مع الأنثى لا يعودان ذكرًا ولا أنثى» EAC I, p. 477 **إنجيل توما** (القول ٢٢)، يكون الدخول إلى الملكوت أيضًا مشروحًا بتوحيد الكائن حين نتذكّر أنّ المسيح جعل منّا "إنسانًا"، نتوق إلى توحيد باطنيّ يكون ويبقى EAC, I, p. 38. المثال الخاصّ في الحركة النسكيّة.

(٤١) في يو ١١: ٥ نقرأ أنّ يسوع أحبّ مرتا وأختها. وإذا تماهت مريم هذه مع المجدليّة، نفهم حبّ المسيح لمريم هذه. أمّا **إنجيل فيلبّس** (٦٣: ٣٤–٦٤)، فيجعل من مريم رفيقة يسوع وتلميذته المفضّلة.

(٤٢) رج يو ٢٠: ١٨ حيث رأت المجدليّة الربّ، وروت للتلاميذ ما قال لها. بحسب الكتاب ١٣ من المجموعة الهرماسيّة، يرى المتدرِّج (رؤية) حين يصل إلى الولادة التامّة الجديدة، إلى درجة المعرفة السامية. هذه الرؤية روحيّة، لا جسديّة (١٣: ١٣). ثمّ إنّ الرؤية تعطي المتدرِّج ثباتَ الله نفسه، لأنّ الله حاضر في الأنا الجديد (١٣: ١١). A. J. FESTUGIERE, *La révélation d'Hermés Trismegiste*, 3, Paris, rééd. 1986, p. 156-157.

وكلمة يسوع تعبِّر عن هذا الواقع الجديد: «طوبى لك...». بالرؤى يتقبَّل النبيُّ الأسرار الإلهيّة التي تصل إليه. وبحسب **إنجيل مريم**، استطاعت مريم شرعًا أن تعلن أنّها نالت مثل هذه الموهبة النبويّة.

(١٢) قلتُ: "يا ربّ، رأيتك (١٣) اليوم في رؤية". فأجاب (١٤) وقال: طوباك. أنت[٤٣] ما تبلبلتِ (١٥) لدى رؤيتي، لأنّه حيث الذهن (١٦) هناك الكنز"[٤٤]. فقلتُ له: "يا ربّ، (١٧) ذاك الذي يرى الآن (١٨) الرؤية، هل يراها بالنفس أم (١٩) بالعقل؟" فأجاب المخلِّص (٢٠) وقال: "لا بالنفس ولا بالعقل يرى، ولكنَّ الذهن[٤٥] الذي هو (٢٢) بين الاثنين، هو الذي (٢٣) يُدرك الرؤية وهو الذي..."[٤٦]».

١٥ (١) هو، فقالت الرغبة: (٢) «ما رأيتك تنزلين[٤٧] (٣)، ولكنّي الآن أراك

---

(٤٣) هنا ينتهي المقطع اليونانيّ المحفوظ في برديّة بهلنسة ٣٥٢٥.

(٤٤) بالنسبة إلى المختار في المجموعة الهرماسيّة، في الذهن تتمّ رؤيةُ الأنا الجديد، ويُوجَد كنزُ الولادة الجديدة. هذا القول في تعبير واحد، يرد ثلاث مرّات لدى إكلمنضُس الإسكندرانيّ (**الموشّيات** ٤/٦: ٣٣؛ ٧/١٢: ٧٧؛ **أي غنيّ يخلص** ١٧) كما في نصّ نسكيّ منسوب إلى مكاريوس المصريّ (**عظة روحيّة**، ٤٣: ٣). في هذه الحالة الأخيرة، المعنى واضح جدًّا. هو نشاط الذهن الذي يهتمّ دومًا بإله يؤمِّن للإنسان خلاصه. وجاء التعبير عن قول يسوع معاكس لما في مت ٦: ٢١: «حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك» (رج لو ١٢: ٣٤).

(٤٥) ثبّت جوابُ يسوع معنى القول السابق: بالذهن الذي هو عنصر ذكر في المركَّب الإنسانيّ، والذي يقاوم النفس الأنثى، يتمّ التوحيد الجديد الذي يقود إلى المعرفة الكاملة.

(٤٦) غابت ص ١١–١٤ في المخطوط. في هذه الفجوة يبدأ (على ما يبدو) خبرُ صعود النفس بشكل عامّ، وبشكل خاصّ خبر لقائها بالقوّة الأولى، بالظلمة (١٥: ١٠–١٢). فاللقاء بالقوى التي تحرس الدوائر السماويّة، موضوعٌ معروف في الأدب الكلدانيّ والغنوصيّ. رج

M. TARDIEU, La Gnose valentinienne et les oracles chaldaiques", *The Rediscovery of Gnosticism*, I, éd. B. LAYTON, Leyde, 1980, p. 194-237.

يبدو أنّ خبر هذه السفرة في الآخرة، يكون هنا في خدمة إطار لوحي يعني الحرب والتطهير الضروريّين لكي تبلغ النفس إلى المعرفة التامّة وإلى الثبات الذي يرافقها. فالقوى المحصيّة هنا هي تشخيص الميول الشريرة التي تشكِّل عائقًا لمجهود التوحيد المقترح.

(٤٧) لا يتمّ نزول النفس، عكس صعودها، عبر الدوائر السماويّة. فالنفس تنزل في امتلاك القوى اللاعقليّة التي تلبسها بشكل قمصان (١٥: ٧–٨). وإضافة هذه القمصان الخاصّة بالنفس المجسَّدة، تكوِّن تصرُّفها الخلقيّ، وبنية تركيبتها البشريّة التي تنتمي إلى العالم الماديّ.

A. J. FESTUGIERE, *La Révélation d'Hermès Trismégiste*,3, p. 231; M. TARDIEU, p. 202-203

أمّا استعمالِ الغنوصيّين لموضوع لباس النفس خلال نزولها، وتعرّيها خلال صعودها، وموضوع سفرها عبر الدوائر السماويّة. راجع W. BOUSSET, *Hauptprobleme der Gnosis*, Göttingen, 1907; reed. 1973, p. 361-369.

تصعدين (٤) كيف تستطيعين أن تكذبي وأنت (٥) خاصّتي؟» فأجابت النفس وقالت: (٦) «أنا رأيتُك وأنتَ ما رأيتني (٧) ولا عرفتني». كنت (٨) لكَ كلباسٍ وأنت ما عرفتني». (٩) ولمّا قالت هذا، مضت والفرحُ يغمرها.

(١٠) والتقت أيضًا (١١) القوّة الثالثة[٤٨] التي (١٣) تُدعى الجهل. هي (١٣) سألت النفس[٤٩] قائلة لها: (١٤) «إلى أين تذهبين؟ أما تمتلكك[٥٠] (١٥) الخباثة؟ أجل، امتلكَتْك. لهذا (١٦) لا تصدري أحكامًا». (١٧) فقالت النفس: «لماذا تدينيني (١٨) وأنا ما دنتُ. سيطروا عليّ (١٩) وأنا ما سيطرتُ. ما عُرفت. (٢٠) أمّا أنا فعرفت أنّ (٢١) الكلّ سينحلّ، ما هو على الأرض،

١٦ (١) وما هو في السماء»[٥١]. وحين تخلّصت من (٢) القوّة الثالثة، النفسُ، (٣) تابعتْ صعودها.

حينئذٍ رأت (٤) القوّةُ الرابعة (٥) المسبَّعةُ الأشكال[٥٢]. الشكل الأوّل (٦)

(٤٨) حسب التعداد في ١٦: ٥–١٣، نستطيع أن نفترض أنّ القوّة الأولى التي قد يكون اسمُها في الفجوة، هي الظلمة. والقوّة الثانية هي الرغبة. القوى الشرّيرة الأخرى تتوزع مجالات الشهوة والغضب والجهل، ساعة تكون الظلمةُ التي ترافقها، ينبوعَ كلِّ الشرور.

(٤٩) الأسئلة التي تطرحها على النفس، قوى الشرّ ساعة صعودها إلى الدوائر السماويّة (من أنت؟ من أين جئت؟ إلى أين تذهبين؟)، نجدها في عدد من النصوص العائدة إلى تلك الحقبة (**إنجيل توما** ٥٠؛ **رؤيا يعقوب الأولى** ٣٣–٣٥؛ إيرينه، **الردّ على الهراطقة** ١/٢١: ١٥). هذه الأسئلة تكشف جهل القوى اللحميّة (البشريّة) أمام سرّ الخلاص. وكذلك أجوبة النفس تكون في تعارض تامّ، فتعبِّر عن معرفة الخلاص التي نالتها. ولكنّنا لا نجد حقًّا في **إنجيل مريم** فكرة «كلمة المرور» التي يفرضها جابي الرسوم، كما هو الأمر في النصوص الغنوصيّة التي سبق وذكرناها.

(٥٠) المادّةُ امتلكت النفس في جسدها. لهذا اعتبرتها القوّةُ غير قادرة على التمييز.

(٥١) تحرَّرت النفس من سلطة اللحم، فبلغت إلى معرفة طبيعة المادّة، والانحلال الذي لا مناص منه لعالم الأرض والكواكب (ما هو على الأرض، وما هو في السماء)

(٥٢) هذه القوّة الرابعة تستعيد مجمل الأهواء التي تهدِّد النفس. ونفهم إدخال الأشكال السبعة بإعادة ترتيب ثانويّ لنهج لم يتضمَّن في الأصل سوى أربع درجات سماويّة، أو أربع قوى. وقد يكون مدوِّنٌ لاحق، أو ربّما المدوِّن الأوّل، أن يوفِّق النصّ مع رسمة في سبع دوائر ترتبط بسبعة كواكب. نجد إشارة إلى كلِّ هذا في الكتابات الجليانيّة أو الغنوصيّة، في ذلك الزمان، كما نراه معروفًا في الأسترولوجيّا القديمة A. PASQUIER, L'Evangile selon Marie (BG1), Bibliothèque copte de Nag Hammadi, Section , p. Textes, 10, Québec 1983, p. 79-86.

هو الظلمة. والثاني الرغبة. (٧) والثالث الجهل. (٨) الرابع الحسد من الموت. (٩) الخامس سيادة اللحم. (١٠) السادس الحكمة المجنونة (١١) اللحميّة. السابع حكمةُ (١٢) الغضب. تلك هي سبع (١٣) قوى الغضب التي تلاحق (١٤) النفس: «من أين جئتِ (١٥) يا قاتلة الإنسان[٥٣]؟» وأيضًا: (١٦) إلى أين تمضي يا مُلهمة المدى؟» (١٧) فأجابت النفس: «ذاك الذي سيطر عليّ (١٨) دُفِن. ذاك الذي سجَنني (١٩) أُعدِم. حينئذٍ رغبتي (٢٠) انطفأت، والجهل (٢١) مات. في عالَم نجوتُ،

١٧ (١) بيد عالَم. في (٢) صورة بيد صورة (٣) هي من العلاء. ذاك هو رباط النسيان (٤) الذي بقي له زمن فقط. منذ الآن، (٥) في الصمت، أنال الراحة[٥٤] (٦) من الزمن، من الوقت، من الدهر»[٥٥].

(٧) وحين قالت مريم هذا (٨) صمتت[٥٦]، لأنّ عند هذا الحدّ، المخلِّصُ (٩) تحدَّث معها.

(١٠) فأجاب أندراوس[٥٧] وقال (١١) لإخوته: «قولوا. ماذا ترتؤون (١٢)

---

(٥٣) اتُّهمت النفس بأنّها قاتلة، لأنّها دمَّرت اللحم. وأنها التهمت المدى حين جالت في مختلف الدوائر السماويّة، ساعة صعودها.

(٥٤) هنا تبدأ برديّة رايلندس ٤٦٣ وتنتهي بنهاية النصّ.

(٥٥) إنّ خلاص النفس بالمعرفة، ينتج عنه موتُ الجهل، والتحرُّر من الرغبة ومن رباط النسيان. ففي عالم الكذب على هذه الأرض، تحرَّرتْ النفس بالصورة الحقيقيّة، بالواقع العلويّ، ودخلتْ في راحة الأبد.

(٥٦) صمتَتْ. هي لا تمضي أبعد ممّا قال لها الربّ ذاته. وما أضافت شيئًا شخصيًا من عندها، على الوحي الذي نالت من لدن الربّ.

(٥٧) قد تمثِّلُ سؤالاتُ بطرس وأندراوس ردّة فعل السلطات الكنسيّة تجاه مسألة طرحَتها مجموعاتٌ نبويّة. فالسلطات التي تريد أن تكون كافلةً لتقليد بلاغ يسوع، تواجه ظاهرة النبوءة، التي ما زالت حيّة في بعض الجماعات المسيحيّة في بداية القرن الثاني، وتسعى لضبطها.

EAC, I, p. 503-505: études E. NORELLI sur *Ascension d'Isaie* Id. L'Ascensione di Isaia. Studi sur un apocrifo al crocevia dei cristianesimi, Bologne, 1994, p. 167-173.

طرحت هنا ثلاثة أسئلة. الأوّل: ما قيمة الوحي الشخصيّ؟ الثاني: هل يوافق الوحيُ البلاغَ الذي تلقّيناه من الربّ؟ الثالث: هل يمكن لامرأة أن تكون مستودع وحي؟ في **العظات** (١٧: ١٣–١٥) نرى أنّ الرؤية التي رآها بولس على طريق دمشق، كانت على المحكّ. في إنجيل مريم، لبث بطرس متسائلاً. ويبدو أنّه لم يتَّخذ قراره.

في ما أعلنَتْه الآن (١٣). أمّا أنا فلا أصدِّق أنّ (١٤) المخلِّص قال هذا، (١٥) فهذه التعاليم تبدو لي آتية من فكر مختلف». (١٦) فأجاب بطرس وتحدَّث عن (١٧) أسئلة مماثلة. (١٨) سألهم عن المخلِّص: «هل يمكن (١٩) أن يكون تحاور سرًّا مع هذه المرأة (٢٠) من دون علمنا، لا عيانًا، بحيث يجب علينا (٢١) أن نغيِّر رأينا[٥٨] ونطيعها كلُّنا؟ (٢٢) هل اختارها ففضَّلها علينا؟».

١٨ (١) حينئذٍ بكت مريم وقالت (٢) لبطرس: «يا بطرس أخي، ما هو رأيك؟ (٣) هل تصدِّق أنّي نلتُ هذه الأفكار (٤) من نفسي في قلبي، أو (٥) أنّي أكذب في ما يخصّ المخلِّص؟» (٦) حينئذٍ أجاب لاوي[٥٩] وقال لبطرس: (٧) «يا بطرس، أنت تندفع دومًا في (٨) الغضب. والآن أراك تتجادل (٩) مع امرأة» وكأنَّك (١٠) خصم[٦٠]. ومع ذلك (١١) إن كان المخلِّص جعلها أهلاً، فمَن (١٢) أنت لكي ترذلها؟ لا شكّ (١٣) في أنّ الربّ عرفها بلا نقيصة[٦١]، (١٤) لهذا أحبَّها أكثر (١٥) منّا. فلنخجل بالحريّ (١٥) ولنلبس الإنسان الكامل فنجعله إنساننا، كما (١٨) أمرَنا، ولنعلن (١٩) الإنجيل بحيث لا نفرض (٢٠) قاعدة أخرى[٦٢] ولا شريعة سوى (٢١) ما فرض علينا المخلِّص». بعد

(٥٨) الفعل المستعمل هنا، يعني استدار، أحاط. هذا يعني تبدُّلاً في موقف السلطة الرسوليّة.

(٥٩) لاوي هو جابي الضرائب. رج مر ٢: ١٤ حيث يقال إنّه ابن حلفى (لو ٥: ٢٧). وجابي الضرائب هذا يُدعى متّى في مت ٩: ٩. بما أنّ اسم لاوي لا يظهر في العهد الجديد، في لائحة الرسل، نظنّ أنّه دُعيَ باسم متّى. ويمكن أيضًا أن يكون لاوي المذكور في هذا النصّ، خارج مجموعة الاثني عشر (شأنه شأن يعقوب أخي الربّ). ربّما هو أحد التلاميذ القريبين من يعقوب. هذا ما تدلّ عليه رؤيع الأولى (٥: ٣). ونسب هذا النصّ إلى لاوي دورًا مميّزًا: وحده قبل البلاغ الذي حملته مريم، وحده فهم أنّها وصلت إلى درجة من المعرفة أهَّلتها لحبّ المخلِّص الذي لا يتراجع. وأخيرًا، إذا تبعنا المقطع اليونانيّ (رايلندس ٤٦٣)، وحده لاوي انطلق للبشارة بالإنجيل في بعض الجماعات الأولى. وهكذا يبدو لاوي الصورة الفضلى ليكون المتحدِّث الرسميّ باسم هذا التيّار.

(٦٠) ما دخل بطرس بعدُ في سرّ توحيد الكائن الباطنيّ. لهذا، هو لا يرى بعدُ في المرأة سوى العنصر الناقص الذي يجب محاربته.

(٦١) اللفظ اليونانيّ ασφαλος. هي حالة الاختيار النهائيّ والذي لا تراجع فيه، التي إليها رفع يسوعُ مريم.

(٦٢) راجع حاشية ٣٥.

١٩ (١) كلمات لاوي هذه[٦٣]، (٢) انطلقوا ليعلنوا ويكرزوا (٣) الإنجيل (٤) بحسب (٥) مريم[٦٤].

٤- التعليم في إنجيل مريم[٦٥]

أ- حثّ على النسك

البلاغ الذي يقدِّمه هذا الكتيِّب له بُعد خاصّ. فأمام بلبلة التلاميذ المختارين، وتَضايقهم تجاه ذهاب يسوع، وكبر المهمّة التي كلِّفوا بها، ذكَّرتهم مريم المجدليّة بما يشكّل في نظرها جوهر الموهبة التي منحها لمؤمنيه المسيحُ القائم من الموت: النعمة بأن يكون الواحد كائنًا متجدِّدًا كلّه، فيه وعلى صورته، التي تصحَّحت منذ الآن فيهم بالخلاص: «وحّدنا، جعل منّا الإنسان» (٩: ١٩-٢٠) في المعنى المطلق. الرجل الرجل هو الإنسان. والمرأة المرأة هي الإنسان.

إنَّ موضوع توحيد المركَّب البشريّ المؤلَّف من عنصر مؤنَّث هو النفس، ومن عنصر مذكَّر هو الذهن، يُقدَّم هنا في إطار التنظير الهرماسيّ اليونانيّ (نسبة إلى الإله هرمس الذي تلاقى مع الإله تحوت المصريّ). في هذا المقال، الذهن

---

(٦٣) قالت برديّة رايلندس ٤٦٣ ما يلي: «حين قال لاوي هذه الكلمات، مضى وأخذ يعلن الإنجيل». وهكذا جعل النصّ من لاوي وحده، المنادي بالبلاغ الذي كشفته مريم. هذه العبارة القديمة تبدو لنا متماسكة. لم تُحفظ هذه السمة الخاصّة في النصّ القبطيّ الذي يجعل الفعل في صيغة الجمع، ويربط إعلان الإنجيل بالرسل كلِّهم. في حقبة المترجم القبطيّ (نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس)، نستطيع أن نتخيَّل الحركة النسكيّة التي اتّسعت واتّسعت، فاختارت أن تقدِّمها على أنّها تعني الكنيسة في مجملها، لا فردًا من الأفراد.

(٦٤) «**الإنجيل بحسب مريم**». رُتِّبت هذه الكلمات الثلاث في وسط الصفحة، فبدت كأنّها القولوفون. بما أنّ بداية إنجيل مريم ضاعت، لا نستطيع أن نعرف إذا كان العنوان ذاته وُجد في بداية النصّ. ونحن نقدر أن نربط هذه الكلمات بما سبق فنقول: «انطلَقوا ليعلنوا ويكرزوا الإنجيل بحسب مريم». في هذه الحالة، يكون الكتيِّب دستور جماعة مسيحيّة محدَّدة.

(٦٥) قراءة النصّ وإنجيل مريم والتعليم، كلّ هذا استند إلى *EAC*, II, Gallimard,"La Pléiade" Paris, 2005, p. 5-23

(νους) الأب يلد الإنسان، الذي هو ذكر وأنثى. هذا الإنسان يغطّس في المادّة فيصير اثنين: مائتًا بالنسبة إلى جسده الذي يرجع إلى العناصر الأربعة الأوّلانيّة، ولامائتًا بالنسبة إلى الإنسان الجوهريّ الذي صار فيه نفسًا وذهنًا. بالإضافة إلى ذلك، يحمل معهما انقسام الخلائق كلّها إلى ذكور وأناث. غير أنّه مدعوّ إلى مصير أبديّ بقدر ما يعرف نفسه خالدًا، ويطلب الخيرَ الفيّاض الذي هو حياة ونور.

إذًا يرتبط مصيره الآتي بنوعيّة حياته على الأرض، وبمعرفته بواسطة الذهن (νους). في الموت يكون جسده للانحلال. أمّا النفوس فتصعد عبر الدوائر السماويّة وتَترك، كما تُترك الثياب، الأهواءَ التي لبسَتها حين نزلت على الأرض. حينئذ تَدخل في الله وتصبح الله «ذاك الذي يستطيع العمقُ وحده أن يدعوه»(٦٦).

وموضوع توحيد الإنسان (في المطلق)، ذكرًا وأنثى، نجده في بعض النصوص الغنوصيّة في القرن الثاني مثل «تأويل النفس» الذي وُجد في نجع حمادي. كما نجده في كتابات مسيحيّة في القرون الأولى مثل «**إنجيل المصريّين**»(٦٧)، و«**الرسالة الثانية لإكلمنضُس الرومانيّ**»(٦٨). وبشكل خاصّ في «**الإنجيل بحسب توما**»(٦٩). ولكن في هذه الكتابات الأخيرة، لم يعد التوحيد

---

(٦٦) *Corpus Hermeticum*, I, 9 et I, 12

(٦٧) هو مقطع ورد في «موشّيات» كليمان الإسكندرانيّ، ٣: ١٣. راجع " *EAC* I, p. 477 لهذا قال كاسيانس: «سألت سالومة عن الزمن الذي تُعرَف فيه ما به أخذت، أجاب الربّ: «حين ندوسون بأرجلكم ثوب الخجل، وحين الاثنان يصبحان واحدًا. والذكر مع الأنثى، لا يعود ذكرًا ولا أنثى». ويواصل كليمان: «لا نجد هذا القول في الأناجيل الأربعة التي تسلّمناها، بل في إنجيل المصريّين».

(٦٨) ٢إكلمنضس ١٢: ١-٦. نحن في الواقع أمام عظة من القرن الثاني حول الإيمان والحياة المسيحيّة، في كنيسة رومة قبل سنة ١٥٠.

(٦٩) في القول ٢٢: «رأى يسوع أطفالاً، يمتصّون الحليب، فقال لتلاميذه: "هؤلاء الصغار الذين يمتصّون الحليب يشبهون الداخلين إلى الملكوت". فقالوا له: "إذًا، حين نصير أطفالاً ندخل الملكوت؟" فأجابهم يسوع: «حين تجعلون من الاثنين واحدًا، والباطن كالظاهر، والظاهر كالباطن، والعالي كالواطي، حين تجعلون من الذكر والأنثى كائنًا واحدًا وحيدًا بحيث لا يكون الذكرُ بعدُ ذكرًا ولا تعود الأنثى بعدُ أنثى». *EAC*, I, p. 38-39. ثمّ القول ١١٤، ص ٥٣.

يُعتبر في وجهة فلسفيّة، محضة، بل صار وجوديًا وعيشًا في الحياة : هو تأويل نسكيّ يمارسه الإنسان صاحب الذهن المطهَّر. في السريانيّة، المتوحّد (ا ي ح ي د ي ا)، وكذا في اليونانيّة (موناخوس)[٧٠]. في هذا المنظار النسكيّ، نستطيع أن نحدِّد موقع التعليم الذي قدّمته مريم المجدليّة في الإنجيل الذي يحمل اسمها[٧١].

ب- المعرفة الكاملة هي مثال الناسك

هذا التناغم المستعاد يقود الإنسان إلى الثبات في المعرفة، وغياب القلق الذي يشعر بعدُ فيه الرسلُ بعد ذهاب يسوع. هذا ما يدلّ عليه بوضوح ما نقرأ في ١٥ : ١- ١٧: ٦. هنا رسمت مريم المسيرةَ المفروضة للبلوغ إلى قمّة المعرفة، بشكل رمزيّ، قريب من أخبار أسفار النفس في الدوائر السماويّة، كما تصوِّرها بعض أسفار الرؤيا اليهوديّة والمسيحيّة[٧٢]، أو كما نجدها أيضًا في تنظيرات هرماسيّة في ذلك الوقت. لسنا هنا في الواقع، إلاّ أمام تمثُّل منظورٍ لصراع النفس الداخليّ في وجه القوى الشرّيرة. هذه سيطرت عليها ظلماتُ الجهل التي سعت إلى وضع العوائق لتمنع النفس من الصعود. ولكنّ حبّ الربّ الكامل للنفس المختارة، يُتيح لها أن تتلاعب بهذه الفخاخ، وتبلغ إلى الراحة المطلقة في الأبديّة وفي الصمت.

ج- ردّة فعل الرسل

رأى الرسل أنّ مثل هذا التعليم يبقى غريبًا، لأنّ بطرس ما زال يرى في مريم

---

(٧٠) μοναχος نعود إلى .μονος واحد وحيد ܝܚܝܕܝܐ. ثمّ αχεω اكتأب في قلبه. وهنا نصل إلى السريانيّة «ܐܒܠܐ» الذي يبكي.

(٧١) راجع حاشية ١٥.

(٧٢) على سبيل المثال، **صعود أشعيا** *EAC*, I, p. 509-545

المرأة الخصم للرجل. وردّةُ الفعل عندهم هي في النهاية عاديّة: هو تقليد الكنيسة المستند إلى كرازة الرسل الذين كلِّفوا بنقل ما تعلَّموا من يسوع خلال حياته على الأرض. بعد ذلك، أيّة صدقيّة لتعليم يسأله الإنسان في رؤية شخصيّة، بل تناله امرأة؟ طرح أندراوس السؤال: هل هذا التعليم يوافق ما تعلَّمْنا من المخلِّص؟ وأضاف بطرس سؤالين آخرين: «هل يمكن أن يكون الربّ تحدَّث سرًّا مع امرأة، من دون علمنا؟ هل اختارها حقًّا وفضَّلها علينا؟» (١٧: ١٠-٢٢).

قد يلمِّح هذا المقطع إلى مسألة بدت واقعيّة في الكنيسة الأولى: سلطة الأنبياء من رجال ونساء، تجاه سلطة متنامية لدى خدم منتظمة، ثابتة. فبتأثير الروح، يستطيع الأنبياء عبر رؤاهم أن يقدِّموا عن بلاغ يسوع، تفسيرًا يُفلت من تدقيق رؤساء الجماعات، من أساقفة أو كهنة، خلفاء الرسل(٧٣).

د- جواب لاوي

اتّخذ لاوي موقفًا لام فيه بطرس لأنَّه يستخفُّ بتلك التي اختارها الربّ بالذات. هو موقف واضح. تقبَّل لاوي بلاغ مريم، لأنَّه اتَّخذ لنفسه ما أوعز به الربّ بلسان مريم: «نَلبس الإنسان الكامل، نجعله لنا، كما أمرنا» (١٨: ١٦-١٨). والتزم بأن ينفِّذ وصيّة إعلان الإنجيل، ولكن دون أن يفرض «قاعدة أخرى، ولا شريعة أخرى سوى ما فرض علينا المخلِّص» (١٨: ١٩-٢١). هذه الملاحظة الأخيرة مهمّة، في مضمونها كما في الدور الذي أعطيَ للاوي.

لاوي، والمعنى الاشتقاقيّ للاسم العبريّ هو «الحبيس» (في الهيكل) وبالتالي المكرَّس لله. ما ذُكر في لوائح الرسل حسب العهد الجديد. هناك من ماهى بينه

---

(٧٣) نجد المسألة مطروحة في «**صعود أشعيا**». E. NORELLI dans *EAC*, I, p. 503-504 قال: الأنبياء اضطُهدوا دومًا بيد السلطات. ذاك كان وضع أشعيا. فلا ندهش إن اضطهدت السلطاتُ الكنسيّة الأنبياء (ص ٥١٧-٥١٨).

وبين الرسول متّى، جابي الضرائب (مت ٩: ٩). مقابل هذا، نراه في «**إنجيل بطرس**»[٧٤]، وخصوصًا في **رؤ يعقوب الأولى** (٣٧: ٧) حيث يُدلّ عليه بأنّه المستودع المميَّز لتقليد تسلَّمه من الربّ يعقوبُ، أخو الربّ. وهذا سلّمه إلى تلميذه أدّاي، لكي يسلِّمه بدوره إلى لاوي، نحن نعرف أنّ يعقوب، أخا الربّ، بحسب صورة حُفظت عنه، اشتهر بتقشُّفه وزهده في الحياة. وهو كرئيس كنيسة أورشليم، لبث مرتبطًا بالتقاليد اليهوديّة، ومنها النبوءة. إذًا بدا لاوي كافلَ هذا الاتّجاه ووارثه. وهذا يُفهمنا أنّه استطاع أن يدرك بُعد بلاغ مريم، دون أيّ شخص آخر.

إن كان لاوي لا يريد أن يفرض قاعدة ولا شريعة، خارجًا عمّا ثبّته الربّ، فلأنّه لا يريد أن يقدِّم المثال النسكيّ الذي يتعلّق به، والذي اكتفى يسوع بالإشارة إليه، على أنه متطلِّبة قاعديّة. وهكذا تتوجّه الملاحظةُ إلى حركة تعفُّفيَّة بدأت تنتشر في الجماعات المسيحيّة، في سورية وفي الإسكندريّة، منذ بداية القرن الثاني المسيحيّ. كما يمكن أن تكون تحذيرًا من بعض اليهومسيحيّين المتشدِّدين، الذين يريدون أن يفرضوا على جميع المؤمنين ما دعاه أفراهاط، أبو الكنيسة السريانيَّة، في بداية القرن الرابع «الشريعة الثانية» أي ممارسات مادّيّة، محض تربويَّة وزمنيَّة في رأيه[٧٥]. هي تُشدِّد على باطنيَّة المثال النسكيّ أكثر منه على الممارسات الخارجيَّة: «في داخلكم ابن الإنسان» (٨: ١٨-١٩، قال يسوع). ساعة نبَّه التقليد البولسيّ (في الرسائل الرعائيّة، ١تم، ٢ تم، تي) وإغناطيوس الأنطاكيّ وإيرينه وكليمان الإسكندرانيّ من تطرّف قساوة نسكيّة تمضي إلى النهاية. ساعة حثّ ديونيسيوس أسقف كورنتوس أخاه فينوتس،

---

(٧٤) **إنجيل بطرس** ٦٠: «أمّا أنا سمعان بطرس، وأندراوس أخي، فأخذنا شباكنا ومضينا إلى البحر. وكان معنا لاوي بن حلفى الذي... الربّ...

(٧٥) أفراهاط، **المقالات** ١: ١١ و١٥: ٨.

أسقف كنوسس «بأن لا يفرض على الإخوة حِمل العفّة الثقيل، وبأن يأخذ بعين الاعتبار ضعف العدد الكبير من الناس»، نُشر **إنجيل مريم**(٧٦).

هـ- مكانة المرأة

ونستطيع أن نستخرج من هذا النصّ استنتاجًا أخيرًا. هو بسيط في الظاهر، ولكنّه غنيّ في المضمون: حين جعل الكاتبُ هذا التعليم باسم مريم المجدليّة، أعطى هذه المرأة (مريم هنا) كرامتها كأوّل شاهد للقيامة. وربَّما منحها موهبة النبوءة التي تاقت إليها، في تقليد زمانها(٧٧). وأخيرًا أراد الكاتب بشكل لا شكّ فيه، أن يبيِّن كما فعل بولس في الرسالة إلى غلاطية: «بالنسبة إلى الذين لبسوا المسيح، لا رجل ولا امرأة، بل الجميع واحد في يسوع المسيح» (غل ٣: ٢٧-٢٨). وإنجيل مريم بيّن أيضًا أنّ المرأة تستطيع أيضًا أن تبلغ إلى هذه المعرفة الكاملة لسرّ يسوع، الذي جعلها فوق الرسل أنفسهم، في سلّم القيم الروحيّة.

الخاتمة

إنجيل مريم، هو كإنجيل، لا يحتوي الكثير من أخبار يسوع وأقواله وأعماله. انطلق من مشهد القيامة، حين ظهر الربّ على مريم: «فأخبرت التلاميذ بأنّها رأت الربّ وأنّه قال لها هذا الكلام» (يو ٢٠: ١٨). أمّا مريم فصارت المناسبة لإيصال تعليم غنوضيّ حول صعود النفس بعد أن نزلت وحملت في نزولها عددًا من الأهواء يجب أن تتخلَّص منها.

يمكننا أن ندعو هذا الإنجيل «مقالاً غنوصيًّا». ومعه مقالات عديدة وُجدت في نجع حمادي، أو لدى عدد من آباء الكنيسة. ولكنّ هذا «الإنجيل» اغتنى

(٧٦) أوسابيوس، **التاريخ الكنسيّ** ٤/٢٣: ٧. المجلَّد الأوّل، ص ٢٨٠.

(٧٧) مثل بنات فيلبّس السبع. رج أع ٢١: ٨-٩؛ **التاريخ الكنسيّ** ٣/٣١: ٤-٥.

حين اغتنى شخصُ مريم. صارت أختَ مرتا ولعازر. صارت تلك الخاطئةَ التي غفر لها يسوع. وجاءت الأخبار في العالم الغربيّ، بدءًا من العصر الوسيط. دُوِّنت سيرة مريم، في القرن التاسع، مع ربّان مور(٧٨). ونقرأ أيضًا في «**الرواية الذهبيّة**» العائدة إلى القرن الثالث عشر رواية منمّقة تشبه إحدى المنمنمات أو الزجاجيّات (الحاشية ٤). وكان نصّان من القرنين ١٠-١١ يحيلاننا إلى تقاليد تعود إلى القرن الخامس، حول تنقُّلات مريم المجدليّة في جنوب فرنسا: «الحياة النسكيّة لمريم المجدليّة»(٧٩) و«الحياة الرسوليّة لمريم المجدليّة».

ولكن ما أعطى مريم المجدليّة هذا الوجه القريب من يسوع، هو العالم الغنوصيّ. تدرَّجت مريم، فسبقت الرسل. عاشت الوحدة الحقيقيّة فاستطاعت أن تتَّحد بالمسيح. وهكذا نصل إلى الزواج المستيكيّ، زواج المتصوِّفين واتّحادهم الروحيّ. فماذا يبقى لكي تتكلَّم القرون الحديثة عن زواج مريم ويسوع، بحيث يكون ليسوع سلالة بشريّة، شأنه شأن كلِّ رجل في العالم اليهوديّ؟ أمّا الأناجيل القانونيّة الاربعة، فبعيدة كل البعد عن هذه النظريات.

---

(٧٨) R. MAUR, *The life of Saint Mary Magdalene and of Her Sister Saint Martha.* A Medieval Biography Translated and Annotated by David MYCOFF (Kalamazoo: Cistercian Publication, 1989)

في الواقع، كُتبت هذه السيرة بيد أحد تلاميذ القدّيس برنار (القرن ١٢).

(٧٩) *Cahiers de la Sainte-Baume*, n° 9, 1994



الخاتمة

الغنوصية هذه الحركة الفكرية الباطنية التي توخَّت «الغنوصة» التي ترجمناها «العرفة» أو «العرفان» فابتعدنا عن لفظ المعرفة التي هي مدلول واسع جدًا ولا يدلّ في العمق على ما يعني هذا التيّار الذي بدأ باكرًا في العالم اليهودي وامتدّ في العالم المسيحيّ فقامت القيامة عليه. لا حاجة إلى التقليد وما يمكن أن يقدّمه للانسان الذي بلغ إلى درجة من الكمال، فما عاد من الناس البسطاء ولا عاد يكتفي بما تقدّمه الكتب الفلسفيّة، اليهوديّة، المسيحيّة. فهو يستخرج «معرفته» من الداخل.

دخلت الغنوصيّة في بعض ولادتها إلى العالم المسيحي منذ بدايته. لهذا شدّد يوحنا على المعرفة التي تُوحّدنا بالابن وترتكز على الشهادة التي حملها لنا الرسل الأولون. وبولس الرسول شدّد على عمل الخلاص بيسوع المسيح ذاك الذي في ملء الزمان «وُلد من المرأة». إذا كان هو الطريق فلماذا نبحث عن طريق أخرى. وإذا كان هو الباب، وإن ضيقًا، هل نظنّ أننا نستطيع أن نجد بابًا آخر إلا ويوصلنا إلى طريق الهلاك؟

عرفنا الغنوصيّة أول ما عرفناها من خلال الآباء والكتّاب المسيحيين الذين حاربوها باكرًا منذ يوستين، ابن نابلس في فلسطين، وصولاً إلى ترتليان في أفريقيا الشمالية، وإيرينه في ليون من أعمال فرنسا، وصولاً إلى ابيفان، أسقف سلامينة في قبرص. قدّموا لنا النصوص العديدة وحاولوا الردّ عليها. كما حاول بعضهم أن «يدجّن» هذه الحركة فقدّم «غنوصيّة» مسيحية. كانت السبّاقة مدرسة الاسكندريه مع وجهين كبيرين: كليمان وأوريجان. إذا كانت الغنوصيّة «تفريغ» الانسان من ذاته لكي يتقبّل في باطنه معرفة جديدة، فالمعرفة الجديدة

التامة لا تكون إلا بيسوع المسيح. الغنوصية الأساسيّة ترتكز على الانسان وتسخِّر كل شيء من أجل الانسان وتتوقّف هناك. فحاولت الغنوصيّة المسيحيّة إن تبيّن للانسان ضعفه. فمعرفته تجد ملء اشعاعها إن هي اغتذت بالمسيح الذي هو الحقّ الذي يقود إلى الحياة.

وفي منتصف القرن العشرين، وصلت إلينا نصوص هذه الحركة في اللغة القبطية، بعد أن كان الباحثون كشفوا هنا أو هناك نصًا في اليونانية «يتيمًا» أو في لغة أخرى. في نجع حمادي، في صعيد مصر، كانت اللقيا الرائعة: كُتُب نجع حمادي. أشار إليها آباء الكنيسة والكتّاب المسيحيون، واليوم صارت بين أيدينا بعد أن نُقلت إلى عدد من اللغات الحديثة ودُرِسَت ولا تزال الدراسات حاضرة ولاسيّما في المؤتمرات العالمية.

ذاك هو الكتاب الذي قدّمناه. تحدّثنا عن الغنوصية وما نسينا الغنوصيّة المسيحيّة. ورافقنا أيرينه، أسقف ليون، وكليمان في وثائق غير مباشرة: نُقلت إلينا في كتابات «دِفاعية» فتوجّسنا بأن لا يكون «النقل» صادقًا. ولكن يبدو أننا احتجنا إلى الوثائق المباشرة. فاكتفينا بكتابين صغيرين من مكتبة نجع حمادي: إنجيل يهوذا وانجيل مريم.

في هذا الكتاب تطلّعنا من بعيد إلى هذه الحركة الباطنية التي عمّت الشرق والغرب ولاسيّما في امتدادتها التي وصلت إلى الصين ومونغوليا. واكتشفنا القليل القليل من هذا التيّار الفكري الواسع. بدأنا ونحن ننتظر أن يتواصل العمل فنتعرّف إلى هذا لفكر الشرقيّ المتفاعل مع الفلسفة اليونانية والديانات التوحيديّة. فإن لم نتعرّف إلى جذورنا فكيف تستطيع شجرة شعوبنا أن تنمو؟

الفهرس





"على هامش الكتاب": سلسلة جديدة تطلقها الرابطة الكتابية تقدم فيها نصوصًا تتعلّق بالكتاب المقدس من قريب أو بعيد. سمّي بعضها الكتب المنحولة لأنها حاولت أن تنتحل، تنسب إلى نفسها صفة الإلهام، وهي ليست بملهمة، أو الكتب المكتومة، بمعنى أنها أخفيت عن سواء الناس وحفظت لفئة معيّنة، هي النخبة أو الكمال، أو الأبوكريفا وهي كلمة يونانية تعني ما ظلّ مخفيًّا.

ظهر منها:

١- كتابات قمران - الجزء الأول	١٩٩٧
٢- كتابات قمران - الجزء الثاني	١٩٩٨
٣- أخنوخ، سابع الآباء	١٩٩٩
٤- وصيات الآباء، الإثني عشر	٢٠٠٠
٥- اليوبيلات أو التكوين الصغير	٢٠٠٠
٦- رؤيا باروك، إبراهيم، إيليا	٢٠٠٠
٧- الأدب الفلسفي والحكمي	٢٠٠١
٨- كتاب العاديات البيبلية	٢٠٠١
٩- كتابات عزراوية	٢٠٠٢
١٠- ترجوم نيوفيتي، سفر التكوين	٢٠٠٢
١١- مزامير سليمان وصلوات في المجامع	٢٠٠٣
١٢- موشحات سليمان ومؤلفات يهودية	٢٠٠٣
١٣- ترجوم نيوفيتي. سفر الخروج واللاويين	٢٠٠٤
١٤- إمتداد الأدب البولسي في الأسفار المنحولة	٢٠٠٧